عَينُ دَاوُدْ

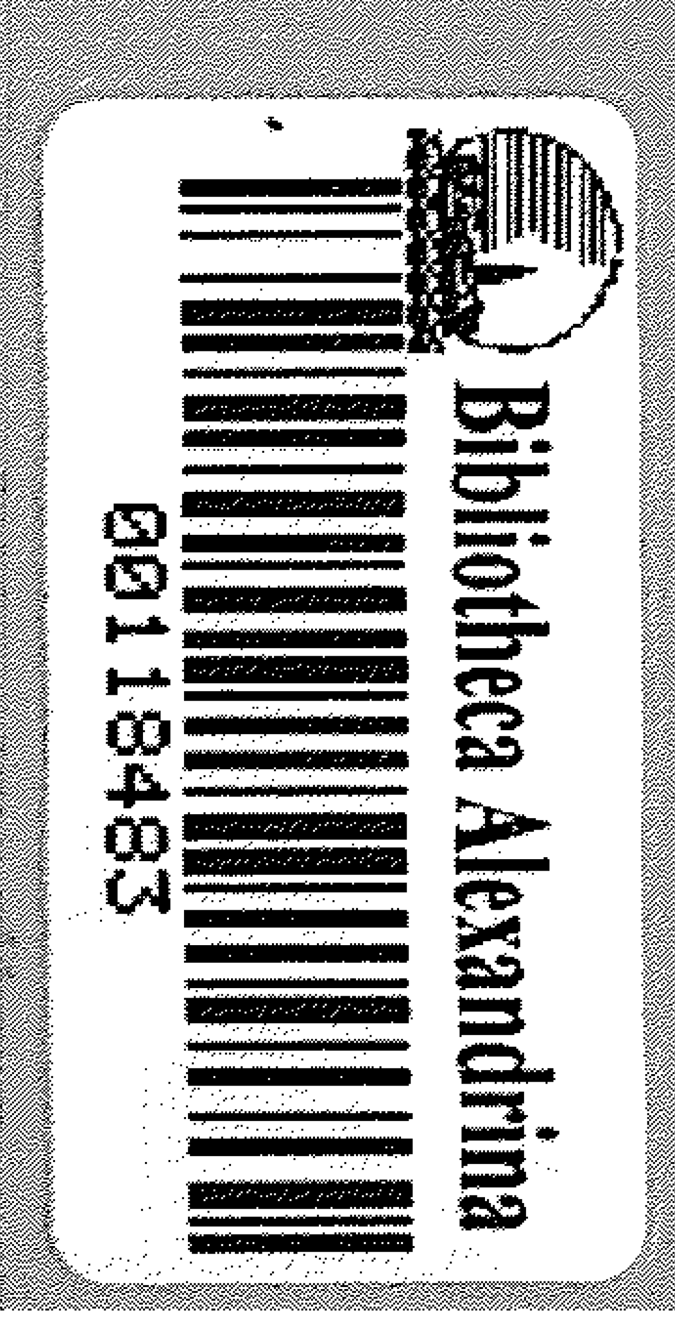
عمليّات الوحدات السريّة الإسرائيليّة

تأليف

د. ايريش فولات

ترجمة

أسيمة جانو





عين داوود

عمليات الوحدات السرية الإسرائيلية

عَينُ داوُودْ

عمليّات الوحدات السريّة الإسرائيليّة

تـأليف

د. ايـريش فولات

تـرجمَة

أسيمـة جـانو

مكتبة مدبولي

الطبعة الأولى

١٩٨٧

مكتبة مدبولي القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة توضيحية :

ان ادخال هذا الكتاب للمكتبة العربية ليس تمجيداً لجهاز مخابرات دولة معادية ، ولكنه محاولة لمعرفة أوثق بهذا الجهاز .

قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » صدق الله العظيم . ومن القوة أن نعرف عن عدونا قوته وضعفه وعدته وتفكيره وأساليب صراعه وحربه وطرق تسلله فى صفوفنا .

والموساد هو مؤسسة الاستخبارات الاسرائيلية العامة . وهناك خلط عام بين الموساد وبين جهاز الاستخبارات العسكرية وهو ما يسمى « جهاز أمان » وهناك عدة أجهزة فى اسرائيل للمخابرات . فالموساد يهتم بالعمليات الخارجية خصوصاً فى البلاد العربية . و « أمان » يهتم بالعمليات العسكرية وهو يتبع الآن وزارة الدفاع الاسرائيلية . وهيئة المخابرات الداخلية التى تسمى : « شين . بيت » وهى عبارة عن حرفين بالعبرية ، يقابلهما بالعربية : ش . ب وتسمى الآن : شاباك . ويقوم هذا الجهاز بالتجسس على اليهود أنفسهم داخل اسرائيل ، بالاضافة الى مهمته الرئيسية وهى ملاحقة العرب .

وقد تكوّن مؤخراً ما يسمى بفريق العمليات العسكرية السريعة ، وهو أخطرها ويسمى بالانجليزية : Hit Team وهو يقوم بعملية التصفيات الجسدية فى العالم .

وهذا الكتاب عن المخابرات الاسرائيليـة ليس أول ولن يكون آخر

كتاب عن هذا الجهاز .ولكنه يتميز عن غيره فى لقاءات المؤلف على مدى خمسة أشهر كاملة مع رؤساء الموساد السابقين ، الأمر الذى لا يتاح إلا لقليل من الصحفيين ، خصوصا الألمان .وقد اعترف بعض هؤلاء بتفاصيل عن عمليات لم تنشر بكاملها حتى صدور الكتاب .وكان من بين المسئولين الذين أدلوا بتفاصيل لأول مرة ، الادميرال « موردخاى ليمون » حيث أعترف بتفاصيل « سرقة » اسرائيل للزوارق البحرية من مدينة شيربورج بفرنسا ، كما اعترف مسئول ، تعهد المؤلف بعدم ذكر اسمه ، بضرب المفاعل الذرى العراقى فى فرنسا .وحصل على ما يدله على تورط اسرائيل فى ضرب المفاعل فى بغداد .

وربما كان لسوء الحظ ، أن الكاتب التزم بالعمليات حتى أول الثمانينات حيث وقف عندها وقد أثارت قضية بناء مفاعل « ديمونا » وانتاج القنابل الذرية ، وضرب المفاعلين العراقيين فى فرنسا ضجة صحفية عالمية اشتركت فيها كثير من الصحف العالمية التى علق على الكتاب ، أمثال « هيرالد تريبيون » و « جارديان » البريطانية ، و « لوبوان » الفرنسية ، وعدد كبير من الصحف الألمانية .

واتهمته صحيفة « فرانكفورتر روندشاو » الألمانية بالتحيز إلى جانب الفلسطينيين ، وبالاعتماد على جانب العرب فى حكمه على الاسرائيليين .

وقد أهمل الكاتب عن عمد قصص الجاسوسية الشهيرة أمثال : ايلى كوهين وفولفجانج لوتس ، حيث اهتم بتفاصيلها كتاب : الموساد للصحفيين الاسرائيليين الثلاثة :
« ايزنبرج ودان ولانداو » ، وريتشارد ديكون » فى كتابه عن الاستخبارات الاسرائيلية ، والكاتب التشيكى « بوروفيتشكا » فى كتابه : جواسيس من تل أبيب ، ترجمة د . فتحى قعوار ، كما ذكرها « جانوس بيكالكيفيس » فى كتابه « يد إسرائيل الطويلة » .

وقد قصد الكاتب الصحفى ، صاحب هذا الكتاب ، أن يسترجع قصة نشوء دولة اليهود كما يسميها ، واعتمادها على الجاسوسية

بالدرجة الأولى . كما بدأ الكتاب بتحليل حياة أحد المناضلين الفلسطينيين وهو « على حسن سلامة » وحياة غريمه اليهودى « جوناتان نيتانياهو » ، وذلك ليبين للعالم الغربى ملابسات القضية الفلسطينية ، من خلال كفاح الفلسطينيين ضد « المحتلين » اليهود .

وهو لا يرد نجاح العمليات الكبيرة التى أكسبت الموساد سمعته إلى بطولة عملائه ، وإنما الى عامل نفسى آخر ، أكثر أهمية وفاعلية من البطولة التى لا ينسبها إليهم ، وهو « الخوف » الخوف من الحصار ، ومن الدمار . فهى من البداية قضية « استماتة » للبقاء خارج الحصار « الهولوكوست » وكذلك « الانتقام » من أجيال البشرية على مدى تاريخ عذاب اليهود الطويل ، وتشردهم فى البلاد ، الأمر الذى كتب عليهم منذ الأزل ، الى معسكرات الابادة فى التاريخ الحديث تحت حكم الرايخ الثالث ، وقبله تحت القيصر الروسى .

ولهذا تساعد اسرائيل « الدول المنبوذة » كما يسميها المؤلف ، مثل : جنوب أفريقيا ، كما تساعد على اشعال الحروب فى كل مكان ، لتبيع لهم السلاح ، كمنتج أو كوسيط ، وهو يقول ، « لأنها لا تلتزم بايديولوجيات معينة » فهى تتخذ كل السبل فى سبيل بقائها ، مثل القرصنة والسرقة والقتل .

وإذا كانت مسألة امتلاك اسرائيل للقنابل الذرية قد ثارت بشدة فى الشهورة الأخيرة ، فماذاك إلا « عودة » لهذا الموضوع الذى تمسه الصحافة دائماً من بعيد ، وتتجاهله اسرائيل فى كثير من الأحيان ، أو تكذبه ، كما حدث بعد نشر هذا الكتاب ، حين « رأى مدير جهاز الطاقة الذرية » السابق ، بروفسور يوڤال نعمان ، وكان مستشار موشى ديان ، انه « يجب تكذيب قصة وصول اسرائيل الى دولة ذرية » ، وذلك فى حديث لصحيفة « ايديعوت احرونوت » فى مارس عام ١٩٨١ .

* * *

وقد حرصت فى ترجمة الكتاب أن ألتزم بحرفيته ، مع إضافة الهوامش اللازمة ، التى رأيت أنها قد تلقى مزيداً من الشرح أو من

الضوء على نقطة بعينها ، وذلك من خلال مراجعة معظم الكتب والصحف التى نشرت ما يمس ما ذكره الكتاب من قريب أو بعيد ، وهذا ما أراه جهدى الخاص المضاف الى الكتاب .

كما أسجل شكرى للمؤلف الذى أرسل الطبعة الثانية من الكتاب باضافاتها على الطبعة الأولى مع القاء الضوء على المصادر التى ألف على أساسها كتابه .

وهذا كله ، عسى أن يكون عوناً على معرفة « دولة اليهود » المجاورة ، بشكل واف .

والله الموفق ،

المترجمة

أســيمة جانو

الفصل الأول :

العين بالعين ، والسن بالسن

فى يوم ٦ يوليو عام ١٩٧٦ ، فى مقبرة الجنود فى القدس (اورشليم) . ينقل جوناثان نيتانياهو الى القبر . وآلاف يحتشدون أثناء القاء « شيمون بيريز » وزير الدفاع الاسرائيلي ، كلمة الرثاء : « تأتى أوقات يكون فيها مصير أمة كاملة فى أيدى بعض المناضيلين . وهذا الشاب ينتمى الى هؤلاء ، الذين أمروا بتنفيذ عملية فريدة . إن الأمة تنحنى تحت ثقل وطأة موته » .

ثم انحنى « بيريز » أمام الجثمان ، وقرأ من التوراة ، « كتاب صموئيل » : إنى آسف من أجلك ياأخى جوناثان » .

فى ٢٧ يناير ١٩٧٩ ، فى مقبرة الشهداء فى بيروت بلبنان « على حسن سلامة » ينقل إلى القبر وآلاف يحتشدون ، حين خطب « ياسر عرفات » ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قائلا : « لقد خسرنا أسداً » ، وصاح عرفات من بين دموعه ، « ولكننا سنتابع النضال من أجل فلسطين حرة » .

ورفع « ياسر عرفات » التابوت ، وحمله ليضعه فى القبر فى صمت . وهناك انحنى ثانية فوق الجثمان وقال : « يا أخى ، إننا ندفنك شهيداً » .

كان « جوناثان نيتانياهو » ضابطاً فى وحدة المهام الخاصة فى الجيش الاسرائيلى ، التابعة للموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلية . وكانت مهمته أن يقتل (الفدائيين) العرب ، لكنه مات برصاصة أحد الجنود الأوغانديين ، أثناء محاولة الفرقة الخاصة الاسرائيلية تحرير مئة رهينة فى مطار « عنتيبى » بأوغاندا ، وكان فى الثلاثين من عمره .

وكان « على حسن سلامة » ينتمى الى رأس قيادات منظمة التحرير وكان قد شارك فى التخطيط لمذبحة الاوليمبياد للرياضيين

الاسرائيليين فى دورة ميونيخ عام ١٩٧٢ لحساب المنظمة الفلسطينية (المتطرفة) : « ايلول الاسود » . وقد فشلت أربع محاولات لاغتياله ، حتى استطاع فريق من « القتلة الاسرائيليين » « تفجيره » فى بيروت ، وكان يبلغ من العمر ٣٦ عاماً .

*

***

*

كان (الشيخ) حسن سلامة كثيراً ما يردد فى أحد مطاعم الرملة (بفلسطين) سؤاله : ماذا يصنع اليهود الملعونون فى بلادنا ؟ بينما كان الرجال العجائز يدخنون الشيشة . وكان لكلمته ثقل كبير ويذكر أصدقاؤه ، أن الجميع كانوا ينصتون حين يتحدث الشيخ حسن عن هجرة اليهود بغضب ، أيام كان هؤلاء اليهود يرسلون رسلهم ليشتروا أراض فلسطينية ، ويمتلكوا فروع التجارة بأيديهم كأنه أمر بديهى . ووصل بهم الحال أن كانوا يرتبون كل شىء مع قوات الانتداب البريطانية التى كانت تسيطر على فلسطين فى ذلك الوقت :

« اننا نعيش هنا منذ مئات السنين ، والآن يأتى اليهود ليتجولوا هنا » .

كانت هذه الكلمات المفعمة اول ما سمعه « على حسن سلامة » الذى ولد عام ١٩٤٣ ، ابن الشيخ حسن سلامة الذى لم يقتصر على الخطب الملتهبة ، بل إنه نظم بعض الفرق الفلسطينية التى كانت تغير على المستعمرات اليهودية . وحين أعلن « بن جوريون » قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ وحاربتها الدول العربية المجاورة ، قطعت ميليشيات الشيخ الطريق الرئيسى بين تل أبيب والقدس ، التى كان يُحاصَر فيها اليهود . لكن الجيش اليهودى المبتدىء المسمى « هاجانا » (أو الدفاع عن النفس) كان قد اكتسب خبرة فى عمليات التخويف والإغارة ، واستطاع أحد قادة اليهود أن يضع قنبلة فى بيت الشيخ ،

وانفجرت حين كان الشيخ يجتمع مع أصدقائه للحديث ، ومات على الفور . وبذلك فتح اليهود الطريق الى القدس ،التى وقعت فى أيديهم .

كان « على حسن » فى الخامسة من عمره حين قتل والده ، واستطاع هو وأمه النجاة من حادث الانفجار . وغادرت الأم الرملة مع ابنها ، خائفة من اليهود ، وهربت الى أقاربها فى مدينة نابلس (الأردنية) فى الضفة الغربية ، لكن هؤلاء لم يكن لديهم مكان للأم وابنها ، ومثل آلاف الفلسطينيين عاش الصغير على مع أمه فى مخيم ، فى خيمة بائسة دون كهرباء ودون مياه .

كان على حسن » فى أول نشأته غلاماً وسيماً نحيلاً رياضياً ذكياً . وفى مدرسة نابلسى كان من اوائل المتفوقين ، ورغم أن الفتيات كن يلاحقنه فى سنى المراهقة الأولى ، إلا أنه لم يكن يلقى اهتماماً لأحد ، فقد كان يهتم بالسياسة فقط . وقد حصل فى الاعدادية على جائزة أحسن من يجيد النقاش والحوار . وفى السابعة عشرة من عمره حصل على الثانوية العامة بتفوق . أما المهنة فلم يكن يفكر فيها بعد ، وكان يقول : لدى هدف واحد ، هو أن ألقى بالاسرائيليين خارج بلادى .

حصل « على سلامة » على منحة للدارسة فى الجامعة الامريكية ببيروت ، التى كانت مجمعاً لكبار المثقفين الفلسطينيين . وتخرج من الجامعة مهندساً . وبعد ذلك بثمانية أعوام خطط للعملية (الفدائية) الأولى للمقاومة الفلسطينية .

*

حين نشر الكاتب النمسوى « تيودور هيرتزل » كتابه « دولة اليهود عام ١٨٩٠ وأعاد به الحركة الصهيونية للحياة ، كان جد جوناثان فى السادسة عشرة من عمره ، وأصبح الجد صهيونياً ، وابتدأ يخطب فى « ليتوانيا » ثم فى روسيا كلها ويدعو إلى دولة اسرائيل .

أصبح لليهود وجه جديد ، واثق ، متكبر ، لا يسمح لأحد أن يضغط عليه . وكان والد جوناثان (بن صهيون) غلاماً صغيراً ، حين

قررت العائلة عام ١٩٢٠ أن تهاجر من وارسو إلى (البلاد المقدسة) ففى ذلك الوقت كان يتم مطاردة اليهود فى أوكرانيا ، وكانت القطارات مليئة براغبى السفر والهجرة . لكن خيبة الأمل كانت عظيمة بالنسبة لكثيرين بعد وصولهم . ففلسطين لم تكن ، كما كان هيرتزل يحلم ويدعو « أرض بلا شعب ، لشعب بلا أرض » . ففى فلسطين التى أصبحت تحت الانتداب البريطانى بعد الحرب العالمية الأولى كان هناك حوالى ٧٠٠ ألف عربى .

واستقر أجداد جوناثان فى الحى اليهودى فى القدس ، واعطوا العائلة اسماً عبرياً هو « نيتانياهو » أو « هبة الله » ودرس بن صهيون التاريخ والفلسفة فى الجامعة العبرية وحين وقف البريطانيون أمام الهجرة المتزايدة لليهود ، تحول الشاب (المتدين) إلى محارب فى النضال المسلح ضد العرب والانجليز . وسافر الى الولايات المتحدة الأمريكية كى يجمع تبرعات من اليهود الأمريكيين ، وتزوج من زميلة قديمة له التقى بها هناك . وولد ابنه جوناثان فى حى هارلم عام ١٩٤٦ . وبعد إعلان دولة إسرائيل عادت الأسرة كلها إلى القدس .

وتلقى الأب عرضاً بنشر « قاموس عبرى » . واستطاع بذلك اقتناء منزل فى احدى الضواحى عام ١٩٤٩ .

أصبح لجوناثان أخوان وعاش حياة سعيدة وأصبح زعيماً لإحدى الجماعات الصغيرة ، وفى السادسة عشرة من عمره كان خطيب المدرسة . وكان فكهاً وشديد الذكاء . وكلمه والده كثيرا ولساعات طويلة عن اليهود والصهيونية ، وبكى جوناثان حين قرر والداه الهجرة إلى أمريكا عام ١٩٦٢ ، ولم يرق له الحال هناك وانتظر بفارغ الصبر موعد تجنيده فى الجيش الاسرائيلى ، وبذلك عاد عام ١٩٦٤ إلى تل أبيب ، لينضم إلى وحدة المظلات .

أعجبته التدريبات الشاقة فكتب إلى صديق له : « فى كل مرة يصبح

عددنا فى الوحدة أقل ، فهم لا يبقون إلا على الأقوى والأحسن ، وكلما طالت فترة التدريب ، كلما عرف « اسرائيل » أكثر ، وأحس بها أعمق ، كما قال . أحب جوناثان البلاد التى سيدافع عنها ولكن ما يزعجه ، هو أنه لم يكن يعرف الكثير عن (أعدائه) العرب ، وهو لا يثق بأى كلام عن هؤلاء (الناس) .

وصل جوناثان فى المدرسة الحربية إلى مايريده وأصبح ضابطاً وفى إحدى غاراته على الأراضى السورية اكتشف أنه لا يفقد أعصابه أثناء إطلاق النار ، كما هو حال زملائه وكتب عنه رؤساءه فى التقرير الخاص به . « إنه مثالى فى كل شىء » . وحاولوا إقناعه بأن يصبح ضابطاً محترفاً . لكن جوناثان قرر أن يدرس ، وانتسب الى جامعة هارڤارد الأمريكية لدراسة الفلسفة .

ووقعت أحداث حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ واشترك فيها جوناثان فى وحدة المظلات فى صحراء سيناء وفوق مرتفعات الجولان . وجرح فى ذراعه . كان نصر اسرائيل كبيراً ، وكتب جوناثان إلى والديه : « كان عليكما أن تريا رجالنا فى القتال . لا يوجد فى العالم جيش كجيشنا . ولا توجد قوة فى العالم تستطيع أن توقفنا » .

وتزوج جوناثان من زميلته توتى . واحتفل بزواجه فى جامعة القدس القديمة ، التى استولى عليها اليهود فى الحرب . وسافر الزوجان فى نهاية عام ١٩٦٧ إلى أمريكا لدراسة تستمر بضع سنوات .

لكن جوناثان لم يستطع البقاء فى أمريكا ذات الامكانيات غير المحدودة أكثر من أحد عشر شهراً ، ليعود بعدها الى اسرائيل (المحدودة) عاد وهو مقرٌ تماما على (ما يفعله الأمريكان فى ڤيتنام ، بل إنه لم يستطع أن يفهم سبب حركة المعارضة من قبل الشباب الأمريكى الذى لا يريد الحرب . وحدث أصدقاءه أن « ذوى الشعور الطويلة » قد أثاروا غضبه وحنقه .

لم يكن جوناثان قادراً على أن يفكر كلياً فى دراسته فى جامعة

القدس . فقد كانت كل أفكاره محصورة فى (بلاده) التى (تهددها) اغارات منظمة فتح الفلسطينية الدائمة عليها . إنه يريد الحرب . يريد أن يعيد الضربة إليهم . وكان يعتقد أنه « متأكد » من شيء واحد ، هو أنه كجندى ، أحسن من كل هؤلاء (الفدائيين) مجتمعين ، « وان احساسى بقوميتى أكبر من احساسهم بقوميتهم » .

قال أصدقاؤه عنه ، أنه كان يتصرف « كحيوان فى قفص » وفى حديث إلى أخيه الأصغر ، الذى تدرب فى إحدى الوحدات الخاصة لمحاربة (الفدائيين) ، أعلن جوناثان عودته إلى الجيش ، فى أبريل عام ١٩٦٩ وانضم الى وحدة العمليات السرية ، التى شكلها « الموساد » داخل الجيش والمسماة (سايريت) وهى مكلفة بالقبض على (الفدائيين) الفلسطينيين داخل اسرائيل ، وضرب مقارهم أيضاً فى البلاد العربية .

كانت وحدة العمليات السرية تتدرب ليلاً ونهاراً ، وحتى أيام السبت ، بالرغم من أنه مقدس لديهم . وأصبح جوناثان عام ١٩٧٠ قائد طيار ، وأصبح له فرقة خاصة به . ولكن كانت له همومه الخاصة أيضاً ، فقد تركته زوجته لأنها لم تحتمل غيابه المستمر عنها .

وفى أول طلعات « السايريت » ضد معسكر الفلسطينيين فى مصر ، حدثت موقعة تبودل فيها ضرب النار ، وبالرغم من أن أحداً لم يصب إصابات خطيرة ، إلا أن بعض الاسرائيليين كادوا ينهارون أمام الهجوم المفاجيء المدهش الذى قام به الفلسطينيون ، وصرخ فيهم جوناثان : « لتهدئوا أيها الرجال . فإنها لن تكون المرة الأخيرة التى تطلقون فيها النار على الفلسطينيين .

*

***

*

كانت بيروت فى بداية الستينيات مدينة كالموسيقى ، مدينة الشمس المشرقة والديسكو والمطاعم العالمية ، والبنات الجميلات . ولم تقم بعد

الحرب الأهلية . وكان « على حسن سلامة » يستمتع بحياته تماماً فى « باريس الشرق الأوسط » لكنه لم ينس أبداً كفاحه السياسى . جمع حوله زملاءه والطلبة فى الجامعة الأمريكية ، وناقش معهم وتحاور حول إمكانيات وفرص وجود الدولة الفلسطينية ، كان معروفا لدى الجميع أن والده قد قتل بأيدى الاسرائيليين ، وهذا ما أكسبه سمة الزعيم السياسى .

كان تأثيره يتزايد بين زملائه ، خاصة حين تزوج واحدة من أشد الفتيات وجاهة وقدْراً . فتاة ذات ماض سياسى ، فهى إبنة مفتى سابق للقدس كان قد قاد فى الثلاثينيات الكفاح العربى ضد القادمين اليهود .

نفذ صبر المثقفين الفلسطينيين ، فمنذ هزيمة عام ١٩٤٨ أمام الدولة الناشئة الاسرائيلية وهم لا يتلقون إلا العزاء من زعمائهم . ومنذ ١٩٤٨ وهؤلاء يتحدثون عن تدمير الاسرائيليين واعطاء الفلسطينيين دولة خاصة بهم ، لكن كل هذا يظل كلاماً فقط ويظل الـ ٦٠٠ ألف لاجىء فلسطينى يعيشون ، كما كانوا ، فى معسكرات بائسة ، مشتتين ، موزعين فى بلاد عربية كثيرة . وفى بيروت عام ١٩٦٣ قال « علي » مرة : « لقد نسونا » ، وإذا لم نفعل شيئا لأنفسنا ، سنبقى دائماً فى الطين والوحل ، « أذلاء » بدون وطن » .

وكانت حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ قد قضت نهائياً على أمل الفلسطينيين بأن تتمكن الجيوش العربية من طرد الاسرائيليين وبقى بالنسبة للمتشددين منهم أمر واحد فقط : وهو أن يُدخلوا الحرب إلى اسرائيل نفسها بعمليات فدائية . وبهذا خلقت الهزيمة فى نظرهم فرصة جديدة لهم : فاسرائيل احتلت جزءا من الأردن وهو الضفة الغربية ، حيث يعيش مئات الآلاف من العرب . فلتكن هذه المنطقة أرضاً مثالية للعمليات الفدائية .

فى نفس عام ١٩٦٧ تعرف علي سلامة على إحدى الشخصيات التى غيرت حياته بصورة جذرية . فقد التقى بزعيم الفلسطينيين ياسر عرفات . وأعجب الطالب « علي » « بأبو عمار » كما يدعى ياسر عرفات ،

وأعجب به اعجاباً شديداً ، وأبو عمار هو واحد من الفلسطينيين القلائل الذين لا يتكلمون فقط ، ولكن يفعلون .

شارك ياسر عرفات فى إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، وأرسل المقاتلين فوراً عام ١٩٦٥ فى عمليات فدائية الى أرض العدو ، ونال « علي » الذكى المؤمن بقضيته إعجاب الزعيم ، ووعده هذا أن يجعله نصب عينيه .

لكن عرفات لم يستطع الوفاء بوعده طويلاً ، فقد تورطت المنظمة فى مشاكل عديدة ، فقد أنشأ طبيب الأطفال جورج حبش والجراح وديع حداد منظمة فلسطينية باسم « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ولم تكن هذه المنظمة شيوعية فقط ، ولكنها كانت أكثر تطرفاً فى عملياتها من منظمة التحرير ، فابتدعت خططاً جديدة لتلفت نظر العالم إلى مصير الفلسطينيين ، وهذه الخطط كانت خطف الطائرات .

ففى يوم ٢٣ يوليو (تموز) عام ١٩٦٨ اختطف أعضاء فى الجبهة الشعبية طائرة بوينج ٧٠٧ تابعة لشركة الطيران الاسرائيلية (العال) ووصلوا بها الى الجزائر حيث طالبوا بالإفراج عن عشرين فلسطينياً محتجزين فى اسرائيل . ولما كانت صدمة اسرائيل ودهشتها والمفاجأة كبيرة جداً لهذا النوع الجديد العالمى من الكفاح ، فقد رضخت اسرائيل للشروط ، وكانت المرة الأولى والأخيرة .

وكان أثر هذا الانتصار له مفعول السحر : فقد ناصر الطلبة الفلسطينيون المتشددون هذه الجبهة الشعبية : « أخيرا ـ يحدث شيء ما ، أخيراً ـ يتحرك الشرق الأوسط ، وكان على عرفات أن يفعل شيئاً ، وإلا فإن الأمور ستتغير فى معسكر الفلسطينيين .

وأنشأ عرفات وحدة عمليات خاصة سرية داخل المنظمة . وكلفت هذه القوة بتنفيذ عمليات خاصة ، على ألا يعرف أحد بالعلاقة التى تربطها بمنظمة التحرير المعترف بها دولياً . وكان « علي حسن سلامة » واحداً من الفلسطينيين الشبان الذين أرسلهم عرفات للتدريب فى معسكر بالقرب من القاهرة . وسمى « علي » ، « بأبوحسن » ، أثناء

تدريبه العالى على الدفاع عن النفس والتجسس والتخريب ، وعرف مدربوه سريعاً مقدار موهبته وذكائه .

أصبح « أبو حسن » فى السابعة والعشرين من عمره ، وكان يود لو يتاح له ان يوجه ضربة إلى اسرائيل ، وبعد عام واحد قام بإحدى عملياته ولكن ليس ضد اسرائيل ، وإنما ضد شعب عربى : ضد الأردنيين .

فى ذلك الوقت عام ١٩٧٠ كان الملك حسن على وشك عقد السلام مع اسرائيل فقد اجتمع مرات عديدة بوزير الدفاع الاسرائيلية آنذاك « موشى ديان » فى محادثات سرية . لكن الفلسطينيين اللاجئين الذين أصبحوا يشكلون حوالى نصف سكان المملكة الأردنية ، يشكلون أيضاً مصدر ازعاج متزايد للملك ، فالمنظمات الفلسطينية التى تكسب تأييدا فى المعسكرات والمخيمات تخطط لعمليات تخريبية فى الضفة الغربية ، من الأراضى الأردنية نفسها ، والاسرائيليون يردون عليها بالمثل .

ونصح العسكريون الملك بتوجيه ضربة لمثلى القيادات التى يتزايد تحديها يوما بعد يوم ، والتى تعسّ فى شوارع عمان دائماً بالسلاح . وحين اختطفت جبهة التحرير الفلسطينية ثلاثة طائرات مدنية إلى الأردن وفجرتها فى الصحراء ، كان صبر الملك قد نفذ فعلاً فأطلقت قواته الملكية الخاصة النار على الفلسطينيين فى شوارع عمان ، وفى المعسكرات ، ومات عشرات الآلاف فيما سمى « بأيلول (سبتمبر) الأسود » عام ١٩٧٠ .

و « ايلول الأسود » كان الاسم الحركى للفرقة الخاصة السرية التابعة لعرفات . وكان « محمد يوسف النجار » « أبويوسف) زعيمها ، و « أبوحسن » ، رئيس العمليات ، وكلاهما أرسل فرقة خاصة الى القاهرة لتغتال فى يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٧١ أحد القادة المسئولين عن مذبحة الفلسطينيين ، وهو رئيس الوزراء الأردنى « وصفى التل » ، وحين سئلت منظمة التحرير . أجاب ياسر عرفات أنه لا يعلم شيئاً عما

حدث ، ولا عن الذين دبروا له لكنه قال إنه « يتعاطف ويفهم دوافع الشبان الفلسطينيين الذين نفذ صبرهم » .

وفى الواقع ، فإن هذه العملية أتاحت لمنظمة « ايلول الأسود » حرية التصرف ، وثبت اعتقاد « على حسن » وزملاؤه فى جبهة التحرير أنه يجب نقل المعركة إلى أوروبا وأمريكا ، حيث لا يوجد هناك فرق خاصة للعمليات تابعة للموساد ، كما هو الحال فى الضفة الغربية .

كما ان الاسرائيليين هناك يظهرون مستهدفين مكشوفين ، وتتخذ هناك ايضا القرارات السياسية العالمية التى تؤثر على اسرائيل أيضاً .

وتحدث « علي » إلى أصدقائه عن فكرته : فهو يريد أن يخطف كل ثانى أو ثالث طائرة تطير الى تل أبيب ، وبهذا يوقف حركة الطيران والسياحة إلى إسرائيل .

ورغم ذلك ، فقد فكر أولاً فى الاعداد لعملية الأوليمبياد فى ميونيخ ، والتى ستكون انتقاماً وثمناً لموت والده .

لم يكن « علي » يستخدم فى رحلاته قنوات الاتصال بمنظمة التحرير ، مثل السفارة الجزائرية فى جنيف ، إلا نادراً ، حتى أنه لم يعد يخبر عرفات عن عملياته . وصادف مرة فى اوروبا ، وربما فى برلين الشرقية فى ربيع عام ١٩٧٢ اثنين من أصدقائه الذين كانوا يتدربون معه فى القاهرة وهما أبوداوود وفخرى العمرى ، وكلاهما كان يخطط لهجوم ميونيخ وظل « علي » يراقب ضربة أصدقائه من خارج البلاد ، وفى يوم ٥ سبتمبر اندفعت وحدة من « ايلول الأسود » إلى القرية الأوليمبية فى ميونيخ ، وقتلت (١١) رياضياً اسرائيلياً وأمريكياً واحداً .

*

***

*

تأثر الضابط جوناثان ينتانياهو بطلاقه من زوجته ، أكثر مما كان يظن ، وبالرغم من صداقاته لبعض الفتيات ، إلا أنه أصبح أكثر هدوءاً

وتأملاً وكان حديثه الوحيد هو الحرب من أجل أمن اسرائيل . وكان يجهد أفراد وحدته حتى النهاية .

وفى يونيه (حزيران) عام ١٩٧٢ ـ وهو وقت متأخر جداً فى نظر جوناثان ـ تلقت وحدته الخاصة (الضوء الأخضر) من أعلى : بالرد على العمليات العربية .

كان السوريون قد رفضوا تبادل الطيارين الاسرائيليين الثلاثة المسجونين لديهم ، بسجناء عرب لدى اسرائيل .. وعلم « الموساد » ، جهاز المخابرات الاسرائيلية ، أن اللبنانيين قد دعوا ثلاثة من كبار الضباط السوريين إلى جنوب لبنان . وكانت مهمة جوناثان : اختطاف الضباط الثلاثة إلى داخل اسرائيل ، كرهينة للضباط الاسرائيليين . وبدأت العملية تسير كما يجب ، ووصلت وحدة العمليات الاسرائيلية إلى لبنان دون أن يلحظها أحد .

وظهرت عربة السوريين فى الموعد المحدد ، كما علم به جواسيس الموساد . لكن أحد اللبنانيين الذين كانوا فى أول عربة ، لم تأخذه الدهشة من الهجوم المفاجىء ، بل سحب مسدسه ، فأطلق جوناثان النار على الفور وكذلك زملاؤه ، وأصبحت العربة المرافقة كالمصفاة . ومات اللبنانيون الأربعة على الفور ، أما السوريون فلم يصب أحد منهم بسوء ، واقتيدوا إلى المنطقة الاسرائيلية .

« أننا بحاجة إلى عمليات أكثر من هذا النوع » هكذا علق جوناثان بعد ذلك ، وقال :

« يجب أن نقابل أعداءنا فى كل مكان ، وليس فى اسرائيل فقط » .

لم ينتظر الأمر طويلاً بعد ذلك . فقد كلفت رئيسة الوزراء « جولدامائر » رئيس الموساد آنذاك « زفى زامير » بتدريب وحدات عمليات خاصة لمطاردة الذين اشتركوا فى قتل الرياضيين الاسرائيليين ، ولو فى الكرة الأرضية كلها .

هيأ الموساد اثنى عشر رجلاً ، مهمتهم القتل ، وذلك نيابة عن الاثنى عشر الذين قُتلوا ، واحداً بواحد . وكان على رأس قائمة

المطلوبين : « على حسن » وكان أحد قادة الوحدات الاسرائيلية الخاصة هو : « جوناثان نيتانياهو » .

وحين رسا الاسرائيليون فى يوم ١٠ أبريل ١٩٧٣ بزورقهم عند بيروت ، ودخلوا الحى الرئيسى الخاص بمنظمة التحرير الفلسطينية وقتلوا منهم ثمانية . كاد « أبوحسن » أن يلاقى جوناثان ، وجهاً لوجه .

*
***
*

كان الجميع يعرفون أن المهمة كانت غير عادية ، مهمة موت . ولكن أن يجتاح الرعب قلب جوناثان فى هذه الليلة بالذات ، فذلك كان أمراً غير عادى ، وهو ما أدهش أصدقاءه . فقد كان معروفاً بأنه رجل صلب . ولكنه وقف هذه المرة ونظر إلى الامواج الداكنة وقال ، انه يمكن أن يموت هذه الليلة ، فى هذه المهمة ، ولم يترك وراءه أسرة ولا ولداً .

فى حوالى الواحدة صباحاً وصل الزورقان الاسرائيليان إلى مشارف بيروت ، بعد أن اقلعتا من ميناء حيفا (باسرائيل) بعد الظهر . وكان على متن الزورقين فريق اختاره الموساد يضم ضفادع بشرية ومظليين وخبراء فى القتال القريب .. وعلى الساحل لمع ضوء ثلاث مرات قصار ، ومرة طويلة ، وهى الإشارة المتفق عليها .

انتقل الرجال الاسرائيليون الى (قوارب المطاط) وقاموا بالتجديف مسافة قصيرة حتى وصلوا إلى رملة البيضا على شاطىء بيروت . كان الشاطىء صخرياً ، ولا يوجد إلا بضع شواطىء رملية متخفية . وفى الليل تكون هذه الأماكن خالية من الناس فى العادة ، بينما تمتلىء بالمحبين فقط . وبهدوء شديد أنزل الرجال مسدساتهم الاوتوماتيكية ماركة « بيريتا » كالبير ٢٢ ، وقنابل يدوية ومتفجرات وجهازى ووكى - توكى . ثم تسلقوا جميعهم ونزلوا الى الشارع بثياب مدنية ، الى حيث

كان يقف خمس سيارات بمفاتيحها ، وركبها الرجال الاسرائيليون وانطلقوا بها .

كانت هذه العملية معدة بطريقة سليمة ، ويعتبرها الموساد ، واحدة من أحسن عملياته ، وهى التى كونت له سمعة جيدة فيما بعد .

كان هناك خمسة رجال قد نزلوا بيروت فى أوائل الشهر متنكرين فى زى رجال أعمال أوروبيين ، مكلفين من الموساد : « جيلبرت ريمبرت » ، الذى يسافر بجواز سفر « بلچيكى » ، أتى مع سكرتيرته مونيك براون من فرانكفورت ، و « ديترفون ألنودر » الألمانى الذى قدم من روما ، و « جورج إيدر واندروميكى » ، قدما بجوازى سفر انجليزيين ، « وشارل بوسار » الفرنسى وجميعهم يسافرون بجوازات سفر مزورة ، لا تشك أية سلطة مراقبة فى صحتها . وجميعهم أيضاً مكلفون بالاعداد لمجىء رجال وحدة العمليات الخاصة وتهيئة هروبهم سريعاً بعد اتمام المهمة . وهم الذين استأجروا السيارات التى كانت واقفة على الشاطىء من شركة « ليناكار » ..

قاد جوناثان سيارته ومعه زملاؤه بسيارتهم لمدة عشرين دقيقة ، ثم أوقفوا السيارات بالقرب من تقاطع شارع ٥٨ وشارع خالد بن الوليد . ومن كل سيارة قفز رجلان وهرعا الى المنزل ذى الأدوار الثلاثة أمامهم . وهو المنزل الذى تتخذه لمنظمة التحرير الفلسطينية مقراً لها ، وبمسدساتهم الكاتمة للصوت قتلوا الحارسين عند الباب الأمامى والخلفى ، ثم أسرعوا إلى الداخل ، ووزعوا أنفسهم إلى فرق ثلاثة ، لكل دور فريق ، وكسروا الأقفال بطلقات المسدس ، ودخلوا البيوت بأسرع من البرق .

فى الطابق الأول هاجموا « محمد يوسف نجار » ، أحد قادة منظمة « أيلول الأسود » وهو يُعدّ رقم ٣ فى المنظمة . وكان محمد يوسف (أبو يوسف) فى سريره مع زوجته ، وأطلق الاسرائيليون النار عليه فوراً ، فوقع هو وزوجته ميتاً ، وحين صرخ أطفالهما الستة فى الغرفة المجاورة

فزعين ، هرعت إليهم إحدى السيدات من الجارات اللاتى يسكنّ فى البيت المقابل . ولم يكن لها أية علاقة بالمنظمة ولا تعرف عنها شيئاً . لكن الاسرائيليين أطلقوا عليها النار وتركوها ملقاة فى بركة من دمائها .

فى الطابق الثانى اغتالوا « كمال ناصر » ، المتحدث باسم المنظمة ، والشاعر الفلسطينى المعروف . كان شاباً لم يتزوج ، وفاجأه الاسرائيليون وهو على مكتبه .

وفى الطابق الثالث أطلق جوناثان النار على مساعد « أبو يوسف » ، الذى كانت زوجته تقف مذهولة بجانبه ، حين وقع زوجها على باب غرفة نومه ، قتيلاً .

وبينما كان باقى الاسرائيليين يطلقون النار « بجنون ووحشية » وهم يستديرون للرجوع ، كان جوناثان مايزال محتفظاً بهدوئه ـ ولم تستمر العملية حتى الآن أكثر من أربع دقائق ـ فهدد زوجة مساعد « أبويوسف » بمسدسه ، بينما كان يبحث فى الملفات على المكتب . ووجد مخططاً لعمليات وأسماء لفلسطينيين لهم علاقة بالمنظمة وعناوينهم . فحمل الملفات تحت إبطه وجرى الى الخارج .

انطلقت السيارات هاربة ، ورأى سائق آخر سيارة ، « جوناثان » فى المرآة فتوقف . فقد كاد الفريق ينسى الضباط جوناثان ، لكنه التقطه فى آخر لحظة .

بعد دقائق كان البوليس اللبنانى قد تجمع فى مكان الجريمة ، ولكنهم لم يستطيعوا تعقب الاسرائيليين . فقد توقفت السيارات الخمس على الشاطىء فى نفس المكان ونزل اليهود وركبوا الزوارق وغادروا الشاطىء بعد ٩٠ دقيقة من وصولهم إلى الأراضى اللبنانية .

فى نفس الليلة دمر رجال وحدات اسرائيلية أخرى مقر جبهة التحرير المتطرفة ومستودعين للسلاح تابعين لمنظمة « فتح » على أطراف بيروت ، وذلك تحت حماية طائرات هليوكبتر للجيش الاسرائيلى . ووقع هنا اثنان من الاسرائيليين ، وجرح أربعة منهم . وهبطت إحدى الطائرات الهليكوبتر ونقلتهم إلى حيفا .

استعاد « جوناثان » فى اليوم التالى توازنه وقال لأحد أصدقائه : لقد كان الأمر مريعاً ، ولكننا يجب أن نقوم بهذه الأعمال . وإن كان من المؤسف أننا لم نعثر على « على حسن سلامه » « فأبوحسن » أو « على حسن سلامة » كان الموساد قد وضعه على رأس قائمة المطلوبين فى حادث الاوليمبياد ، لأن الاسرائيليين يعتبرونه المخطط الأول الرئيسى للمذبحة .

استعادت « جولدا مائير » أيضاً فى اليوم التالى اتزانها وهدوءها . فهى التى أعطت الضوء الأحمر لفريق الاغتيالات الاسرائيلى ، الذى عرفت عملياته بالاسم الحركى « ميتزان الوهيم » أو « انتقام الرب » وقالت أمام البرلمان الاسرائيلى (الكنيسيت) : لقد كان عملاً رائعاً . لقد قتلنا المجرمين ، الذين كانوا يعدون ايضا لعمليات جديدة » .

حاول « جوناثان » فى سبتمبر عام ١٩٧٣ أن يعود لإكمال دراسته فى الفلسفة التى قطعها عام ١٩٦٩ ، لكنه فى الواقع اختار أكثر الأوقات عدم ملاءمة للدراسة ، ففى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عبرت القوات المصرية قناة السويس ، وهاجمت اسرائيل هجوماً صاعقاً .

حارب « جوناثان » مع وحدة المظلات التابعة له فى سوريا فوق مرتفعات الجولان . وأستطاع فى إحدى الغارات أن ينقذ زملاءه الجرحى وحصل بذلك على وسام عسكرى ، وعرف اسمه فى كل الجولان ، حتى أن « موشى ديان » كتب عنه فى كتابه ، الذى يحكى فيه سيرة حياته ، « لم أعرف رجلاً كثيرين مثل « جوناثان » ، ولكنى مقتنع وواثق أنهم موجودون بكثرة ، وسينجحون فى الامتحانات التى ستواجه اسرائيل قريباً .» .

عاش جوناثان عامين من عمره ، سعيداً ، لأول مرة بعد طلاق زوجته فقد أصبح قائداً لوحدة مدرعات وأحب سكرتيرته التى تبلغ من العمر ١٩ عاماً .

هذا الرجل الذى طالما اشتكى من أنه لا يعرف إلا القليل عن طباع

العرب ، أصبح الآن من الذين لا تتزعزع ارادتهم فى مقاومتهم : فهو يعتبرها إهانة وعاراً ، أن يفكر أحد ، ولو مجرد التفكير . فى اعادة الأراضى التى احتلتها اسرائيل . ولا يؤمن أبدا بنوايا المصريين والأردنيين فى السلام ، ناهيك عن الفلسطينيين . وكتب مرة إلى أخيه : « إن أى اتفاق سيقودنا الى نهايتنا . إنى لا أريد أن يقال بعد ذلك ، أن دولة اسرائيل كانت مجرد حدث قصير المدى فى الشتات اليهودى فى القرن العشرين ولهذا سأبقى هنا ، وسأحارب هنا » .

*

***

*

كان « على حسن سلامة » يعرف أن الموساد يطارده . وكان الحديث يدور بين الفلسطينيين ، بأن المنتقمين الاسرائيليين يجولون العالم كله ليقتلوا المسئولين عن حادث الأوليمبياد ، أو بالأحرى ، هؤلاء الذين يعتقد الموساد أنهم هم المسئولون وعين « على حسن » حارسين شخصيين له ، وكان يغير هويته باستمرار . فكان يستعمل ـ ضمن ما يستعمل ، جوازى سفر ايطاليين وثلاثة جوازات سفر لبنانية وجوازاً فرنسياً ، وذلك بسبب شعره الأسود ولون بشرته ، وكان عملاء الموساد لا يظهرون حتى الآن إلا فى الظلام .

وقد عثر « الموساد » على رجال آخرين من المطلوبين فى القائمة . ففى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٢ أطلق رجال وحدة اسرائيلية ، تحت قيادة رئيس الموساد « زفى زامير » فى روما ، النار على (المناضل الفلسطينى) « وائل زعيتر » حين كان يهم بدخول منزله . وكان الاسرائيليون يعتقدون أنه هو الذى خطط لأول عملية اختطاف لطائرة العال وكان رجل الاتصال مع منظمة « أيلول الأسود » فى إيطاليا .

وكان الاسم الثانى على القائمة هو د . محمود الهمشرى ، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى باريس . وفى رأى الموساد ، كان الهمشرى قد تورط فى محاولة اغتيال رئيس الوزراء الاسرائيلى بن جوريون عام ١٩٦٩ .

فقد ادعى أحد رجال الموساد أنه صحفى إيطالى واستدرج الهمشرى ليخرج من بيته ، فى الوقت الذى وضع فيه زملاء « الصحفى » قنبلة فى بيت المسئول الفلسطينى ، وكانت القنبلة مربوطة بالتليفون ، ويمكن أن تنفجر ، حين يطلبه هاتفياً أحد العملاء الاسرائيليين فى صباح اليوم التالى بعد اشعال الطرف الثانى للقنبلة .

وتم إعدام الرجال الثالث فى القائمة فى نيقوسيا بقبرص ، التى أصبحت المركز الجديد للمنظمة الفلسطينية . ومن هناك أيضاً تمت الاتصالات بين « أيلول الأسود » وبين جهاز المخابرات السوفيتية (كى جى بى) K.G.B وكان الفلسطينى حسين عبد الخير عائداً من مقابلة أحد أعضاء الجهاز السوفيتى ، حين « فجّره » الاسرائيليون فى غرفته بالفندق فى يوم ٢٤ يناير ١٩٧٣ .

بدأت اعمال العنف والعنف المضاد تزيد يوماً بعد يوم ، وتتلاحم وتتلاحق : فقد اقتحمت قوات من « ايلول الأسود » السفارة السعودية فى الخرطوم فى أول مارس عام ١٩٧٣ ، وفى قبرص أطلق الفلسطينيون النار ، انتقاما لموت عبد الخير ، على رجل أعمال اسرائيلى ، وهاجموا منزل المندوب الاسرائيلى .

وظهرت أسماء جديدة فى قائمة قتلى الموساد . ففى يوم ٦ أبريل ١٩٧٣ قتل الاسرائيليون الأستاذ العراقى د . « باسل القبيصى » الذى كان يحاضر فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، وكان هو أستاذ « على حسن سلامة » ، ويؤكد الفلسطينيون أن هذه العملية كانت العملية الارهابية الوحيدة التى تمت ضد واحد من الطبقة المثقفة .

الضحية الخامسة كانت خلفاً لحسين عبد الخير فى قبرص ، فقد مات برصاص الموساد يوم ٩ أبريل فى نيقوسيا . أما السادس والسابع والثامن فقد قتلوا جميعاً ومعاً فى أحد منازل بيروت فى يوم ١٠ أبريل .

أما عبد الحميد شيبى وعبد الهادى نقعة فقد قتلا فى روما ، حيث انفجرت بهما سيارتهما المرسيدس . وكان الاسرائيليون يعتبروهما من

« الفدائيين » ، لأنهم يظنون أنهما قد ضربا معسكراً لتجمع اليهود الروس المهاجرين الى اسرائيل فى النمسا .

ومع الضحية رقم (١١) لم يكن الاسرائيليون متأكدين ، ان كان صيداً ثميناً أو أنه مجرد وسيط . فقد عثر على اسمه فى الملفات التى حملها معه « جوناثان » من بيروت . فالرجل يسمى « محمود بوديه » ، ويعمل فى « منظمة ايلول الاسود » فى باريس فهو يقوم بتهريب الارهابيين اليابانيين والألمان والايرلنديين الى معسكر تدريب فى اليمن الجنوبية ، وله اتصالات مع « منظمة الجيش الاحمر » اليابانى ومنظمة « بادر ـ ماينهوف » الألمانية ، وقُتل « منفجراً » فى سيارته الرينو .

وبقى «على حسن » ، الرجل الثانى عشر ، وقد رآه عملاء الموساد فى مدينة « اولم » بألمانيا الغربية ، ثم فى أحد أحياء مدينة فرانكفورت ، ثم ظهر فى باريس . لكن « أبوحسن » كان أسرع من مطارديه . واجتاح الغضب كل العاملين فى الموساد ، لأن هناك « شخصا ما » موجوداً ، لكنه أكثر ذكاء ودهاء من الموساد ، وهذا ما أدى بجهاز المخابرات الاسرائيلية الى عدم الحرص ، وقاده الى اكبر ورطة وهزيمة قام بها .

علم عملاء الموساد أن « على حسن » انتقل الى الدول الاسكندنافية . فتابعوا أثره الى أن وصلوا إلى المدينة النرويجية الصغيرة « ليليهامر » ، وعرفوه من الصور التى كانوا يحملونها معهم دائماً . وحين تقابل الرجل الذى يفترض أنه « على حسن » مع شخص عربى ، كان خارجاً لتوه من السفارة الجزائرية فى جنيف ، تأكد للعملاء أن « المسئول » الرئيسى عن قتل الرياضيين الاسرائيليين فى ميونيخ ، موجود هنا . وصدرت الإشارة بإطلاق النار من المركز الرئيسى للموساد فى تل أبيب .

فى يوم ٢١ يوليو (تموز) ١٩٧٣ ظهراً ، تربص اثنان من عملاء الموساد بالشخص المذكور (العربى) وأفرغا فى جسمه ٢٢ رصاصة ، وصرخ الرجل قبل أن يسقط قتيلاً .

لم يكن القتيل « على حسن » . والرجل الذى قتله الاسرائيليون كان يسمى أحمد بوشيكى ، وهو مغربى يعمل فى أحد مطاعم المدينة . وكانت فى تلك اللحظة تقف امرأته النرويجية الى جانبه ، وكانت حاملاً فى شهورها الأخيرة .

تمت الفضيحة ، واكتملت حين استطاع البوليس النرويجى ، أن يلقى القبض على ستة من عملاء الموساد الاسرائيليون . وتمت محاكمتهم ، وكان من المدهش أنهم لم يتلقوا أحكاماً صارمة ، فقد اقتصرت هذه الأحكام على السجن بين ١٢ شهراً وبين عام ونصف . لكن الموساد أصبح معرضاً للسخرية من الجميع ، وأصبح هدفاً لتصويب نيران النقد العالمى .

فى اليوم التالى لمقتل الجرسون الغربى ، غادر « أبوحسن » (على حسن) الأصلى ، النرويج . وبالرغم من أن التقارير الصحفية لم تشر إلى اسمه ، إلا أنه كان يعرف أنه هو المقصود بالمؤامرة ، وعاد إلى بيروت عن طريق فرانكفورت ، ولم يغادرها لفترة .

غيّر ياسر عرفات الآن استراتيجيته فى حربه من أجل دولة فلسطينية ، وبدأ يركز على الاعتراف العالمى بالمنظمة ، ووجد فى دول العالم الثالث تأييداً كبيراً ، ولكى يكسب الغرب ، وجد أنه يجب ألّا يقرن اسمه أبداً بالعمليات الفدائية ، وألا توجد أية صلة بينه وبينها . وقد أدت « منظمة أيلول الأسود » ما عليها ، وانسحبت من الصورة .

ومنذ نهاية عام ١٩٧٣ ، بدأ عرفات يرفض العنف كوسيلة فى الكفاح الفلسطينى . لكنه لا يمكن أن يستغنى عن رجل مثل « على » ، الذى يتكلم سبع لغات بطلاقة . وأصبح « على » خبيراً فى الشئون الاستخبارية فى المنظمة ، أى (ما يشبه) رئيس جهاز مخابرات ، وبذلك كان أقرب المقربين الى عرفات ، الذى كان يسميه « ابنى بالتبنى » .

تغير « على حسن » ولم يعد ذلك الرجل الذى كتب إلى أصدقائه

منذ سنوات :

« لأن اليهود قد سرقوا أرضنا ، وقتلوا أهلنا ، وأخذوا حقوقنا ، فإننا سندمرهم وسنقتلهم أينما كانوا » ، بل أصبح الآن مقتنعاً ، أن الحرب ضد اسرائيل يمكن أن يكسبها على الصعيد السياسى .

كان « على حسن » كثيراً ما يشاهد فى بيروت بملابس أنيقة من ڤالانتينو ، وبقمصان حريرية ، وأصبح يُعرف بين رجال الموساد باسم « الأمير الأحمر » ، وتزوج للمرة الثانية من « جورجينا رزق » اللبنانية الكاثوليكية ، التى توجت عام ١٩٧١ ملكة جمال الكون .

وحين ألقى ياسر عرفات أول خطبة له فى الأمم المتحدة فى ١٣ نوفمبر ١٩٧٤ ، ورحبت به الولايات المتحدة الأمريكية ، كان « على حسن سلامة » معه . والرجل الذى كان زعيماً لمنظمة تقود عمليات فدائية ، يصافح الآن أيدى الدبلوماسيين القادمين من شتى أنحاء العالم ، وهو يقف وراء عرفات مباشرة ، فى حفل الاستقبال الذى أقامته منظمة التحرير .

بدأ الأمر كما لو كان الاسرائيليون قد استسلموا بعد الصدمة التى تلقوها فى « ليليهامر » بالنرويج ، وتخلوا عن مطاردة الرجل الثانى عشر . لكن الحقيقة أن ما سمى بعملية « ثأر الرب » ، قد تأجل تنفيذه . ومايزال العملاء ينتظرون فرصة مواتية ، وأتت هذه الفرصة فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٦ ، حين كان « على » يتنزه فى بيروت بدون حراسة وأطلق عليه الاسرائيليون رصاصتين ، وقع بعدهما على الأرض ، لكنه نجا هذه المرة أيضاً ، فقد نقلته عربة إسعاف كانت قريبة إلى المستشفى ، وأجريت له عملية استرد بعدها قوته .

وعرف « على حسن » أن الاسرائيليين سيطاردونه طول العمر ، لكنه يؤمن بالقضاء والقدر . وقال مرة لأحد الصحفيين : « إنى لست خائفاً ، وأنا أعرف ، أنى حين سيأتى علىّ الدور ، سينتهى كل شىء ، ولا يمكن لأحد أن يوقف القدر » .

***

قبل عيد ميلاده الثلاثين ، فى ١٣ مايو ١٩٧٦ كان القائد « جوناثان نيتانياهو » يتحدث الى صديق له عن الموت : فقال : « حين سأكون فى الثلاثين ، سأظل بضعة أعوام بعدها على قيد الحياة . » وكان قبل ذلك يقوم فى احدى رسائله : « أن الموت لا يخيفنى ، بل إنه يوقظ فى الفضول . وحياة بلا هدف هى حياة بلا معنى . واذا كان من الضرورى ان نموت من أجل ان نصل الى شىء مهم ، فأنا مستعد لهذا » .

وفى يوم ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٧٦ سمع « جوناثان » من الراديو أن طائرة تابعة لشركة ايرافرانس كانت فى الطريق من تل ابيب إلى باريس ، قد اختطفت وحين وضح فى اليوم التالى أن المختطفين نزلوا فى « عنتيبى » باوغاندا ، وأن الرئيس الاوغاندى « عيدى أمين » لم يتصرف حيالهم ، طلب رئيس الموساد « حوفى » ، الضابط « جوناثان » واستدعاه الى مقر الرئاسة ، ليسأله عما إذا كان يمكن لإحدى الوحدات الخاصة التابعة للموساد ، أن تحرر حوالى مئة رهينة ، معظمهم من اليهود ، من أيدى الفدائيين الفلسطينيين والألمان .

ووجد « جوناثان » أنه بالإمكتن اقتحام مبنى المطار إذا استطاعت قوات الجيش أن تحل مشكلة النقل لمسافة ٣٦٠٠ كيلو متراً ، وإذا توفر لجهاز المخابرات معلومات أكثر تفصيلاً عن مطار « عنتيبى » ، وأصبحت الخطة اكثر دقة ، كما أصبح « جوناثان » قائد العملية .

بنى « جوناثان » على غرار مطار « عنتيبى » نموذجاً مشابهاً ، ووضع اكياساً من الرمل بدلاً من حوائط المطار الخارجية ، حيث يحتفظ الفلسطينيون برهائنهم . واستمر القائد يدرب رجاله لقطع مسافة ١٤٠٠ متراً من مهبط طائرة النقل « هرقل » الى مبنى المطار فى أسرع وقت يمكن إنجازه . وحسب الوقت بساعته : ١٢٠ ثانية . وحتى آخر لحظة كان « جوناثان » يتوقع إلغاء خطته . فهو لا يثق كثيراً فى شجاعة السياسيين الاسرائيليين . لكنه هذه المرة كان مغالطاً . فرئيس الوزراء « رابين » أمر بتنفيذ عملية « قصف الرعد » .. ونزل « جوناثان » برجاله فى مطار « عنتيبى » ليلاً ، واقتحمت وحدة المهام

الخاصة المبنى وقتلت « الفدائيين » وحررت الرهائن . ولكن ، فى طريق العودة الى الطائرة ، أطلق جندى أوغاندى النار من مسدسه الأوتوماتيكى دون أن يلمحه الاسرائيليون فى الظلام .

وسقط « جوناثان » مصاباً فى ظهره ، بينما كان الرهائن وعملاء الموساد على متن الطائرة يشربون ويحتفلون .

*

***

*

فى أوائل يناير عام ١٩٧٩ تلقى « على حسن سلامة » تحذيراً جديداً ، ومن جهة لم يكن يتوقعها . أتى هذا التحذير من قادة المسيحيين المارونيين ، أشد الأطراف عداوة للفلسطينيين ، ولكنهم يرتبطون الآن بعلاقات طيبة مع « على سلامة » بعد زواجه بالفتاة الكاثوليكية « جورجينا رزق » . وقد أخبره هؤلاء القادة أن وحدة خاصة اسرائيلية تتعقب أثره ، وضاعف « أبوحسن » حراسه إلى أربعة أشخاص .

وصدقت معلومات المارونيين . ففى نوفمبر عام ١٩٧٨ سكنت احدى الانجليزيات باسم « ايريكا ماريا شامبرز » فى نفس الشارع الذى يقيم فيه « على حسن » ، وبالذات تجاه منزله ، وهى تتكلم الألمانية ، وتلتقى كثيراً برجل أعمال انجليزى يسمى « بيتر سكرايفر » (يحمل جواز سفر رقم ٢٦٠٨٩٦) وينزل فى فندق « ميديترينيان » ويستأجر سيارة من شركة « ليناكار » طراز فولكس ڤاجن جولف سوداء . أما الثالث فى العصابة فهو مواطن كندى يسمى « رولان كولبيرج » (جواز سفر رقم ١٠٤٢٧٧) وينزل فى فندق « رويال جاردن » ويتظاهر بأنه رئيس قسم المبيعات فى شركة تبيع أدوات المطبخ .

وقد اتضح بعد ذلك أن كل هذه الأوراق مزورة ، وأن العناوين للتمويه فقط ، أما الثلاثة فكانوا من عملاء «الموساد » .

فى الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم ٢٢ يناير ١٩٧٩ أوقف « سكاريڤر » سيارته الجولف السوداء أمام منزل « على » .

وكانت « شامبرز » التى وجد فى منزلها بعد ذلك منظار مكبر دقيق ـ تعرف كل تفاصيل حياة « على حسن » اليومية ، تعرف مواعيده ، وتعرف أن « الأمير الأحمر » سيخرج الآن من بيته ليركب سيارته الأمريكية الفخمة ، التى تقف أمام السيارة الجولف تماماً .

فى الساعة الثالثة و ٣٥ دقيقة خرج « على حسن » من بيته . وفى اللحظة التى مر فيها أمام السيارة السوداء الجولف ، هز الشارع كله انفجار عنيف ، وتطايرت أشلاء آدمية ، وتناثرت بقايا سيارات فى الجو ، وعم الدم والدخان كل مكان .

فقد اشعلت « ايريكا ماريا شامبرز » القنبلة الموضوعة فى الجولف ، من غرفتها . وقتل « على حسن » مع حراسه الأربعة ، كما قتل أربعة من المارة وجرح ١٨ شخصاً .

غادرت ايريكا غرفتها رعباً من الدقائق القادمة . وذهبت فوراً الى ميناء « جونيه » الذى يبعد عشرين كيلو متراً ، حيث كان ينتظرها قارب اسرائيلى . وسافر « سكاريڤر » إلى أثينا بطائرة تابعة لشركة طيران الشرق الأوسط ، بينما غادر « كولبرج » بيروت على طائرة تابعة لشركة لوفتهانزا ، الى فرانكفورت .

*

***

*

بعد عام من موت « على حسن سلامة » أطلق اسمه على أحد شوارع بيروت وبعد ثمانية أشهر من موت « جوناثان » أطلق اسمه على أحد شوارع القدس .

الفصل الثانى

(١) تاريخ الموساد : أخطاء جواسيس
(سيدنا) موسى (عليه السلام) والعهد
مع الشيطان

(٢) التدريب على مئة طريقة للقتل ، أو :
كيف يصبح المرء عميلاً

الفصل الثانى

المنظمة

١ ـ تاريخ الموساد : أخطاء جواسيس (سيدنا) موسى (عليه السلام) والعهد مع الشيطان
٢ ـ التدريب على مئة طريقة للقتل ، أو كيف يصبح المرء عميلاً .

***

أخطاء جواسيس (سيدنا) (موسى عليه السلام):
والعهد مع الشيطان :

إن أول عملية تحسس يهودية تعود إلى تاريخ بعيد جداً ، حيث جاء فى التوراة ، أن الرب كلم موسى ليرسل رجالاً الى أرض كنعان التى سيعطيها لنبى اسرائيل .

وبهذا اختار موسى (عليه السلام) رجلاً من كل سبط من الأسباط الاثنى عشر ، وأمرهم ان يصعدوا الى الجبل فى الجنوب ويختبروا الأرض ، والشعب الساكن فيها ، وهل هو قوى أو ضعيف ، قليل العدد أو كثيره ، والمدن التى يسكنها ، أهى مخيمات أم حصون والأرض ، أهى غنية ، وفيها شجر .. »

ولا يعترض رجال جهاز المخابرات الاسرائيلية اليوم على (سيدنا) موسى (عليه السلام) ، ولكن أحد نواب رؤساء الموساد السابقين ،

وهو : چاكوف (يعقوب) كاروز ، قال لى (للمؤلف) فى بيته فى تل أبيب :

« كان على موسى ألا يختار رجاله من طبقة اجتماعية واحدة ، من صفوة الأسباط وكان عليه ألا يختار ممثلا عن كل سبط ، بل كان عليه أن يختار أقدر الرجال . لأن اختيار الصفوة الاجتماعية والسياسية والحزبية فى عملنا ، يعد خطراً الى حد الموت » .

وعلى كل حال ، فإن « الجواسيس » الاثنى عشر أتوا بعد أربعين يوماً بمعلومات معقولة فالأرض تفيض باللبن والعسل ، لكن الشعب الساكن فيها شعب قوى ، والمدن محصنة .

وما حدث بعد ذلك بهذه المعلومات كان كارثة حقيقية ، كما قال « كاروز » وغلطة موسى (عليه السلام) الثالثة كانت ، فى أنه ، بدلا من أن يشكل هيئة غير حزبية ، تفحص الاخبار وتزنها بهدوء ، فإنه ترك تقييم الأمر للرجال الذين أرسلهم ، وهكذا فإن الأمر وصل إلى حد الشجار بين الأسباط ، والذين ظنوا أنه من المستحيل غزو هذه البلاد ، وبين هؤلاء الذين نصحوا بالهجوم .

ولم يستطع الخائفون « المتوجسون » أن يفرضوا رأيهم ، وإلا لكان وجه التاريخ قد تغير ، ولم يدخل أبناء اسرائيل أرض كنعان أبداً ، وكان يمكن أن ينتهى الشعب اليهودى عند هذا الحد .

لكن الرجال الذين حذوا حذو هؤلاء الوارد ذكرهم فى التوراة ، والذين أسسوا شبكة المخابرات اليهودية الحديثة ، مارسوا الجاسوسية « ليؤمنوا وجود الشعب اليهودى » كما يقولون . وكان آرون آرونسون واحداً منهم .

كان « آرون » فى السادسة من عمره ، حين أتى مع والديه عام ١٨٨٢ من رومانيا واستقروا جميعا عند جبل الكرمل فى فلسطين ، التى كانت أيامها جزءاً من الامبراطورية العثمانية وقد قدم مع آرنسون فى ذلك الوقت آلاف من المهاجرين اليهود إلى فلسطين . وأتى معظمهم من

روسيا وأوروبا الشرقية ، وكانت أول موجة هجرة جماعية الى « الأرض الموعودة » ، التى لم يكن فيها حتى ذلك التاريخ سوى بضع جماعات يهودية قليلة ، تتكون من الحجاج المؤمنين الذين يريدون أن يموتوا ويدفنوا فى الأرض المقدسة . أما اليهود المهاجرون الشرقيون فلم يكن هدفهم الصلاة أو الحج ، لكنها كانت مسألة هروب بالنسبة لهم ، أو قضية بقاء . ففى مارس عام ١٨٨١ قُتل القيصر الكسندر الثانى قيصر روسيا ، بقنبلة وضعها متآمرون ، وكان من بين المتآمرين يهودى ، ومن هنا بدأت ملاحقة الأقلية اليهودية فى روسيا فى كل مكان ، ملاحقة دموية عنيفة .

لكن الأرض الموعودة ، التى تجرى فيها أنهار العسل واللبن ، كانت صدمة للمهاجرين . وكان قطاع الطرق يجعلون المستعمرات اليهودية غير آمنة ، حيث يبنى اليهود بيوتهم من الأخشاب ، ولذلك كانوا يحملون مسدسات ضخمة يضعونها فى وسطهم ليحموا مزارعهم واتفقوا بادىء الأمر مع العرب لصد هجوم اللصوص .

لكن « آرون آرونسون » كان أسعد حالاً من هؤلاء اليهود . فقد كان من اليهود المقيمين أصلاً وهو يتلقى أموالاً من صندوق الإعانة التى اكتتبه المليونير اليهودى الفرنسى البارون « روتشيلد » للمهاجرين الجدد . واستطاع آرون (أو عارون) أن يدخل مدرسة الزراعة فى يافا لشدة اهتمامه بالنباتات ، وحصل على منحة دراسية لإتمام تعليمه فى المعهد الزراعى فى « جريجنون » بفرنسا .

وحين غادر فلسطين فى عام ١٨٩٤ كان يعيش فيها حوالى ٤٠ ألفاً من اليهود فقط ، وهو رقم لا يبلغ عشر تعداد سكان فلسطين من العرب .

كان « آرون آرونسون » فى باريس حين طرد الضابط اليهودى « الفريد درايفوس » من الجيش الفرنسى ، علما بأنه كان أول يهودى يصل الى رتبة عسكرية فى فرنسا . وقد اتُهم « درايفوس » بأنه يعمل جاسوساً للرايخ الألمانى وحكم عليه بالنفى إلى إحدى الجزر . ورغم أن

الأدلة كانت ضعيفة ، إلا أنه لوحظ أن الضغط كان شديداً عليه منذ بداية المحاكمة ، لأنه يهودى . وكان واضحاً أن المحكمة والصحافة والشعب الفرنسى كله ، كانوا ضد اليهود ، حتى أن الجماهير الفرنسية صاحت :

« الموت لليهود » حين أعلن الحكم .

هال الأمر « آرونسون » ولكنه لم يكن صحفياً ولا كاتباً ليستطيع أن يعبر عن فزعه إنما كان هناك من يكتب ، وهو « تيودور هيرتزل » وكان مندوباً لصحيفة : « الصحافة الجديدة الحرة » ومحررا للحوادث والمحاكم .

كانت محاكمة « درايفوس » بالنسبة له ، هى نهاية الوهم اليهودى بامكانية الاندماج فى الشعوب الأوروبية الغربية وفى معاملة الشعب اليهودى على قدم المساواة مع سواه من الشعوب ، كالفرنسى والألمانى .

ففى روسيا تحت حكم القياصرة ، كان اليهود مضطهدين ، وألحت عليهم الحاجة فى أن يظلوا مشدودين بعضهم الى بعض ، فحافظوا بذلك على استمرارهم ، لكن الأمر كان يختلف فى أوروبا الغربية . فقد بدا أن اليهود يستطيعون أو يرغبون فى أن يكونوا مواطنين مثل سواهم ، ليتنازلوا بذلك عن نوعيتهم القومية .

كتب هيرتزل تحت تأثير انطباعه وانفعالاته بمحاكمة « درايفوس » كتابه : « دولة اليهود » وأتمه فى أحد فنادق باريس . وأصبح الكتاب برنامج اليهود من أجل وطن قومى .

وحسب رأى « هيرتزل » ، فإنه لا يبنغى أن يكون هذا الوطن فى فلسطين بالضرورة ، بل فى أى مكان ، [حيث يقول] : « أن يكون لنا بلد ، يُسمح لنا فيه أن تكون لنا أنوف معقوفة ولحى سوداء وسيقان مقوسة ، دون أن يكون ذلك سبب ليحتقرنا الآخرون » .

أما الكلام عن فلسطين بالذات ، فهو فى رأيه ، كلام نابع عن أسباب نفسية تتعلق « بالأسطورة » ذات القوة .

أما عن حقوق الفلسطينيين فى بلادهم التى يعيشون عليها وفيها ، فلم يتكلم « هيرتزل » ، ولم تشغل باله هذه القضية ، بل إنه يقول : « إن الأهالى الذين يعيشون فيها يجب أن ينزاحوا الى خارج الحدود ، دون أن يلاحظ ذلك أحد ، وذلك بعد أن يكونوا قد قاموا بأكثر الأعمال خشونة وقسوة من أجل بناء وتعمير « دولة اليهود » .

لم يتعرف « آرون » على هيرتزل ، وهو بالتالى لم يُدعَ أبداً الى أي مؤتمر من « المؤتمرات الصهيونية » التى عقدت فى الأعوام التالية . وعاد سنة ١٩٠٢ بدبلوم كخبير زراعى من فرنسا الى فلسطين وبدأ يستثمر الأرض الزراعية . وكان « آرون » على يقين تام بأنه فى فلسطين بالذات ستقوم دولة يهودية .

خلال تلك الفترة تمت موجة الهجرة الثانية وذلك بين عامى ١٩٠٤ و١٩١٤ حيث تدفق أكثر من أربعين ألف يهودى الى البلاد ، ومعظمهم من روسيا أيضاً ، لكنهم كانوا يحملون هذه المرة أفكارهم الشيوعية التى تأثرت عن اقتناع كامل بالثورة الروسية : فأسسوا ما يسمى بـ « كيبوزيم » وهى نوع من أنواع المزارع الجماعية ، وأرادوا بذلك كما قالوا : « غزو أرض الوطن بأيديهم » .

ولما كان البوليس التركى العثمانى لا يريد حماية هذه المستعمرات ، ولا يستطيع أيضاً ، فقد أسس هؤلاء المستعمرون الجدد حرسهم الخاص باسم : « هاشومير » ، وقد انتشر هؤلاء بشكل سرى فى مجموعات فى كل فلسطين ، وكانوا مسلحين . وعلى اتصال دائم بعضهم ببعض ، وكانت هذه نواة الجيش الاسرائيلى الحديث .

وبينما كانت عمليات « الهاشومير » مقتصرة على فلسطين ، فإن « آرونسون » قام بعقد صلاة وإقامة علاقات أبعد من ذلك . فكان يرتحل فى الأعوام الأخيرة كثيراً ، وسافر إلى أمريكا وإلى انجلترا ، وتأكد لديه من خلال محادثاته مع زعماء اليهود فى أمريكا وفى انجلترا ، بأن اليهود لا يمكنهم إقامة دولتهم إلا بمساعدة الانجليز ، ولذلك كان يجب أولاً تمكين الانجليز من غزو فلسطين .

فى نوفمبر عام ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ضد انجلترا . وقررت « المنظمة الصهيونية العالمية » اتخاذ الحياد الكامل ، بالرغم من اختلافها فى قضايا عديدة واعتبر « آرنسون » هذا الحياد غلطة كبرى . فقد كان على ثقة من أن الامبراطورية العثمانية يجب أن تزول ، وأن تنزع فلسطين من سيطرة الأتراك عليها ، ولذلك أسس مع أصدقائه « شبكة جاسوسية » سماها « نيلى » ، وهو اختصار لجملة جاءت فى التوراة عن بنى اسرائيل .

كانت شبكة « نيلى » تنقل المعلومات الى الانجليز ، وكانت الاتصالات تتم عبر البحر . فمن مزرعة « آرونسون » التجريبية يسافر كل ليلة اعضاء « نيلي » عبر البحر ، حيث يلتقون بأعضاء جهاز المخابرات البريطانية ، والحمام الزاجل ينقل المعلومات السرية ، وبهذا نشأت أول شبكة جاسوسية (يهودية) حديثة .

بدأ اهتمام البريطانيين يتزايد لمعرفة قوة الجيش التركى ، وقواده ومستودعات أسلحته وفى اكتوبر عام ١٩١٦ سافر « آرونسون » إلى لندن ليقابل الزعيم الصهيونى « حاييم وايزمان » السياسى البريطانى ، وأنبأه أن هناك خطراً يتهدد شبلكته فى فلسطين ، وهذا الخطر يأتى من أهل بلده ، فمنظمة « الهاشومير » العسكرية علمت بأمر نشاط شبكة « نيلى » ، وهم يخشون أن يشدد الاتراك ضغطهم على اليهود ، إذا علموا بأخبار مهمة التجسس التى تقوم بها « نيلى » بينما كان أعضاء « الهاشومير » يفكرون ، فيما إذا كان من المستحسن إفشاء سر إخوانهم فى الدين عند الاتراك ! وسبقتهم الى اتخاذ القرار حمامة زاجلة . فبدلاً من أن تهبط الحمامة عند البريطانيين وهى تحمل لهم رسالة مختومة بختم الشبكة ، حطت فى بلاط الدولة العثمانية ، بالذات فى بلاط والى قيسارية .

وطارت أنباء جواسيس « نيلى » وكان رد العثمانيين عنيفاً ، فاقتادوا الكثيرين من اليهود الرجال فى سلاسل وعذبوهم وقتلوهم ،

وأطلقت سارة « آرونسون » شقيقة آرون النار على رأسها ، لأنها لم تعد تحتمل التعذيب .

كان الأتراك يرون فى كل يهودى جاسوساً لبريطانيا . فشنوا حملات على اليهود جميعاً ولاحقوهم فى كل القرى والمستعمرات السكنية فى صحارى سوريا الكبرى وفى الأناضول .

لكن « آرونسون » وصل إلى هدفه ، رغم كل هذا : ففى يوم ١٩١٨ احتل الجيش البريطانى البلاد بقيادة « آلينبى » ولم يبق فى ذلك الوقت من اليهود (فى المنطقة) بعد الجوع والمطاردة سوى ٥٥ ألفاً فقط .

ومات « آرونسون » فى حادث طائرة غامض فى مايو ١٩١٩ . لكنه قبل أن يموت عاش مع الخطوة الأولى فى الطريق إلى تكوين دولة اليهود . وإليه يرجع (الفضل) وإلى نشاط فريق الجاسوسية التابع له وإلى براعة « وايزمان » فى التفاوض فى إعلان وعد « بلفور » وزير الخارجية البريطانية عام ١٩١٧ ، فقد صدر من المجلس الوزارى البريطانى قرار التعاطف مع كفاح اليهود ليكون لهم أمة . وجاء فى الاعلان ، « أن حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين العطف لإنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستعمل بوسعها للوصول الى هذا الهدف » .

ويضيف ، « أنه لا ينبغى أن تُمس الحقوق الدينية والوطنية (للجماعات) غير اليهودية التى تعيش فى فلسطين .

فى عام ١٩٢٠ أصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطانى بناء على قرار عصبة الأمم لكن إنشاء دولة اليهود مايزال ــ كما كان ــ بعيد المنال . فحسب المفاهيم الاستعمارية وعدت انجلترا اليهود بفلسطين ، كما وعدت العرب إذا قاموا بثورة على الأتراك ، وكذلك وعدت الفرنسيين فى اتفاق سرى بتقسيم البلاد بالنصف .

كانت بريطانيا فى ذلك الوقت لا تعرف الصداقات ، وإنما المصالح . ومصالحها الشخصية فقط . وهى تعنى : تأمين الطريق الى الهند ، والهدوء فى الشرق الأوسط .

فى عام ١٩٢٠ حدث أول صدام عدائى منظم بين الشعب العربى الفلسطينى وبين اليهود . فقد غضب العرب من توسع اليهود فى أراضيهم وانشاء اكتتاب للتعمير والبناء فى نفس العام ، يمكن بواسطته شراء أرض شاسعة من كبار الملاك وإعطائها لليهود المقيمين ، فأصبح بذلك من الصعب على الفلاحين الصغار أن ينافسوا اليهود ، وتحولوا إلى أيد عاملة رخيصة الثمن .

اشتدت الاضطرابات ولم تعد منظمة « الهاشومير » تفى بالغرض . فاليهود يحتاجون الآن إلى تنظيم دفـاعى كنظام « المليشيات » .. وهكذا تأسست عام ١٩٢٠ « الهاجانا » أى « الدفاع » باللغة العبرية . وفى غضون بضعة شهور أسس المستعمرون اليهود فرقة قوية ، أصبحت فى السنين التالية جيشاً مسلحاً تسليحاً قوياً ، قام بالتدخل فى أحداث عام ١٩٢٩ و ١٩٣٦ .

لكن الوضع استمر يتأزم . والعرب يطالبون الآن بالتوقف الفورى لهجرات اليهود الى فلسطين ، التى قفزت اعدادها وأصبحت تتم فى شكل هروب جماعى الى فلسطين .

ففى ألمانيا حدثت أكبر ملاحقة لليهود وقفز عدد المهاجرين الجدد فى عام ١٩٣٣ الى ٣٠ ألفا ، وفى العام التالى وصل الى ٤٢ ألفا ، وبلغ الذروة فى عام ١٩٣٥ حيث قفز الى ٦٢ ألفاً .

اشتد قلق العرب بصورة خاصة ، لأن بين المهاجرين الجدد علماء ومهندسين ورجال أعمال واقتصاد وخبراء إدارة وسياسيين ، وبهذه النماذج الجديدة المثقفة يمكن تكوين دولة يهودية .

كان على الفلسطينيين الذين يعيشون فى هذه الأرض ، منذ ألفى عام أن يضعوا فى حساباتهم أن اليهود فى فلسطين سيشكلون الأغلبية قريباً ، وسيكون بامكانهم تحقيق فكرة دولتهم » .

بدأت عصابات عربية منظمة تقوم بأعمال العنف ضد اليهود والانجليز وكذلك العرب المعتدلين ، وكانت هذه الفرق (الغاضبة) تدمر حدائق الفواكه والكروم وتحرق الغابات وحقول القمح والغلال وتخرب

القطارات والشوارع وتحطم مواسير المياه . وكان العرب المتعصبون منهم يهاجمون المستعمرات السكنية اليهودية ، ويغيرون على فرق النقل الانجليزية ويقتلون السياسيين العرب الذين يقفون ضدهم .

وحتى تظل بريطانيا سيدة الموقف ، اتفقت مع جيش الدفاع اليهودى ، الذى كانت تقف حذرة منه حتى الآن ، وتم عقد اتفاق سرى بأن تورد بريطانيا أسلحة لأعضاء « الهاجانا » ، وتدرب بعض رجالها ، واستطاعت بريطانيا بمساعدة « الهاجانا » أن تخمد الثورة العربية ، دون أن تفطن الى أن الاسرائيليين يستغلون الفرصة ويتجسسون على سلطة الانتداب بكل قواعد فن التجسس .

ومن أجل هذا الغرض أنشأت « الهاجانا » فرعاً خاصاً بها للمخابرات يسمى « شاى » «Shay» وكان رجال « شاى » يسمعون أحاديث الانجليز التى كانت تدور عبر اللاسلكى . وكانوا يتصنتون على تليفونات قادة العرب ، كما يتصنتون على ما يدور فى المؤتمرات ، ويجلسون بآذان صاغية فى المقاهى والمطاعم ، وكانوا موزعين فى كل مكان ، كموظفين فى مكاتب البريد ، وصحفيين ، وسكرتيرات ، وجرسونات فى المطاعم الكبيرة ، وعاملات على التليفونات . وفى خلال شهور قليلة كان لجهاز « شاى » آلاف من العاملين ، ينقلون معلوماتهم الى « الهاجانا » وحتى نهاية عام ١٩٣٦ كانت فلسطين كلها مغطاة بشبكة جاسوسية يهودية .

كان أعضاء « شاى » يشعرون بمدى قوتهم ، حتى أنهم قاموا باتصالات مع اكبر أعداء اليهود ، وهم النازيون ، وعقدوا معاهدة مع « الشيطان » ، مع أحد قادة الرايخ الثالث ، وهو : « هاينريش هيملر » .

منذ عام ١٩٣٣ جرت محاولة من جانب أحد اليهود وهو « حاييم ارلوسوروف » لاجراء حوار مع ألمانيا الهتلرية . وكان « ارلوسوروف » من الأعضاء البارزين فى « الوكالة اليهودية » ، كما كانت المنظمة الصهيونية تسمى منذ عام ١٩٢٩ . وكان منصبه كرئيس وزارة فى دولة

اسرائيل لم تكن موجودة آنذاك ، بعد .

كان يقابل رجال اتصالات يهود وألمان فى برلين لمناقشة احتمالات التصفية الجماعية لليهود أو ترحيلهم من ألمانيا . وبعد عودته مباشرة من ألمانيا ، اغتيل فى الطريق العام عام ١٩٣٣ ، ومن المحتمل أن يكون القاتل من خصومه المعارضين لرحلته وتفاهمه مع النازيين ..

أدى أمل الاسرائيليين فى إمكانية إنقاذ أبناء جنسهم فى ألمانيا من أسوأ مصير ، إلى تأسيس « القسم اليهودى » الذى شارك فى انشائه « ليوبولد فون ميلدن شتاين » .

وقد وضعت قضية حل مشكلة اليهود على رأس القائمة فى المركز الرئيسى لجهاز الأمن فى برلين ، الذى حيكت حوله كثير من الاشاعات ، والذى يتصل به « القسم اليهودى » وقد تصدرت هذه القضية القائمة لأسباب انسانية ، وذلك بترحيل ٦٠٠ ألف يهودى من ألمانيا . وبهذا يضرب عصفوران بحجر : أولهما ابعاد « الجرثومة اليهودية » من جسم الشعب الألمانى السليم ، وثانيهما : تهيئة صعوبات ومشاكل للانجليز ، الذين يريدون ايقاف هجرة اليهود الى فلسطين مراعاة للعرب . وقد صدر نص فى ذلك الوقت فى ١٥ مايو عام ١٩٣٥ يقول بأنه : لن يمضى وقت طويل حتى تستقبل فلسطين أبناءها الذين ضاعوا منها منذ ألف عام ، ونأمل أن تصاحبهم أمنياتنا مرتبطة بالرخاء » .

كان الاتصال بين جهاز الأمن النازى وبين الهاجانا يتم عن طريق مراسل ألمانى فى القدس . وقد انتدب جهاز المخابرات « شاى » رجل الاتصالات « فايڤل بولكيس » ليقوم بهذه المهمة ، وسافر « پولكيس » فى فبراير عام ١٩٣٧ الى برلين وقام بالاتصال بجهاز SS الألمانى .

أقيل « ميلدنشتاين » من منصبه ، وكان « هيملر » هو الرجل القادم فى قسم شئون اليهود . وأصبح « هربرت هاجن » هو الرئيس الجديد « للقسم اليهودى » ، وكان مستشاره فيما يتعلق « بالصهيونية » هو « أدولف أيخمان » وهو الذى يتولى رعاية الضيف القادم من فلسطين .

ظل الألمان مهتمين بترحيل اليهود خارج الرايخ . ولهذا قام « آيخمان » و « هاجن » فى سبتمبر عام ١٩٣٧ بزيارة سرية الى فلسطين ، لكنهما لم يستطيعا مغادرة السفينة لأن سلطة الانتداب البريطانية كانت قد اغلقت جميع منافذ الحدود قبل أيام .

سافر « پولكيس » مندوب « شاى » خلف زميليه الى القاهرة حيث ترسو السفينة ، واتفق مع الرجلين الألمانيين أن يرسل الألمان رجل اتصالات يهودى الى برلين ليقومن بترتيب الهجرة اليهودية .

كان اغلاق الحدود قد أثر تأثيراً سيئاً على اليهود ، لكنهم كانوا مستعدين له . فقد بدأوا قبل عام ١٩٣٧ بالاستعلام عن طرق سرية للهجرة .

وفى لقاء سرى فى تل أبيب قام بعض قادة الكيبوتس Kibbuz ، موفدين من قبل « الهجانا » و « شاى » بتشكيل منظمة « للهجرة غير المشروعة » وكان اسمها « موساد الياه بيت » وظل هذا الاسم رمزاً لجهاز المخابرات الاسرائيلية فيما بعد . وقد اتخذت المنظمة السرية مقرها الأوروبى فى باريس فى البداية ، وأرسلت أحد عملائها كرجل اتصال بينها وبين جهاز الاس اس SS الألمانى الى برلين .

اتفق الطرفان على هجرة ٤٠٠ يهودى كل أسبوع ، فى البداية ، وكان على رئيس ال SS « راينهارد هايدريش » أن يؤمن لهم آماكن على أية سفينة ، للتأكد من أول رحلة . وفى مارس عام ١٩٣٩ غادر ٢٨٠ يهودياً الرايخ الألمانى فى طرق سرية عبر ڤيينا ويوجوسلاڤيا واليونان ورسوا فى فلسطين .

لكن اندلاع الحرب (العالمية الثانية) غيّر كل الخطط التالية . « وتمزق الحلف مع الشيطان » . لكن آيخمان (أو آيشمان) ظل يعمل حتى نهاية الحرب . وتمت تحت قيادته المرحلة الثانية لإنهاء حياة

حوالى ٦ ملايين يهودى (فى المانيا)(١)

(١) فى كتابه « جهاز الاستخبارات السرية الاسرائيلية » ذكر المؤلف « ريتشارد ديكون » قصة الاتصال بين آيخمان وهيلمر من جهة وبين اليهود من جهة أخرى وأدلى فيها بتفاصيل مذهلة .

وهو يقول ، أنه لم يكن هدف الألمان ترحيل اليهود ، ولكن فريق وحده خاصة تابعة لـ اس اس الألمانى النازى توصل إلى طريقة القتال اليهود باستامبول والدول الغربية ، فحاول استغلالهم لخدمة الرايخ الثالث .

وفى يوم ١٩ مارس ١٩٤٤ ، يوم احتلال النازيين للمجر ، وصل إلى بودابست رجلان من اس اس أرسلهما آيخمان واتصلا بممثلى المنظمة الصهيونية للهجرة وكانا يحملان توصية من حاخام يهودى ، وطلبا مبلغ ٢ مليون دولار مقابل ايقاف إرسال اليهود المجرمين إلى معسكرات الاعتقال النازية ، مع التعهد بتمكين مالا يقل عن ١٠٠ ألف يهودى بالهجرة وتأمين قدره ٢٠٠ ألف دولار تدفعها المنظمة كعربون على أن يسلم المبلغ خلال أسبوع . ويحصل الألمانيان على عمولة ١٠٪ . ودفع الصهاينة المبلغ فعلا ، كقسط أول وثان حتى جاء رجل ليقابل المسئول الصهيونى جول براند ، وطلب منه أن يقابل آيخمان ، فوافق ، وقال له آيخمان : انه « سيبيعه » مليون يهودى من المجر أو بولونيا ، وأضاف آيخمان أنه لا يريد مالا **ولكن بضاعة وهى : سيارة شاحنة عن كل ١٠٠ يهودى و٢٠٠ طن شاى ، و٨٠٠ طن بن و٢ مليون قطعة صابون . وعرض عليه أن يذهب لاستامبول ليقابل رؤساءه فى المنظمة ويسألهم ، وإذا وافقوا فان آيخمان يقسم بشرفه أن يلغى معسكرات الاعتقال فى « أوسشفيتش » على أن يتفق مع مندوبى الحلفاء . وكان آيخمان وهيملر يريدان بذلك الاتصال بالحلفاء عن طريق التجارة باليهود .**

وحين قبض على المسئول الصهيونى جول براند بعد ذلك بقليل (بالصدفة) وطلب منه أن يغادر البلاد إلى بلغاريا الواقعة تحت الاحتلال النازى ، لم ينفذ جراند ، وظل يطلب حضور رئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية ، موشى شاريت ، إلى استامبول ، لكن روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، كان أسرع منه فأرسل مندوبه الذى سافر إلى حلب ، وفى القطار اتصل به عميل سرى بريطانى ، وتحدث إلى براند حين وصل ، لكن شاريت جنب أمله ، وفى نفس اليوم اقتاده ضابط بريطانى إلى القاهرة حيث سلمه لقيادة السجن العسكرى .

وأثناء روايته للقصة ، لم يصدقه أحد ، فقد اعتبروها غير قابلة للتنفيذ أصلا ، لأنه لا يوجد وسائل نقل كافية لكل هذه الأعداد من اليهود . وحاول اقناع المندوب الأمريكى بعد ذلك لينتقد اليهود المجرمين حسب الصفقة ، لكن المندوب لم يقتنع ، وساعده فقط على ٦٢ير شخصيته ، وظل حرا ، حتى وقف شاهدا فى اسرائيل أثناء محاكمة آيخمان بعد اختطافه من الأرجنتين .

فى يوم ١٧ مايو (آيار) عام ١٩٣٩ نشرت الحكومة البريطانية ما يسمى « بالكتاب الأبيض » لماكدونالد ، وهو الذى ينبغى أن يضع سياستها المستقبلية فى فلسطين . وبناء عليه تقتصر الهجرة اليهودية للسنوات الخمس القادمة على ٧٥ ألفاً . وبعد ذلك ، فان أى هجرة لليهود ستكون مرتبطة بموافقة الفلسطينيين ، ويمنع تماماً شراء الأراضى فى مناطق معينة من البلاد . أما الذى أزعج الصهاينة ، فهى الجملة التى تقول : « ان حكومة جلالته قررت تشديد الرقابة على الهجرة غير المشروعة وينتظر صدور إجراءات حظر أخرى .. » .

وقد حدث هذا ، فى الوقت الذى كان فيه الموساد قد بدأ فعلا بتهريب الآلاف خارج الموانىء الرسمية ، تحت ستار الظلام ، وفى الوقت الذى كانت وحدات البحرية المسلحة تستدرج بعيدا بواسطة إخباريات مزيفة عبر اللاسلكى ، وفى الوقت الذى يشترى فيه العاملون فى الموساد السفن القديمة المتآكلة من كل مكان فى اوربا ليرمموها للابحار ثانية ، وقد استطاع رجال الموساد بطريقة أو بأخرى الافلات من الرقابة البريطانية .

أقام اليهود خط مواصلات ، ذهابا وايابا ، بين السواحل الفرنسية والايطالية ، وبين فلسطين نقل الموساد مقره الرئيسى الى جنيف ثم استامبول ، وعاد فى مارس (آذار) ١٩٤٥ الى باريس ثانية . وكان رئيس جهاز الدفاع عن أمن البلاد DST الفرنسى ، الذى تكون بعده جهاز المخابرات الفرنسى ، قد ساعد الموساد الاسرائيلى فى بناء شبكة تحت الأرض فى فرنسا . وكان التعاون بين الفرنسيين وبين العملاء اليهود قوياً ، وكانت الشبكة منظمة الى حد أن أحد الصحفيين (الاسرائيليين) وهو « هيسى كارميل » كتب عن ذلك الوقت يقول أنه « قبل أن تصبح اسرائيل دولة ، كانت توجد كدولة داخل دولة فرنسا » .

أما فى فلسطين ، فقد أدت هجمات العرب على اليهود عام ١٩٣٦

التى كانت تزداد عنفاً ، وموقف البريطانيين الذى كان يزداد حدة فيما يتعلق بمسألة هجرة اليهود ، أدى كل هذا إلى انقسام اليهود على أنفسهم .

فكانت هناك « الوكالة اليهودية ، التى تريد أن تستمر فى العمل مع الانجليز وتوافق على التزام الحياد مع العرب ـ منعا لإراقة المزيد من الدماء ، وكان هناك الجيش السرى (هاجاناه) وفرع المخابرات التابع له « شاى » وهؤلاء يريدون أن يحتالوا على البريطانيين وهم مستعدون لإشهار السلام فى وجه قوارب المراقبة البريطانية ، إذا لزم الأمر ، إلا انهم هم بدورهم لا يريدون تصعيد النزاع .

ولكن كان هناك بعض الرجال الذين لا يرون فى هذا ما يكفى . ولهذا فقد أسس « ڤلاديمر جابوتينسكى » عام ١٩٣٧ : « هاجاناه ب » التى انبثقت منها « إرجون » فيما بعد . بينما جمع « ابراهام شتيرن » حوله جزءا آخر من المتطرفين وانفصل « بعصابة شتيرن » عن « إرجون فيما بعد » .

لم يكن « جابوتينسكى وشتيرن » يرهبان أي عنف . كانا يريدان نشر الارهاب : الإرهاب ضد البريطانيين ليخرجوا من فلسطين ، والارهاب ضد العرب ، لإخضاعهم أو ليهربوا من فلسطين ، إذا أرادوا .

كان جابوتينسكى واحداً من « الرؤوس » اللامعة للصهيونية . نظم فى شبابه المبكر الثورة ضد الروس فى اوديسا ، وسافر الى ألمانيا وتركيا وبولندا . وهو الذى أنشأ « الفيلق اليهودى » وهو فرقة رمزية وقفت الى جانب الانجليز فى عام ١٩٢٠ أثناء غزو القدس ، وهو أول « كتيبة » يهودية منذ عهد المسيح (عليه السلام) .

كان لبراعة « جابوتينسكى » فى الخطابة أثرها فى جمع الشباب حوله فى بولندا ، إلى أن كون منهم جماعة ، وكان من أكثر المتحمسين من أعضائها ، شاب شاحب يضع نظارات على عينيه ، يسمى « مناحم

بيجن » .

حين رأى « جابوتينسكى » أن البريطانيين لن يتركوا الأرض لليهود دون شروط ، دعا إلى الحرب « بحد السلاح » ضد سلطة الانتداب . وقد شتمه خصومه المعتدلون أمثال « بن جوريون » الذى أصبح رئيساً للوزراء فيما بعد ، ولقبه بـ « هتلر الصهيونى » ، ومات فى عام ١٩٤٠ أثناء رحلة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

فر « مناحم بيجن » فى عام ١٩٤٢ هارباً عبر بولندا وأحد معسكرات التعذيب السوفيتية ، وقدم إلى « الأرض الموعودة » ليصبح زعيماً « لإرجون » وأمر بتفجير فندق الملك داوود ، الذى كان مقراً للبريطانيين ، وكان المسئول عن مقتل ٩٢ شخصاً فى هذا الحادث . فأخذ البريطانيون يبحثون عن « بيجن » ورجاله ، ورصدوا حوالى ٤ آلاف دولار ثمناً لرأسه .

اتجه « ابراهام شتيرن » اتجاها اكثر تطرفاً بجماعته السرية ، فنادى بالارهاب الفردى . ولم يكن يقتنع بقتل المدنيين فقط ، بل إنه كان يطارد أسماء فى « قائمة الموت » التى وضعها رجاله ويطلقون النار على أصحابها أينما كانوا ، إلى أن استدرجه رجال البوليس ، شخصياً ، وقتلوه .

لكن موته لم يكن نهاية « لجماعة القتلة المحترفين » . فتحت رئاسة « اسحق شامير » رئيس البرلمان الاسرائيلى لسنين طويلة ، ورئيس الوزراء الحالى ، حكمت عصابة شتيرن عام ١٩٤٣ على « لورد موين » المندوب البريطانى الجديد للشرق الأوسط بالاعدام ، ونفذت الحكم فعلا . ويعتقد بعض المؤرخين أن اغتيال مندوب الأمم المتحدة « الكونت برنادوت » تم لحساب هذه العصابة أيضاً .(١)

---

(١) قتل الكونت « فولك برنادوت » عام ١٩٤٨ وكان رئيسا للصليب الأحمر السويدى ووسيطا تابعا لمنظمة الأمم المتحدة ، وأنقذ عشرات الألوف من اليهود من معسكرات الاعتقال النازية . لكنه اغتيل لأنه « كان لديه مخطط بتقليص دولة اسرائيل الجديدة ،

فى ١٨ يونية (حزيران) عام ١٩٤٥ كان قد مضى شهران على اكتشاف أمر معسكرات التجمع التى أوجدها النازيون ، وعن الفظائع التى ترتكب فيها ، وبعد أن مضى اربعون يوماً على استسلام الرايخ الثالث ، طلبت « الوكالة اليهودية » من سلطات الانتداب البريطانى الموافقة على دخول (١٠٠ ألف) يهودى نجوا من الموت فى المعسكرات . لكن رئيس الوزراء البريطانى الجديد « كليمنت آتلى » لم يرق قلبه « للهولوكوست » اليهودى ، وانتظر حتى أعلن فى نوفمبر (تشرين الثانى) ! أنه مستعد الآن للتصريح لـ ١٥٠٠ شخصاً فقط كل شهر بدخول فلسطين .

كانت « هاجانا » تقوم بأعمالها الارهابية ، ماتزال . فأغارت على معسكر كان البريطانيون يعتقلون فيها مئات من « المهاجرين بطرق غير مشروعة » لترحيلهم ثانية خارج البلاد ، وقتل فى الغارة كثير من الجنود البريطانيين ، واضطرت بريطانيا لإرسال قوات إلى فلسطين ، بينما لم تقتصر منظمة الموساد ، التى كانت تقوم سرا بتهريب المهاجرين الى الداخل على ادخال الهاربين اليهود ولكنها بدأت بتوريد السلاح أيضا .

بلغ القتال من أجل استقلال دولة اسرائيل ذروته . وخلق الإرهاب والارهاب المضاد حالة من الفوضى والحرمان من الحقوق ، ووجد الانجليز أنفسهم فى بداية عام ١٩٤٧ مضطرين لأن يقوموا بترحيل النساء والأطفال والأشخاص المدنيين من الانجليز ، من البلاد ، وتأمين موظفى الحكومة الباقين فى مناطق آمنة فى المدن .

فى وسط هذا الجو عرضت الحكومة البريطانية مشكلة فلسطين على

وحاول أن يأخذ منها القدس وجزءا من صحراء النقب ، كما حاول فتح ميناء حيفا للعرب ، وكذلك مطار اللد بتل أبيب . وقد اعترف « باروخ ناديل » المتهم بقتله ، بعد ٢٥ عاما ، وقال ان « برنادون » غضب من اتجاه الدولة الاسرائيلية ، حين لم تعترف بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة الى وطنهم ، وأعرب عن ذلك فى اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة ، واعترف باروخ بأن « اللجنة المركزية لعصابة شتيرن » هى التى قامت باغتياله . (المترجمة)

هيئة الأمم المتحدة وتشكلت لجنة خاصة فى الامم المتحدة لدراسة الاقتراحات المطروحة كحل للمشكلة واقترحت الأغلبية تقسيم فلسطين الى دولة عربية مستقلة ودولة يهودية مستقلة .. على أن يكون للقدس وضع خاص . ووسط دهشة الجميع أيّد الاتحاد السوفيتى هذا الاقتراح .

ووافقت هيئة الأمم المتحدة فى اجتماعها بكامل أعضائها يوم ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ على تقسيم فلسطين بموافقة ٣٣ صوتاً ومعارضة ١٣ صوتاً وامتناع عضو واحد عن التصويت .

استقبل الشعب اليهودى فى فلسطين قرار الأمم المتحدة بالترحاب ، بالرغم من أن « الوكالة اليهودية » صرحت بأن هذا التقسيم يضر باليهود ، لكنها تقبله وتوافق عليه ، حباً فى السلام فقط [!]

أما الفلسطينيون فقد بلغت بهم المرارة أقصاها . ولم يستطيعوا أن يقتنعوا ، لماذا يجب عليهم وحدهم من دون العالم كله أن يكفّروا عن الظلم الذى اقترفه العالم فى ألمانيا وفى كل مكان فى العالم ضد اليهود .

وأعلنت الدول العربية المجاورة أن قرار الأمم المتحدة ليس حيادياً وأنه لا يلزمهم بشىء . ونادى العرب فى فلسطين باضراب عام . ووصل الأمر الى إشعال الحرائق فى المستعمرات السكنية اليهودية وفى الأحياء . وساند العرب من سوريا ومن الأردن الفلسطينيين على شكل جماعات مسلحة وتحت محاصرة القطاع اليهودى فى القدس . وانتشرت الحرب فى كل مكان فى فلسطين (اسرائيل) قبل ان يعلن عن اشتعالها رسمياً .

أما البريطانيون الذين ساهموا الى حد كبير بسياستهم الاستعمارية فى ايجاد هذا الجو من الاضطرابات ، فهم يريدون الآن أن ينسحبوا . وأنزلوا الراية من على مبنى الادارة الانجليزية فى ١٤ مايو (آيار) عام ١٩٤٨ ، وبعد ذلك بساعات قليلة أعلن « دافيد بن

جوريون » فى تل أبيب تأسيس دولة اسرائيل .

فى الليلة التالية مباشرة عبرت الجيوش العربية ، مكونة من فرق من مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق الحدود الى داخل الدولة الجديدة ، ولم يفاجأ اليهود باشتعال الحرب ، فقد علم بها رجال المخابرات .

وكان سياسيو اسرائيل قد اعتمدوا على أنباء أتت بها جولدا مائير (التى اصبحت رئيسة وزراء اسرائيل فيما بعد) ، حين تنكرت فى ملابس عربية وعبرت نهر الأردن الى عمان ، حيث التقت بالملك عبدالله ، وأكد لها فى هذه المقابلة السرية أن الأردن لن تشترك فى الحرب ، لكن منظمة « شاى » لم يصدقوا تأكيد الملك بالسلام .

وكان جاسوسهم ، وهو شاب عربى وقع فى حب إحدى اليهوديات ، قد قدم إليهم خطة تقدم وسير الجيش الأردنى بدقة كاملة .

وصدق « بن جوريون » هذا الجاسوس أكثر مما صدق جولدامائير ، وأعد نفسه لمواجهة الهجوم العسكرى من كل الدول العربية المجاورة ، وبذلك كسبت اسرائيل الحرب .

هيأت فترة الهدنة التالية الفرصة « لبن جوريون » لأن يحل جميع المنظمات السرية التى كانت تعمل فى الخفاء ، وجعل منها أدوات حكم فى الدولة الجديدة وأصبحت الـ « هاجاناه » الجيش الرسمى للدولة .

ولكن لم يقبل كل المقاتلين السريين أن يعملوا فى خدمة الحكومة . وكان « بيجين » ومنظمته « إرجون » قد اعتبروا قرار التقسيم التى أقرته الامم المتحدة ، كارثة . ومجرد الاعتراف به خيانة عظمى ، فهم مقتنعون تماماً أن « أرض اسرائيل » كما جاءت فى التوراة هى ملك لليهود ، وهذا يعنى أيضاً غرب الأردن التى يسمونها « يهوديا » و « سامريا » (او السامرة) ، والقدس طبعاً ، لتكون عاصمة اسرائيل الكبرى .

فى يوم ٢ يونيو (حزيران) عام ١٩٤٨ وجدت قيادة « إرجون » نفسها على استعداد لإدماج ١٥ ألف من أعضائها فى الجيش الاسرائيلى الذى تكون حديثاً . ولفت « مناحم بيجين » نظر المفاوض الذى أرسله بن جوريون ، الى أمر يمكن أن يشكل كثيراً من الصعوبات ، وهو أمر يتعلق بالسفينة الناقلة .« التالينا ». التى ينتظر قدومها من فرنسا . وقد حملت السفينة بالسلاح وبـ ٩٠٠ مقاتلاً من منظمة « إرجون » .

وكان بيجين قد طلب البضاعة والشحنة والمقاتلين من رجاله فى اوروبا ، حين كان اليهود مايزالوا يعملون سراً . وهو يريد الآن أن يسلّم كل السلاح للجيش ، فيما عدا خمس الشحنة ، لأنه سيحتاجها لتستخدمها وحدة خاصة تابعة « لإرجون » (لتحرير) القدس . وهذه الوحدة لن تخضع أبداً لأمر أى إنسان آخر سواه .

قبل بن جوريون العرض أول الأمر ، فهو يستطيع الاستفادة من السلاح القادم ، ووافق على أن يستلمه فى مكان لقاء سرى . ولكن يتحتم على « إرجون » أن تعدم السلاح ، لو اكتشف الأمر ، حتى لا يكون للحكومة الاسرائيلية ، أى يد فى هذه العملية . فاللجنة التابعة للأمم المتحدة تراقب تنفيذ الهدنة بين العرب وبين الدولة الجديدة لأن توريد السلاح محظور رسمياً .

وابتدأ الشك يساور بن جوريون فجأة : ماذا يحدث ، لو أن « بيجين » يلعب لعبة قذرة ؟ هل سيوجد جيشان فى دولة واحدة ؟ وهل يمكن ان تقوم « إرجون » بانقلاب ضده ؟ وسحب رئيس الوزراء موافقته ، فهو لا يريد أن يكون له أية علاقة بهذه « اللعبة القذرة » .

أفرغت « التالينا ». شحنتها فى مكان سرى بأمر من « بيجين » وعلى مسئوليته الخاصة . وحين استقر حوالى ثلث الحمولة على أرض الميناء ، اكتشف رجال « إرجون » فجأة أنهم محاطون بقوات اسرائيلية رسمية ، وأن المدرعات تقف على أطراف مكان التفريغ ، وأن طائرة

بيضاء تابعة للأمم المتحدة تحلق فوق .« التالينا » : لقد وقع رجال بيجين فى مصيدة « بن جوريون » .

تعقد الموقف أكثر ، حين أمهلت قيادة الجيش « بيجين » عشر دقائق للاستسلام ولتسليم السلاح . وقال « بيجين » ، إنه يحتاج لأطول من هذه المهلة . فجأة فتحت القوات نيرانها ، وقفز « مناحم بيجين » الى قارب صغير ليأخذه الى السفينة . وطلب من قبطان « التالينا » رفع الراية البيضاء ، إلا أن الطلب جاء متأخراً . فقد بدأت المدافع تضرب جسم السفينة . ووقع القبطان الذى كان يقف إلى جانب « بيجين » ، قتيلاً ، وقتل معه ١٥ من قوات « إرجون » وغرقت « التالينا » .

قال « بن جوريون » فى نفس اليوم فى الاذاعة : « فلنبارك أول مدفع أطلق أول رصاصة على السفينة . ان هذا المدفع سيأخذ مكانه فى المتحف الحربى . لقد أعلّنا بهذا لأول ولآخر مرة أن كل واحد فى هذه الدولة يجب أن يتبع الحكومة .

أما مناحم بيجين الذى ناضل حتى وصل الى مخبئه السرى ، قال فى حديث إذاعى له ألقاه فى نفس اليوم من إذاعته السرية ، بصوت تخنقه الدموع : « لقد أراد بن جوريون أن يقتلنى . لكن لن أسمح أبداً أن يتقاتل اليهود . لهذا ، فنحن نستسلم لسلطة الحكومة » .

اتجه « مناحم بيجين » بعدها الى السياسة ، وبعد مرور السنين حوّل « إرجون » الى خزب « حيروت » الذى يرأسه الآن ، والذى يشكل الهيكل الأساسى فى اتفاق « ليكود » المتطرف ، والذى يحكم اسرائيل الآن ، لكن « بيجين » ظل وحده فى البرلمان ، وظل أكثر السياسيين تعرضاً لكراهية من الجميع . واحتاج الأمر الى أن يسبقه سبعة من السياسيين قبل أن ينجح فى الانتخابات ويصل الى السلطة عام ١٩٧٧ . وبعد عامين حصل على جائزة نوبل للسلام ، مناصفة مع الرئيس المصري أنور السادات ، لتوصل البلدين الى اتفاقية سلام .

فى الهجوم على الناقلة « آلتالينا » لعب رجل واحد الدور الرئيسى ، وأصبح هذا الرجل ، الرحل الثانى وراء رئيس الوزراء بن جوريون ، وكان يسمى : « عيزرهاريل » .

كان « عيزرهاريل » قد هاجر الى فلسطين من روسيا فى عام ١٩٣١ وعاش فى احدى المزارع الجماعية ، حيث تخصص فى إنشاء قنوات للرى ، وأتاح له عمله هذا الاتصال بالعرب فى القرى المجاورة ، فتعلم لغتهم سريعاً واستمر ينقل الأخبار الى منظمة « شاى » للمخابرات ، ويزودها بمعلومات عن القرى الغربية : معلومات عن عمداء القرى ، عن الخلافات بين العائلات الكبيرة ، عن تصرفاتهم المعادية لليهود . وبذلك انخرط هاريل ـ الذى كان يدعى « بالقصير » لطوله الذى يبلغ ١,٥٥ مترا فقط ـ انخرط فى المخابرات دون أن يشعر . وفى عام ١٩٣٦ دخل الجيش الاحتياطى الذى أسسه الانجليز ، وخضع لسلطة الانتداب . ومنذ عام ١٩٣٧ أصبح من رؤساء منظمة « شاى » .

كان « بن جوريون » يحب هذا الرجل الصامت ، « خبير المخابرات » . وأصبح هاريل رئيساً لعديد من المنظمات التى تتجسس لحساب دولة اليهود ، وبالتالى فقد كان يراقب العملية التى تمت بالسفينة « التالينا » ، إلا أن رجلاً أقوى منه وجدفى ذلك الوقت ، وكان يدعى « عيزر بعيرى » الذى كان ضخم الجثة ، طويلا ، عريض الكتفين ، وباختصار كان رجلاً كخزانة ملابس ، كما كانوا يصفونه ، بل وكان يلقب بـ « عيزر الطويل » .

كان « عيزر بعيرى » أحد الأعضاء المؤسسين لمنظمة « شاى » وعيّنه بن جوريون فى يونية (حزيران) عام ١٩٤٨ رئيساً للمخابرات العسكرية ، وكان وقتها منصباً فى غاية الأهمية . لكن « بعيرى » لم يستطع حتى ذلك الوقت أن يدرك أن أيام العمل السياسى قد انتهت . فقدكان يلاحق الخونة ، سواء كانوا خونة فعلاً أو مشتبه فيهم فقط ، ويمارس معهم شتى أنواع التعذيب . وفى أول يوليه (تموز) ١٩٤٨

أمر بمحاكمة الكابتن « مائير توبيانسكى) وحكم عليه بالموت ، ونفذ فيه الحكم بالرصاص . كان « توبيانسكى » مهندساً يعمل فى شركة انجليزية لمد الأسلاك الكهربائية . واتهم بأنه كشف للعرب مكان مخازن الاسلحة اليهودية . ولم يسمح له حتى بكتابة رسالة إلى أسرته قبل أن يعُدم .

ظلت أسرة « توبيانسكى » فترة طويلة تطالب برد شرف ! أو باستعادة سمعة المهندس ، إلى أن أوافق رئيس الوزراء على فتح ملف القضية ثانية ، واتضح أن « توبيانسكى » كان بريئاً من تهمة الخيانة ، وتحولت التهمة الى « عيرز بعيرى » الذى أكد أنه برىء ، وأن كل الأدلة كانت تدين « توبيانسكى » لكن أموراً أكثر فظاعة ظهرت أثناء سير التحقيق معه . فقد أعدم أحد العرب بتهمة التجسس المزدوج ، وعذب الكثيرين من العرب لانتزاع اعترافاتهم ، وقام بتزوير محاضر تحقيق ، وأدين « بعيرى » لكنه « نظراً لخدماته العظيمة من أجل أمن اسرائيل ، فإن الحكم اعتبر رمزياً : سجن يوم واحد . وأقيل « بعيرى » من الخدمة نهائياً .

استفاد « عيزر هاريل » من وقوع « عيزر بعيرى » وتحول الى « بن جوريون » فى عام ١٩٣٥ ليقنعه ، بأن أمور أمن إسرائيل ، ستكون أفضل ، إذا استقرت فى يد المخابرات ، التى يرأسها « رجل واحد » وهكذا نشأ « الموساد » وكان « عيزرهاريل » أول رئيس له ، وظل فى منصبه عشرة أعوام كاملة ، حقق الموساد فيها عملياته التى ذاع صيتها فى العالم كله ، واكتسب بها سمعته .

اعتمد « الموساد » على مشورة العالم الفيزيائى بروفسور « يوفال نعمان » فى أن يستخدم كأول جهاز سرى فى العالم العقول الالكترونية لاختزان كل المعلومات التى ينقلها الجواسيس من البلاد العربية . وبهذا الاستخدام استطاعت اسرائيل ان تكسب حرب عام ١٩٥٦ ، وأن تنتصر عام ١٩٦٧ .

وقد قام « الموساد » أيضاً فى هذه الفترة « بانجازاته » خارج البلاد ، كما حدث عام ١٩٦١ ، حين قام باختطاف النازى « أدولف آيخمان » من الارجنتين واقتاده الى اسرائيل . كما « زرع » الموساد جاسوسه الشهير « آيلى كوهين » فى سوريا ، الذى اندس فى الحكومة السورية حتى اكتشف أمره عام ١٩٦٥ وأعدم شنقاً فى مايو (آيار) من نفس العام[١] .

اعتمد « عيزر هاريل » على فرق عالية المستوى فى عملياته ، وكان فى هذه الفرق رجال « موساد الياه بيت » ورجال « شاى » الذين تعلموا أن يقوموا بعملياتهم فى بلاد يحكمهم فيها غرباء ، وكذلك رجال من « إرجون » وعصابة « شتيرن » ، الذين كان معظمهم على استعداد الآن لوضع خبراتهم العملية فى الارهاب فى خدمة الدولة الجديدة .

انضمت الى هؤلاء المقاتلين المجرمين المدربين جماعة تسمى « الصابرا » وهم الرجال الذين ولدوا فى الدولة الجديدة ويريدون أن يدافعوا عنها بأية وسيلة من الوسائل .

ويتذكر الآن « عيزر هاريل » كل هذه السنين وقد قال لى (للمؤلف) أثناء زيارة له فى بيته فى تل أبيب فى ربيع عام ١٩٨٠ : « يجب أن يتوقف المرء عن الحديث عن (انجازات) الموساد

---

(١) فى كتاب «جواسيس من تل أبيب» الذى كتبه المؤلف التشيكى « بوروفيتشكا » عام ١٩٨٢ وترجمه د . فتحى قعوار ، يذكر تفاصيل مسهبة عن الجاسوس ايلى كوهين الذى أعده الموساد ليكون عميلا فى امريكا اللاتينية ، لكنه فضل الشرق الأوسط ، ورسم الموساد له شخصية رجل الأعمال السورى المهاجر فى الأرجنتين باسم:(كمال أمين ثابت) . وكان كوهين يعرف اللغة العربية لأنه نشأ فى الاسكندرية . وفى الأرجنتين تعرف على صاحب مجلة العالم العربى وعلى رجال أعمال ودبلوماسيين ، ووقف على الأوضاع السياسية وكان يدعى الى الحفلات الدبيلوماسية ثم أعرب عن رغبته فى العودة إلى « بلاده » ، وحين عاد اتصل بالأوساط السياسية وقربه إليه « أمين الحافظ » حين أصبح رئيساً . لكن أمره كشفته الحكومة السورية نفسها وأعدم شنقاً . ورفضت الحكومة السورية طلب اسرائيل باستبداله بـ ١٢ جاسوساً سورياً أو دفع مليون دولار ثمناً له .

(الاسطورية) فى تلك الأيام . فقد عملنا كثيراً ، عملنا بجهد اكثر من أى جهاز آخر فى العالم ، وجمعنا من المعلومات اكثر مما فعله أى جهاز آخر . وليس هناك بلد فى العالم كان يحتاج الى هذا الجهاز كما كنا نحتاج إليه . فاسرائيل كانت محاطة بأعداء لها ، يقوم عملاؤهم بعملياتهم الارهابية فى (بلادنا) . لقد كان الموساد بالنسبة لنا قضية حياة .

ومع نجاح العمليات اشتدت ثقة الجهاز بنفسه . ووضح هذا فى تعامل جهاز المخابرات الاسرائيلية مع جهاز المخابرات الامريكى CIA الذى كان « معلما » وصديقا للموساد ، وكان هو الجهاز الوحيد، مع الجهاز الفرنسى الذى عمل مع الموساد بصورة لصيقة لمدة طويلة . وفى عام ١٩٥٦ أسس الأمريكان فرعاً لجهاز مخابراتهم CIA ، على أعلى درجة من السرية . وكانت مهمة هذا الفرع ، تنسيق التعاون والعمل بين الجهاز الأمريكي والجهاز الاسرائيلى . وكان رئيس هذا الفرع الجديذ هو « جيمس جيسون انجليتون » .

أظهر الاسرائيليون بادىء الأمر نية حسنة أمام « الأخ الأكبر » فنقلوا للجهاز الأمريكى فى ابريل عام ١٩٥٦ نص الخطاب السرى الذى كان « خروتشوف » سيلقيه فى الذكرى العشرين للحزب الشيوعى بروسيا ، والذى يعيد فيه رئيس الكرملين حساباته مع ستالين ويحذر من الثورات فى أوروبا الشرقية .

كان « انجليتون » فى ذلك الوقت يقيم فى ألمانيا الغربية فى مدينة «بادكولن» ، يكتب القصائد الشعرية فى أوقات فراغه ويزرع زهرة الاوركيد ، وكان فى الواقع يشرف على تدريب الوحدة الخاصة السرية التى كانت تتكون مئات من المجريين والتشيكيين والرومانيين والبولنديين وكانوا يتدربون تدريباً عالياً على يد خبراء من جهاز المخابرات الأمريكية CIA ومن جهاز المعلومات الاتحادى الألمانى BND وكانت مهمته التدريب هى تنظيم جماعات للقيام بالثورات والانقلابات

فى الكتلة الشرقية الشيوعية .

أمر « انجليتون » بالاسراع بالتدريب . حسب تقرير الموساد له ، لارسالهم الى اوروبا الشرقية . وأمر الرئيس الأمريكى ايزنهاور بنشر خطاب « خروتشوف » ، الأمر الذى لم يكن « انجليتون » يوافق عليه

كان لنشر الخطاب دوى القنبلة ، خصوصاً فى دول أوروبا الشرقية . وفى اكتوبر عام ١٩٥٦ قامت الثورة فى المجر ، وفى وقت مبكر عما توقعه « انجليتون » ، فلم يستطع أن يوزع عملاءه على اماكنهم المحددة ، بحيث يمكن مواجهة التقدم السوفيتى .

استمر العمل المشترك بين الموساد وبين الجهاز الأمريكى ، وكان الاسرائيليون غالباً هم الذين يفيدون الأمريكان . وبناء على اقتراح أمريكى ، ساعد الموساد فى تدريب جهاز الاستخبارات الخاص الايرانى المسمى « ساڤاك » الذى اشتهر بفظائعه والذى قام بعد ذلك بتعذيب خصوم ومعارضى شاه ايران الى حد الموت .

كما كان الامريكان والاسرائيليون يساندون حركة الأكراد فى العراق ضد النظام العراقى الذى يتقرب للسوفيت . ووضع عملاء الموساد المدرعات تى ـ ٥٤ السوفيتية تحت تصرف واشنطن ، كما أمدوهم عام ١٩٦٦ بتفاصيل عن الطائرة السوفيتية ميج ٢١ .

وفى عهد رئيس الموساد « مائير أميت » (١٩٦٣ ـ ١٩٦٨) وزفى زامير (١٩٦٨ ـ ١٩٧٤) استمر العمل المكثف المشترك بين الامريكان والاسرائيليين . ولم تحدث الهوة بينهما إلا فى عهد الرئيس (الحالى) اسحق حوفى فى ربيع عام ١٩٧٤ . إلا أن اسباب هذا الانهيار يقع على عاتق واشنطن اكثر مما يقع على عاتق الاسرائيليين ، بل إن هذه أسباب ترتبط بانهيار جهاز الاستخبارات المركزية الامريكية CIA اكثر مما حدث للموساد .

كانت أمريكا فى طريقها للتغلب على مشاكل « ووترجيت » وحرب « فيتنام » فقد ملّ الأمريكان « اللعبة القذرة » التى يقوم بها جهاز

مخابراتهم ، الذى ظل سنين طويلة يسقط السياسيين فى الخارج ، الذين كان يعتبرهم إما شيوعيين أو قوميين إلى حد لا يحتمل . ولم يفلت « انجليتون » من هذه الحملة فقد أدين أحد رجال جهاز المخابرات المركزية الأمريكية البارزين ، وهو من المقربين الى الرئيس الأمريكى « ريتشارد نيكسون » واتهمته الصحافة الأمريكية بأنه ساهم فى سقوط الرئيس التشيلى « آليند » . كما كشفت صحيفة « نيويورك تايمز » فى نهاية عام ١٩٧٤ عن فضيحة أخرى أدت الى سقوط « انجليتون » نهائياً ، وهى قيامه بمراقبة الآلاف من المواطنين الأمريكيين ، الذين كان يشك « انجليتون » بقيامهم « بأنشطة تخريبية » .

وكان منهم « مارتن لوثر كنج » وبعض الفنانين المعروفين أمثال : « جين فوندا » و « ايرثاكيد » .

بعد سقوط « انجليتون » ، ابتعد جهاز المخابرات الأمريكية عن الموساد بعض الشيء ، وبدأ العمل مع الدول العربية .

وفى لقاء مع الصحفى الاسرائيلى وخبير جهاز المخابرات « هيسى كارميل » قال (للمؤلف) : « لقد أيقظ الأمريكان فينا الشعور بأننا متفوقون عسكرياً على العرب ، وذلك لإحباط ونسف طلباتنا للسلاح ، بل إنهم (ألّفوا) معلومات عن قنبلتنا الذرية وأذاعوها على العالم » .

ولم يقف الموساد مكتوف الأيدى وبدأ ينفذ خططه (التخابرية) دون سؤال الأمريكان ، وحتى دون إخبارهم . فرتب خطة توريد السلاح الى بعض الدول مثل شيلى أو نيكاراجوا ، وغيرها ، من الدول التى تمنع أمريكا عنها السلاح بسبب « فاشية » حكوماتها .

وتكتم الموساد عن الأمريكان أخبار لقاءات السياسيين الاسرائيليين مع المصريين ، بحيث كان اتفاق الصلح بين أعدى دولتين فى الشرق الأوسط ، مفاجأة كاملة لواشنطن . وقد برر رئيس الموساد السابق « مائير آميت » هذا الموقف (للمؤلف) بقوله :

« أصبحت صورة جهاز المخابرات المركزية الأمريكية مهزوزة أمام

العالم ، وكشف أمره ، وعملنا بالذات يتطلب من الذين يعملون فيه ومعه أن يكونوا فى وضع نضمن معه التكتم الشديد . ولو أننا أخبرنا الجهاز الأمريكى CIA عام ١٩٧٧ ، فكأننا أعلّنا النبأ فى سنترال بارك فى نيويورك .

فى عام ١٩٧٩ وصل الأمر بالموساد إلى أن يقوم بعملياته ضد السياسيين الأمريكان أنفسهم ، وعلى الأرض الامريكية . فحين أصبحت الحكومة الأمريكية تستقبل منظمة التحرير الفلسطينية « بمشروعية » ، كبر ذلك على « مناحم بيجين » ، رئيس الوزراء وعلى قيادات الموساد ، الذين كانوا يعتبرونها « عصابة مجرمين » وطالب أعضاء الحكومة بوضع حد لسياسة « جيمى كارتر » الرسمية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية : اذ انه لا يسمح باتصالات مباشرة رسمية مع المنظمة ـ وادعّوا المطالبة باجراء حوار مع الفلسطينيين .

طلب رئيس الموساد « اسحق حوفى » اعطاءه « الضوء الأخضر » للقيام بعملية « التأديب » فوافق مناحم بيجين .

كان « اندرويانج » سفير الولايات المتحدة الأمريكية لدى الأمم المتحدة يمثل شوكة فى عين اسرائيل ، بسبب تصريحاته المتعاطفة مع الفلسطينيين ، ولذلك فقد كان يجب أن « يقفز فوق حد السيف » بلغة المخابرات .

كان الاسرائيليون يتجسسون على يانج فى نيويورك عام ١٩٧٩ ، وكان ممثل الفلسطينيين فى الأمم المتحدة « زهدى لبيب طرزى » أيضاً ، من السياسيين الذين يتصيد الموساد أخبارهم .

علم الموساد من مصدرين مختلفين ، أن الأمريكان سيلتقون بالفلسطينيين فى حفل يقيمه مندوب الكويت فى الأمم المتحدة لتبادل الآراء . وانتظر الموساد هذا اللقاء ، وسرب المعلومات الى جريدة « واشنطن بوست » . وأنكر « يانج » بادىء الأمر .

وتم للاسرائيليين بذلك عقاب الأمريكان على اتصالهم السرى

بالمنظمة ، وبالتالى قطع ««الود » فى الوقت الحالى . لكن الثمن الذى دفعوه كان غالياً ، فقد نشرت الصحافة الأمريكية تعليقات وتساؤلات عن السياسيين الأمريكيين الذين يمكن أن تكون أسماؤهم فى قائمة التصنت الاسرائيلى . ونشرت مجلة « تايم » قولاً لأحد خبراء الـ CIA :

« إن الاسرائيليين يراقبون الحكومة كلها فى واشنطن . انهم يذهبون بذلك أبعد من جهاز المخابرات السوفيتى .»[1] وفعل الموساد ما لا يفعله فى العادة ، فقد أنكر كل علاقة له بموضوع « يانج » .

استعاد الاسرائيليون هدوءهم بعد فترة ، وانتظروا ليروا ، كيف سيستغل جهاز المخابرات الأمريكية الحرية فى التصرف ، التى منحها له الكونجرس فى صيف عام ١٩٨٠ كرد فعل على تقدم القوات الروسية فى أفغانستان .

ويعتقد رؤساء الموساد أن جهازهم أحسن جهاز فى العالم ، وفى مركز الموساد فى تل أبيب يتصرفون على هذا النحو ، وفى محادثة جانبية قال (للمؤلف) أحد العاملين فى الجهاز بكثير من الثقة : « ان الأمريكان يحتاجون إلينا ، أكثر مما نحتاج نحن إليهم » .

كان « مناحم بيجين » يريد أن يثبت للرئيس الأمريكى السابق « جيمى كارتر » أن جهاز المخابرات الأمريكى استفاد من التعاون مع الموساد خلال العشرين سنة الماضية ، اكثر مما استفاد الموساد منه ، وأمر باصدار كشف دقيق لكل المعلومات والخدمات التى قدمها الموساد

---

(١) بعد القبض على الجاسوس الاسرائيلى جوناثان بولارد فى نشرت صحيفة « الأوبزيرفر » فى ديسمبر عام ١٩٨٥ أنه تم الكشف عن وجود شبكة مخابرات اسرائيلية سرية تعمل بشكل مستقل عن أجهزة المخابرات الرسمية فى اسرائيل . وتعمل تحت ستار معهد للأبحاث العلمية التابع مباشرة لوزارة الدفاع ويديره مسئول كبير بمكتب رئيس ا لوزراء (بالتناوب) .

وقال « ويمون واناك » رئيس شعبة الاستخبارات فى متب المباحث الفيدرالى الأمريكى FBA أنه اكتشف فى الأربعينات والخمسينات وجود مدرسة تابعة للموساد لتدريب العملاء على التجسس الألكترونى .

لـ CIA وفى إحدى زيارات « بيجين » للرئيس الأمريكى « چيمى كارتر » قدم له ملف الموساد كهدية ، ونصحه أن يلقى نظرة على الملف أثناء الليل ، ثم يمكنه أن يرى ما قدمته (الدولة الصغيرة) اسرائيل لأمريكا العظيمة .

وفى صباح اليوم التالى قال كارتر « لبيجين » ، ان هذا غير معقول ، فأنا لم أكن أعرف شيئاً من هذا . ومرة أخرى تدخل الموساد ليسهل مفاوضات رئيس وزرائه السياسية .

التدريب على ١٠٠ نوع من أنواع القتل

منذ البداية تعلم الموساد من أخطاء الآخرين فى باقى أجهزة المخابرات ، وحاول قدر الامكان تجنبها . ويبلغ عدد اعضاء الموساد ٩٠٠ عاملاً منتظماً[1] ويبلغ عدد اعضاء الجهاز الألمانى ٦٥٠٠ عاملاً والجهاز الأمريكى ٢٠ ألفاً . وهو يعتمد فى الخارج على الأفراد أكثر من اعتماده على الشبكات .

وفى الساعة الرابعة فى يوم الأربعاء من كل أسبوع يجتمع الرجال الخمسة المهمين فى أحد المكاتب عند أطراف مدينة تل أبيب . ولا يوجد ما يدل على أنه المركز الرئيسى للموساد ففى المبنى الجديد يوجد فرع لشركة استثمارات كبيرة ، وكثير من مكاتب التأمين ، ومكتب محاماة . أما شركة الاستيراد والتصدير فى الطابق العلوى منها مدخلها الخاص عن طريق مصعد من الجراج ، ولا يمكن الوصول إليه عن طريق السلم العادى ، وبذلك لا يمكن للزائر غير المرغوب فيه أن يدخل المكان . ويعمل فى هذا المكتب حوالى مئة شخص . حين يجتمع الرجال الخمسة ، يأتون من اتجاهات مختلفة ولا يدخلون معاً الى البيت . أما رئيس الموساد (الحالى)[١] « اسحق حوفى » فهو يغير سيارته كل يوم ، وغالباً ما تكون من طراز « ڤولڤو » مجهزة بزجاج ضد الرصاص وتتغير أرقام اللوحة المعدنية كل يوم . وهؤلاء الرجال الخمسة هم : رئيس

الموساد ورئيس « أمان » وهو جهاز مخابرات الجيش ، وممثل منظمة « شين بيت »[1] وهى منظمة تختص بالجاسوسية فى الداخل ومكافحة الارهاب ، ورئيس قسم الأبحاث فى وزارة الخارجية ورئيس البوليس .

نادراً ما تتخذ هنا القرارات المهمة ورئيس الموساد يتبع رئيس الحكومة مباشرة وهو مسئول أمامه فقط وحتى وزير الدفاع نفسه ، ليس اكثر من « زميل عمل » بالنسبة لرئيس الموساد ، وهو لا يستطيع أن يملى عليه أية أوامر ، والقرارارت الهامة الخطيرة تتخذ بحضور رئيس الموساد ورئيس الموساد ووزراء الخارجية والدفاع والمالية .

اشتد تأثير رئيس الموساد على السياسة منذ تولى مناحم بيجين السلطة عام ١٩٧٧ ، وكان يلتقى به كل أسبوع لتبادل الآراء ، وهو الشخص الوحيد الذى يسمح لع بالدخول على رئيس الحكومة دون اذن .

وللمو ساد طريقة فى اختيار العاملين فيه ، وهو عادة ما يطلب منهم الكثير . وعلى العضو أن يكون قد حصل على الثانوية العامة وكان تقديره جيدا فى أثناء خدمته العسكرية ويحصل على ٧٠٪ من آخر مرتب له حين يحال على المعاش ، ويكون العضو فى هذه الحالة قد بلغ ٥٢ سنة من عمره .

وليس للموساد قواعد محددة فى اختيار العاملين فيه . فهو عادة يختار الرجال الأقل وسامة ووجاهة ، ويركز على الأشكال العادية المألوفة ، وإذا ماتقدم أحدهم ليقسم على خدمة بلاده فى هذا المجال ، فإنهم يفحصون أسلوب حياته وعلاقاته مع العرب أولا ، ثم مواطن ضعفه مثل القمار أو الكذب ، ويستقصون عن النقاط السوداء فى ماضيه ، فإذا اجتاز هذه الاختبارات ، يتقدم إلى التدريس العملى الذى يستمر عاما كاملا .

---

(١) ليس للعاملين فى الموساد عدداً معروفاً .

فى الشهور الأولى يتعلم العميل مبادىء المهنة ، كما هو الحال فى موسكو وواشنطن تقريبا ، فهو يتدرب على استخدام الاصطلاحات ، وعلى التعامل مع الأسلحة النارية اليدوية وعلى طرق رياضة الجودو والكاراتيه للدفاع عن النفس ، بالاضافة إلى بعض الأمور الفنية : مثل التعامل مع الحمام الزاجل ، الذى يعلق به جهاز ارسال الكترونى فى الجناح ويرسل للطيران فى الهواء بعين تليفزيونية فى الجذع تقوم بالتجسس على معسكرات التدريب الفلسطينية .

وأصعب مافى التدريب ـ على حد قول أحد العاملين الجدد ، هو تدريبات الذاكرة . فالمتدربون يشاهدون فيلماً سينمائياً ، وفجأة يقطع الارسال ويسئلون عما رآه آخر لحظة ، ويكون السؤال عادة ، ذكر عشرة أشياء كانت موضوعة على كرسى أو فى طرق المكان .

وعلى المتدربين أن يحفظوا جيدا وبسرعة وبتركيز شديد ، الصور والأوراق والخرائط ، ويتعلمون كيف يلاحقون رجلا ما ، دون أن يشعر .

بعد ستة أشهر من التدريب يبدأ الاختيار وغالبا ما ينسحب ٣٠ ـ ٤٠٪ من المتقدمين .

فى الشهور الستة التالية يتدرب المتقدم للعمل على العمل فى المكان الذى سيحدد له ، وأهم ماعليه أن يفعله هو أن يتقن لغة البلاد التى سيعيش فيها وأن يكون شديد الشبه بأهلها ، بحيث لا يلفت إليه النظر ، وهذا مايتاح للموساد بشكل كبير ، يخدمه فى ذلك تعدد جنسيات الشعب الاسرائيلى . فليس من الصعب أبدا العثور على شخص يتقن اللغة الألمانية ويبدو كضابط نازى . وكذلك ليس من الصعب أن يجد رجلا يتقن اللغة العربية ويبدو كأهلها ، وكذلك بالنسبة لروسيا ، أو المناطق العميقة فى أمريكا .

وأهم مايجب ملاحظته ، هو ، كيف يلبس الناس فى هذه البلاد ، وعن أى شىء يتحدثون ، وماهو محور أحاديثهم ، وكيف وكم يدفعون من البقشيش .

فالعميل الذى سيقوم بالتجسس فى ألمانيا مثلا ، يجب أن يعرف مثلا أبطال فرق كرة القدم بالتحديد .

فى نهاية فترة التدريب تبدأ حياة العميل الجادة . وهو يتلقى جواز سفر مزيفا ، على ألا يحمل أسماء عائلات معقدة ، وغالبا ما يكون ، بلا أسرة .

وإذا اجتاز الامتحان اجتيازا عاديا فأنه يقوم بعمل إدارى فى المركز الرئيسى للموساد فى القسم الخارجى حيث يجمع المعلومات ويحللها ، أو فى قسم الاتصالات ، الذى يقوم بالعمل مع الأجهزة « الصديقة » أو فى « وزارة الخارجية السرية » حيث لا يوجد نشاط دبلوماسى عادى ، مع الدول التى لا تمثلها سفارات رسمية (بلا علاقات أخرى خاصة) .

أما إذا حصل المتدرب على درجة كفاءة عالية ، فإنه يكلف « بمهمات خاصة » فى وحدات ملاحقة أو وحدات اغتيال حيث يرسل الى الخارج ، وهذا يتلقى تدريبا مكثفا إضافيا لمدة ثلاثة أشهر فى فيلا خاصة بحمام سباحه بالقرب من هيرتزليا ، ويتعلم هناك أحدث طرق القتل والتعذيب .

وأحيانا يتواجد بعض الضيوف هناك من جهاز المخابرات المركزية الأمريكية . وهناك أيضا تدرب جهاز المخابرات الذى عرف فى العالم بأنه أقسى وأفظع جهاز فى العالم ، وهو « ساقاك » ، الجهاز الايرانى الذى كان يعمل تحت إمرة الشاه . وقد تعلم أعضاء هذا الجهاز هنا التعذيب والقتل على يد رجال الموساد .

ولا يستخدم الموساد كثيرا اليوم طرق التعذيب الجسدية المعروفة ، لينتزع الاعترافات والمعلومات من العلماء المعادين أو (الارهابيين) وليس السبب هو الاعتبارات الانسانية ، ولكن حتى لا يكون بامكانهم أن يقيموا لنا فضيحة . كما قال أحد رجال الموساد (للمؤلف) . فمن الناحية العملية ـ حسب رأى الموساد . ثبت أن التعذيب الجسدى لا يعطى نفس النتائج المبهرة للتعذيب النفسى . ويتم التدريب على هذا

النوع من التعذيب بطرق عديدة جدا ومختلفة ، وكذلك القتل ، وهذه الطرق لم يكشفها الموساد ، وظل يحتفظ بها سرا .

الفصل الثالث

جرائم الموساد
الانجازات

جرائم الموساد

الانجازات

اختطاف النازى « آيخمان » :

فى يوم ١ يونيه ١٩٦٢ تحرك زورق تابع للبحرية الاسرائيلية متجهاً من تل أبيب إلى عرض البحر ، وسار حوالى نصف ساعة فوق المياه ثم توقف . أخذ أحد الضباط علبة من الصفيح وأفرغ محتوياتها فى البحر . ثم دوى صوت الموتور وعاد الزورق باتجاه تل أبيب وبهذا أنهت وحدة عمليات خاصة تابعة للموساد مهمتها ، وتناقل العالم هذا الخبر .

لم يكن الذى القاه الرجال فى الماء إلا رماد جثة (النازى المجرم !) أدولف آيخمان . لقد لاحقه الموساد فى امريكا الجنوبية ثم قبضوا عليه واختطفته وحدة اسرائيلية خاصة الى اسرائيل حيث أجريت له محاكمة ، وحكم عليه بالموت ، وأعدم شنقا .

وأحرق ونثر الرماد بعيدا عن الساحل الاسرائيلى ، حتى لا يمس ارض اسرائيل شيء من هذا الرجل الذى كان ينادى « بالتخلص » من اليهود وابادتهم .

* * *

كان (الفضل) فى اختطاف « آيخمان » يعود الى « عيزر هاريل » الذى كان رئيسا للموساد والذى تابع العملية بنفسه فى الأرجنتين ، وقد استعمل كل الحيل الممكنة والضرورية للقبض على « آيخمان » واختطافه .

كنت (المؤلف) قد نزلت ضيفًا على هاريل فى بيته فى ضاحية من ضواحى تل أبيب . كان أقصر كثيراً مما تخيلت ، كتفاه عريضان ، وذراعاه قصيرتان جدا . فبدا « مندمجا » بعضه فى بعض . وأخذ ينظر

الإلـــى بعبنيـــه الزرقاوين ؛ ببرود شديدة وكأنه يقيمنى ويقول عنه معاونوه أن المخلوقات الوحيدة التى لا تخافه ، هم الأطفال والحيوانات .

قال « عيزر هاريل » ان قضية آيخمان كانت اكثر بكثير من مجرد مشكلة فنية ، فقد كانت مشكلة نفسيه . فنحن اليهود ، كنا نريد آيخمان حيا ،ليقف امام محكمة ، محكمة يهودية . كان يجب أن نحكم عليه ، نحن ، الذى ذبح منهم اعدادا لا تحصى . لهذا كان لهذه المهمة معنى اخلاقى ونفسى ، معنى لدولة اسرائيل ، لم تضاهيها مهمة أخرى .

فى خريف عام ١٩٥٧ فى اوليڤوس ، احدى ضواحى مدينة بوينس آيرس ، عاصمة الأرجنتين ، كان هناك فتاة تدعى روز هيرمان فى الثامنة عشرة من عمرها ، وكانت محط أنظار الأهالى ، وكان من بينهم شاب فى العشرين من عمره .

وحتى يكسب الشاب ثقتها ، حدثها ، أن والده كان ضابط كبيرا فى الجيش الألمانى ، وأنه عمل فى قطاعات مختلفة وأدى مهمات جليلة ، وحين تطرق الحديث بين الشاب والفتاة الى مصير اليهود فى ظل الرايخ الألمانى الثالث ، قال الشـــاب ، معبرا عن رأيه بأنه كان من الأفضل ، لو أن الألمان أبادوا كل اليهود ، ولم يقفوا هكذا فى منتصف الطريق .

لم يكن الشاب يعرف أن فتاته يجرى فى عروقها دم يهودى. وحكت الفتاة عن الشاب ، وطبعه الغريب ، وتعجبت من أنها لا تعرف عنوانه ، ولا أين يقيم ، ولم تر والديه قط ، وأنه طلب منها أن ترسل رسائلها اليه على عنوان أحد أصدقائه . واستمع والدها « لوثار هيرمان » ، الذى نجا من معسكر الابادة فى داخاو ، وانصت الى حديثها عن الشاب باهتمام بالغ .

ثم قرأ فى احدى الصحف الأرجنتينية أن المحامى الألمانى د . فريتس باور يبحث عن آدولف ايخمان ، أحد قادة جهاز اس اس الألمانى أيام النازيين ، وأن المحامى يعتقد أن آيخمان يقيم حاليا فى الأرجنتين . فطلب من ابنته أن تأخذه الى اصدقاء الشساب الذين

يعرفون عنوانه ، وكان : ٤٢٦١ شاكوبوكا :

وحين ذهبوا الى هناك وجدوا لوحتين احداهما باسم واجوتو وكليمنت ، ووجدوا أن البيت ملك لرجل يسمى فرانسيسكو شميث . وعرف هيرمان أنه يتعقب أثر آيخمان نفسه . فكتب رسالة الى المحامى الألمانى بخط زوجته ، لأنه كان قد اصبح أعمى . وبالتالى فقد أخبر الجهات اليهودية بالأمر . وعرف الموساد أن آيخمان يقيم فى الأرجنتين .

لم يأخذ الموساد الأمر باذىء الأمر بالكثير من الاهتمام ، فقد كانت تصله بلاغات كل يوم عن أماكن نازيين متهمين بتعذيب اليهود أيام الرايخ ، وكان معظمها بلاغات كاذبة وبالرغم من ذلك فقد فتح ملف آيخمان من جديد .

كان آيخمان خبيرا فى الشئون الصهيونية قبل أن يصبح رئيسا « لقسم اليهود » فى جهاز الأمن عام ١٩٣٤ . وكان يلعب الدور الأساسى فى املاء وتنفيذ مايسمى « بالحل النهائى لليهود » .

كان آيخمان المستشار لسياسة النازيين التى قتلت اليهود فى هنغاريا (المجر) وكان المسئول الأول فى اوسشفيتس [١]

استطاع آيخمان أن يهرب من « محاكمات نورمبرج »[٢] وتنكر فى زى قاطع خسب وهرب الى احدى القرى النائية . وفى ربيع عام ١٩٥٠ استطاع السفر بمساعدة منظمة « الأوديسا »

التى كانت مهمتها ترحيل رجال SS النازيين . ووصل الى دير فرانسيسكا فى جنوه ، حيث قام أحد القساوسة بالحصول على جواز سفر فاتيكانى له (خاص بالهاربين) . وفى يونيه ١٩٥٠ سافر أمريكا الجنوبية على الباخرة « جيوفانا » وهكذا افلت ايضا من ايدى

(١) معسكر اوستشفيتس بألمانيا . وكان اكبر معكسر لحرق وابادة اليهود أيام النازيين .

(٢) المحاكمات التى جرت بعد الحرب العالمية الثانية فى مدينة نورمبرج لادانة المتهمين بأحداث معسكرات الحرق والابادة تحت الحكم النازى وقد نجا منها آيخمان بمساعدة الاسرائيلى رودلف كاستنر باسقاط صفة النازية عنه قبل المحاكمة مقابل عرض آيخمان السابق بتهجير آلاف اليهود المجر الى اسرائيل .

« الحانكيمين » أو المنتقمين ، وهم جماعة يهودية داخل الجيش البريطانى نشأت فى أواخر الأربعينات ، وأخذت على عاتقها ملاحقة الرؤوس النازية وقتلها فى أى مكان توجد فيه .

أرسل رئيس الموساد عيزر هاريل أحد عملائه الى بونيس آيريس للتحقق من رواية هيرمان ، لكن العميل عاد بالفشل ، فصاحب المنزل فرانشيسكو شميص ليس له علاقة بالنازية ، ولم تكن . والساكنان « داجوتو وكلمنت » ليسا اكثر من عاملين عاديين .

وأقفل ملف أيخمان لفترة ، بعد ان تصاعدت موجه السخط على هاريل ، فهو يجرى وراء خيالاته وأوهامه لتعقب النازيين ، ويترك مشاكل اسرائيل الحقيقية ، وكان الأجدر به أن يرسل عملاءه الى البلاد المجاورة العربية للتجسس .

ثم وصل الى الموساد ثانية ، معلومات من د . فريتس باور ، بأن آيخمان موجود فى بونيس آيرس تحت اسم مستعار هو « ريكاردو كليمنت » ، أحد سكان المنزل فى شاكابوكا . وأرسل « عيزر هاريل » فريقاً من عملائه ثانية الى الأرجنتين .

لكن آيخمان انتقل من مسكنه فى تلك الفترة . وكان الفريق الاسرائيلى يريد التأكد من أنه لم يبتعد . ثم خطرت لاحدى العميلات الاسرائيلية فكرة ، فنزلت فى فندق فخم فى العاصمة وأرسلت أحد العاملين بالفندق بهدية صغيرة الى عنوان آيخمان على الا يثير ضجة حوله ، ولا يخبره بالتى أرسلته ، لأنها تريدها مفاجأة له ! واذا ما غير الرجل المطلوب مكانه ، فان عليه ان يعرف العنوان الجديد . وكانت الهدية ولاعة ذهبية .

وحين لم يعرف احد من سكان الشارع عنوان آيخمان الجديد ، طلب عنوان أحد أبنائه ، وحين وجد مكان عمله ، دون رقم الموتوسيكل الذى يذهب به الى عمله ، ويعود الى بتيه ـ (وكانت) خدمة للموساد لم يدركها العامل فى الفندق .

ولبث العملاء اياما حتى استطاعوا الاهتداء الى البيت الذى يسكن فيه الابن . وكان يقع فى حى سان فرديناندو ، بيت من طابق واحد ،

يقف وحيدا فى مكان خال ، وبدون سور ، وليس له باب الا قطعه من الخشب ، والجدران متآكلة ، وليس فى البيت كهرباء .

لم يكن فى المنطقة الا بيت صغير فى اتجاه هذا البيت ، وكشك ، وعلى بعد عدة مئات من الأمتار لا يوجد اى بناء آخر.. (بيت لا يليق برجل كانت له مكانة آيخمان) ولم يظهر صاحب البيت . وبعد التحريات عرف فريق الموساد انه يعمل فى احدى مصانع مرسيدس وهو حاليا يعمل فى توكمان ، ولا يعرف احد متى يعود . وأرسل هاريل الى عملائه ليتذرعوا بالصبر . فلا بد ان يظهر آيخمان فى يوم ٢١ مارس لأن هذا اليوم ٢١ مارس ١٩٦٠ يصادف عيد زواج آيخمان الفضى .

فى يوم ٢١ مارس فى حوالى الساعة الثانية عشرة الا ربعا وصل رجل أنيق ، وسيم بمعطف رمادى ورباط عنق أخضر ، الى شارع غاريبالدى فى حى سان فرديناندو . جاء ليحتفل بمرور ٢٥ عاما على زواجه ، والتقط له العملاء صورا من مخبئهم . وأرسلوها الى هاريل ، الذى أكد له خبراء التصوير ، أنه هو الشخص المطلوب . ومن هنا يبدأ العمل .

طلب هاريل من « بن جوريون » (رئيس الوزراء الاسرائيلى) اطلاق يده فى هذه العملية ، واقترح أن يأتى بآيخمان حيا ، ولكن بن جوريون ، كان يريده حيا أو ميتا ، فان اتوا به حيا ، فإن ذلك « سيكون تشفيا لكل من عانوا أيام هتلر ، وسيكون تشجيعا وبعثا للحماس فى نفوس أجيالنا من الشباب » .

وبحث هاريل عن فريق يتكون من (١١) متطوعا ، يكون كل واحد منهم ابنا او أخا أو قريبا لشخص عانى من معسكرات التعذيب ، ويعرف من هو « آيخمان » . وقرر هاريل السفر بنفسه الى الأرجنتين ليتابع عملية الاختطاف عن قرب .

ولكن كيف يمكن « تهريب » آيهمان من الأرجنتين التى تبعد ١٦ ألف كيلو مترا عن دولة اليهود ؟ فشركة الطيران الاسرائيلية ليس لها خط مباشر الى امريكا الجنوبية . والسفر بالباخرة يستمر طويلا وله مخاطر عديدة بسبب التوقف فى موانىء كثيرة . وأى طائرة خاصة يمكن أن تلفت النظر فى مطار آيريس . لكن المصادفة لعبت دورها ، وخدمت

الموقف . ففى الأرجنتين يحتفلون هذه الأيام بمرور (١٥٠) عاما . على الاستقلال ، والساسة الاسرائيليون مدعوون الى هذا الاحتفال . فلم لا يسافرون بطائرة خاصة ، على شركة « العال » ولم لا يعودون بآيخمان فى طريق العودة الى اسرائيل ؟

وفى رأى هاريل ، يجب ان يلقى القبض على أيخمان قبل موعد اقلاع الطائرة بقليل ، حتى لا يظل (مختفيا) مدة طويلة ، ودون ان يلاحظ أحد غيابه ، على أن يظل أمر الاختطاف سريا للغاية ، ولا حتى للساسة أنفسهم ، الذين سيسافرون بالطائرة الخاصة .

وتحدد موعد عودة الطائرة يوم ١١ مايو ، ويتم الاختطاف يوم ١٠ مايو . وكان لتنفيذ العملية ثلاثة اقتراحات ، أولها ، الهجوم على بيت كليمنت (آيخمان) فى سان فرديناندو بعد التأكد من وجوده فيه ، وثانيها ، القاء القبض عليه فى الشارع بما يسمى « القبض المتحرك » ، وثالثها ، اختطافه فى طريقه الى منزله ، فى مكان محدد ، يتم التحرى عنه بدقه .

ولم يقرر هاريل أى اقتراح بتم تنفيذه قبل استيفاء جميع التفاصيل عن كليمنت ونزل عملاء الموساد فى أحد الفنادق الصغيرة على أطراف مدينة بونيس آيريس . ولم يحاولوا الاجتماع كثيرا فيه ، ولذلك كان لقاؤهم يتم فى احدى الشقق المفروشة ، التى دفعوا ايجارها لعدة شهور مقدما ، ولكى يستطيعوا ان يحتفظوا فيها بطعام ومواد تموينية تكفيهم ، لو اضطر الأمر . وكان اسم المكان « ماؤز (اى القلعة) . توصل العملاء الآن ، الى مواعيد آيخمان . فهو يخرج كل مساء فى ذات الوقت فى السابعة و٤٠ دقيقة من منزله ليركب اوتوبيس رقم ٢٠٣ بالقرب من البيت .

وصل عيزر هاريل الى بوينس آيرس فى ١ مايو ١٩٦٠ . وتلقى فورا رسالة خاصة تقول : ان موظفى البروتوكول الأرجنتينية اخبروا تل أبيب ، أنهم ينتظرون الوفد القادم من دولة اليهود يوم ١٩ مايو ، وليس قبل الساعة الخامسة مساء ، وذلك لأسباب تنظيمية .

ووقع هاريل فى مأزق . فالترتيبات لاختطاف آيخمان تمت على أساس

أن تكون يوم « ١٠ » مايو ، ومن ناحية أخرى ، فهو لا يستطيع أن يخذل الأرجنتين . وقرر رئيس الموساد ان يتم الاختطاف فى موعده ، على أن يحتفظ العملاء به أسبوعا . ولكن أين يمكن أن يحتفظ المرء برجل مختطف أسبوعا ، دون أن يترك وراءه اثرا ؟ استأجر العملاء شققا مختلفة للتموية ، وكان منها فيلا ، تقع وسط الخضرة ، وتبعد حوالى ثلاث ساعات من بيت أيخمان واطلقوا عليها اسم (دورون) (الهدية) . كما استأجر هاريل ـ زيادة فى الاحتياط ـ منزلا بطابقين فى وسط المدينة ، حيث أقام اثنان من العملاء ، كزوجين ، ليبدوا الأمر للجيران طبيعيا جدا ، زوج وزوجته ، وزيادة فى الشكليات ، ادخلوا اثاثا جديدة للبيت ، اما الطابق الثانى فقد تركه هاريل ، دون أن يسكنه أحد ، واشترط الا يستعمل المنزل كله الا فى الضرورة القصوى ، وأطلق عليه اسم « رامين » (الكهف) .

انضم الى الفريق فى تلك الفترة رسام شاب ، اخصائى فى تزوير جوازات السفر . وطبيب ، وأجل هاريل موعد الاختطاف الى يوم ١١ مايو ، واستأجر بيتين آخرين ، حتى بلغ عدد ماستأجروه حتى الآن سبعة بيوت ، واشترى سيارة أخرى للهرب ، ماركة بويك .

فى اليوم العاشر من مايو أعطى رئيس الموساد آخر تعليماته : لو أن الخطة فشلت ، على العملاء أن يقولوا ، أنهم قاموا بالعملية لحسابهم الخاص . واذا استطاعوا الهرب ، فليهربوا ، وليكن بقطار الى احدى البلاد المجاورة .

وحتى لو فشلت الخطة الآن ، فان قضية أيخمان ستظل المهمة الأولى فى قائمة الموساد . وشىء واحد لم يقله هاريل ، ولكنه يبدو واضحا : وهو أنه فى هذه الحالة ـ اذا حاول الأرجنتينيون اطلاق سراح أيخمان ، فان على العملاء ان يقتلوه فى التو .

وصلت سيارتا الكوماندوز المكان فى الساعة السابعة و٢٥ دقيقة . توقفت احدى السيارتين بحجة عطل فيها ، ووقفت الأخرى فى انتظار على طرف الشارع . لكن « كليمنت » لم يأت بأتوبيس الساعة السابعة و٤٠ دقيقة ولا بالأوتوبيس الذى تلاه ، وبعد أن كان العملاء

يتحركون ، ظهر راكب وحيد ينزل من الأوتوبيس فى المحطة التى بجانب الكشك وذلك فى الساعة الثامنة وخمس دقائق .

مر الأمر بسرعة البرق . أضاءت السيارة الأولى الكشاف ، فتوقف آيخمان لأن ضوء السيارة بهر عينيه ، فانفض عليه أحد العملاء ، وتبعه آخر ، ووقع آيخمان على الأرض وصرخ . ولم يسمعه أحد .

ألقى به الرجال فى ا لسيارة ، وانطلقت السيارة الثانية مارة أمامهم . ولم يتكلم آيخمان ، الى ان وصلوا به الى احدى الشقق

كان السؤال الأول عن رقم بطاقة عضويته فى الحزب النازى ، قال بسرعة : ٠٨٨٩٨٩٥ ثم سألوه عن اسمه الحقيقى . فارتجف الرجل من قمة رأسه الى قدميه . قبل أن يجيب بصوت منخفض : أدولف آيخمان .

كان العملاء يتناوبون حراسته فى الأيام التالية . وكان آيخمان سجينا مثاليا . فقد كان يتصرف مثل عبد خائف منكسر ، ليس له أمنية ، الا ألا يثير سخط سيده عليه . وقال ، انه عرف فورا بعد ان اختطف ، أنه وقع فى ايدى الاسرائيليين . وابتدأ يتملق حراسه ، بصلاة عبرية ، قائلا ، انه تعلم العبرية على يد أحد الأحبار وهو ليوبيك ، وتلا من أول التوراة ، سفر الخلق .

ظل آيخمان ثمانية أيام فى الفيلا الا ان هاريل كان قلقا . فغياب آيخمان يمكن أن يؤدى الى اجراءات بحث كبيرة عنه ، وأن كان يفكر ، أن عائلة آيخمان ، لن تثير المشاكل فى البداية ، لأنها تقيم فى الأرجنتين تحت اسم مستعار ، وهذا وحده يمكن ان يعرض أفراد الأسرة جميعا لمشاكل مع السلطات المحلية . أما اصدقاء آيخمان النازيون ، فأنهم سيحسبون ألف حساب قبل أن يسألوا عنه ، خوفا على أنفسهم . فى هذا الوقت استطاع عيزر هاريل ان يرتب كل الاجراءات لسفر آيخمان . فالسجين يجب ان يسافر على شركة العال الاسرائيلية بزى طاقم الطائرة الرسمى ، وينقل إلى الطائرة فى أوتوبس عادى مع غيره من موظفى

الشركة الاسرائيلية . ولكن ماذا يحدث ، لو أن أيخمان ، استدار فى اللحظة الأخيرة وكشف السلطات الأرجنتينية عن هويته الأصلية ؟ تحسبا لمثل هذا الاحتمال ، أمر هاريل أحد العملاء بدخول احدى المستشفيات وهو يتظاهر بأنه مغمى عليه الى ان يفيق هناك ، موهما هيئة المستشفى انه قد اصيب بحادث سيارة وأنه فقد الوعى وأنه أصيب بارتجاج فى المخ وبعد يومين يغادر المستشفى بتصريح رسمى .

ثم يزور الرجل المختص هذه الأوراق ، فيضع اسم ريكارد وكليمنت وصورته عليها . فحتى اذا ماأوقفت السلطات الأرجنتينية طاقم العال الاسرائيلى وفحصت الأوراق ، فانهم سيفهمون موقف كليمنت وسيعذرون مرضه ، فقد أصيب بحادث !

فى ٢٢ مايو ١٩٦٠ فى الساعة الثامنة مساء ، كانت آخر الترتيبات قد تمت . ووضع أيخمان فى « عفش » « العال » بعد أن أعطاه الطبيب الاسرائيلى حقنه مهدىء قوى ، تجعله شبه أصم لمدة بضعة ساعات . وذهبت ٣ سيارات الى المطار ، كان أيخمان فى احداها .

حين وقفت السيارات عند المطار ، القى احد الحراس الأرجنتين نظرة الى مابداخلها . كان بعض الرجال يصخبون ، وكأنهم قضوا ليلة صاخبة فى بوينس ايرس ، والبعض الآخر بدا عليه الارهاق والتعب ، وفتح لهم الحارس البوابة للدخول .

كانت تنتظرهم لحظة حرجة أخرى . ففى الطريق الى الطائرة كان هناك مفتش الجمارك ، الذى قال فيما بعد « حين قفز الرجال من السيارة لاحظت انهم كانوا يسندون أحد زملائهم . كان مريضا يبدو انه يريد ان يقول لى شيئا ، ولكنه لم يستطع حتى ان ينطق بحرف واحد .

فى الساعة الحادية عشرة و٥٠ دقيقة حصل الطاقم الاسرائيلى على التصريح بالاقلاع . لكن مراقب البرج قال ، ان هناك خطأ مافى الأوراق . فى آخر لحظة . واتضح انه كان مجرد التباس .

واقلعت الطائرة فى يوم ٢١ مايو ١٩٦٠ فى الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق ليلا ، فى اتجاه اسرائيل .

هبطت الطائرة بعد ٢٤ ساعة طيران فى مطار اللد . وهرع عيزر هاريل الى مكتب رئيس الوزراء فورا .

لم يصدق بن جوريون ان (المجرم) النازى قد وصل اسرائيل فعلا . بعد ساعات قليلة اجتمع الكنيست وخطب بن جوريون معلنا للأعضاء بأنه منذ قليل توصل رجال الأمن الاسرائيلى إلى أكبر (مجرم) نازى . آدولف أيخمان يوجد الآن فى اسرائيل فى السجن ، وسيعرض على المحكمة الاسرائيلية قريبا جدا . وعمت الدهشة الأعضاء جميعا .

اخيرا وقف النازى « آدولف أيخمان » أمام محكمة اسرائيلية . وحكم عليه فى يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦١ بالموت شنقا لاشتراكه بجريمة قتل (ملايين) اليهود[1] .

---

(١)يشك معظم المؤرخين فى أن يبلغ عدد اليهود الذين أعدموا فى معسكرات الاعتقال النازية كل هذه الأرقام التى بلغت ٦ ملايين يهودى .

فى القدس ، مايزال حتى اليوم ، مشهد لاتخطئه العين : الرجال العجائز بالقفطان الواسع الطويل الأسود والقبعة السوداء والقلنسوة الفرو واللحى البيضاء الطويلة والشعور المجعدة التى تنسدل فى جدائل على الأذن .

وفى يوم الجمعة بعد مغرب الشمس ، بداية يوم السبت (المقدس) يهرع هؤلاء الرجال عبر حارات ، مدينة القدس القديمة ، ليمروا بالتجار الفلسطينيين والحجاج من كل مكان فى العالم ، وبكنيسة القيامة ، وطريق الآلام ، حتى يصلوا الى مكانهم المقدس حائط المبكى ، للصلاة هناك ، حيث يلفون فى حلقات دائرية منتظمة .

وهؤلاء لا يؤمنون الا بالتوراة ، وبالدراسة اليومية لها . وهم يقيمون فى (مياشياريم) حى اليهود فى المدينة القديمة (اورشليم) .

ومعظم هؤلاء اليهود لا يتعترفون بالدولة اليهودية الحالية ، لأن تفسيراتهم الدينية ، تؤكد ان مثل هذه الدولة لن توجد على الأرض ابدا . وبعض المتعصبين منهم لا يدفعون ضرائب للدولة ، وليسوا على استعداد لأن يرسلوا أولادهم الى مدارس الدولة (الدنيوية) أو الى الجيش .

ومثل هؤلاء المتعصبون من اليهود يقيمون دولة لهم داخل دولة اسرائيل . وهم مجتمع مغلق على نفسه . وقد شكلوا فرقا عسكرية ، من اجل انقاذ « الأرواح » اليهودية من السقوط ، بأى ثمن ، حتى لو أدى الأمر الى اختطاف طفل ، يعلمون أنه سيحيد عن الطريق القويم للايمان .

وهذا ماحدث مرة فى يناير ١٩٦٠ .

* * *

كان دافيد بن جوريون ، رئيس الوزراء الاسرائيلى لمدة طويلة ، يحب التعامل مع عيزر هاريل رئيس الموساد ، لأن كليهما كان يفهم الآخر ويقدره ، ولأن كلا منهما يحتاج للاخر ايضا . فرئيس الموساد يحتاج

للتغطية من جانب دافيد بن جوريون من الناحية السياسة ، لأنه غالبا مايقوم بعملياته وحده والسياسى بن جوريون يحتاج لها ريل للوقوف على آخر انباء الجيران العرب (الأعداء) .

لكن الصداقة هنا لاتعنى ابدا الود ! « فعيزر هاريل » يحدّث ان بن جوريون لم يعانقه الا مرتين فى حياته ، يوم اختطاف آيخمان ، وفى يوم ٢ يونيو ١٩٦٢ حين أعاد رجال الموساد الغلام « جوسيل » الى والديه بعد أن اختطفه جماعة اليهود الاورثوذكس (المتعصبين) .

ويقول هاريل ، انه كان من أصعب المهمات العثور على « جوسيل » لأن الذين اختطفوه يهود أورثوذكس ، ولا يوجد فى العالم أصعب مراساً من هذه الجماعة .

كانت الأسرة شوماخر قد هاجرت الى اسرائيل منذ فترة ، لكنها لم تجد فى الأرض الموعودة السمن والعسل ، بل اصابتها ـ على العكس من ذلك ـ بكثير من خيبة الأمل . فالمواد التموينية قليلة وفرص العمل غير متوفرة ، ولم يجد الأب آرثر وظيفة له ، ولا عمل ، فهو نجار فى الأصل ، وكان على زوجته أن تعمل عاملة نظافة لتعول الأسرة ، ولم يكن هذا فى حسبانها ، حين هاجرت الأسرة من الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٥٢ الى دولة اليهود .

وكان والد الزوجة ناحمان شتاركيس هو الذى دفعها للهجرة . فقد كان يكره الروس ، الذين نفوه الى سيبيريا ، وفقد احدى عينيه ، لأنه كان يهوديا متعصبا ، كما قتل احد أبنائه على يد أحد أعداء (السامية) ، بينما اصطحب معه أولاده الباقي حين هاجر الى اسرائيل .

أقام ناحمان فى « ميا شياريم » بين اخوانه اليهود المتشددين ، بينما استقرت ابنته وزوجها فى تل أبيب ، حيث توجد فرص أكثر للعمل .

وفى عام ١٩٥٣ ولد جوزيف أو (جوسيل) الإبن الثانى لأسرة شوماخر ، واشتدت الضائقة المالية ، فأرسل الأبوان الابن جوسيل الى جده فى القدس ، حيث تربى هناك . وصعب ذلك على الأم ، وتمنت العودة الى روسيا ، حيث يجتمع شمل الأسرة ثانية ، ويمكن العثور على

عمل هناك . لكن ناحمان شتاركيس رفض بشدة ، وصرح بأنه لن يسمح « لجوسيل » بالعودة الى روسيا مهما كلف الأمر . وحين تحسنت احوال الأسرة المادية عام ١٩٥٩ واقتنت بيتا صغيرا فى تل أبيب ، طلبت الأم استعادة ابنها « جوسيل » من جده ، لكن الجد رفض مدعيا أنه إعتاد عليه ، لكن الحقيقة هو انَ شتاركيس لم يعد يتفاهم مع ابنته وزوجها ، فهم «دنيويون » وليسوا يهودا بحق ، ولا يصلون ، ويعيشون بطريقة بعيدة عن تقاليدهم الدينية .

وحين أصرت الأم على استرداد ابنها ، وعدها الأب أن يرسله الى تل أبيب ، لكنه لم يكن ينوى ذلك فعلا ، لأن رأيه كان قد استقر على وجوب بقاء « جوسيل » بين الأحبار والمتدينين ليصبح « يهوديا » واعتقد ان هذا أمر الهى ، ليكون « جوسيل » فى جماعة « ناطورى كارتا » .

وجماعة « ناطورى كارتا » هى مذهب يهودى – اورثوذكس ومعناه « حراس الحائط المقدس » . وعرفت الأم انها لن ترى ابنها بعد ذلك .

ذهبت الأم الى أقسام البوليس وإلى المحكمة . وفى يوم ١٥ يناير عام ١٩٦٠ طلبت المحكمة من الجد احضار الأبن . لكن الجد التزم الصمت المطبق . وتطور الأمر وتصاعد ووصل الى المحكمة العليا والكنيست . ولم يجد البوليس الابن ، وسجن الجد ، لكن شيئا ما فى الموضوع لم يتغير .

لم يظهر أى أثر للان حتى ربيع عام ١٩٦١ . وأصبح لهذا معنى سياسى . وكان موعد الانتخابات فى اسرائيل . وتأسست جماعة سمت نفسها « اللجنة القومية لتحرير جوسيل » واشتعلت « حرب ثقافية » فى اسرائيل ، شطرت الشعب الاسرائيلى الحديث الى شطرين ولم يعد أمر الغلام يهم البلد ، بقدر مابدأ الانقسام يأخذ شكلا جديدا : هو « حول تعريف الدولة اليهودية » وما مقدار الحرية التى يجب أن تتمتع بها الجماعات الدينية . وهل اسرائيل دولة دنيوية ؟ أم أن التوراة هى التى يجب ان تحكمها . والجيل الجديد يتهم الجيل القديم الذى يقف على حائط المبكى ، بأنه « فاشى » .

وعلى جدران « مياشياريم » « كتب » ان الحكومة الاسرائيلية

تحارب عقيدتنا . انها ليست أفضل من النازية » .

فى مارس ١٩٦٢ انتهت الانتخابات وفاز حزب العمال وبن جوريون ورأى رئيس الوزراء ان هناك امكانية واحدة متبقية ، وهو أن مالم يستطع البوليس أن يفعله ، فإن بإمكان الموساد أن يقوم به . ولذلك فقد كلف عيزر هاريل بأن يسحب عملاءه الجواسيس من البلاد المجاورة (المعادية) وينشرهم فى إسرائيل نفسها ، للبحث عن جوزيف (جوسيل) شوماخر وانكب عيزر هاريل على ملفات البوليس ، ولكن لا أثر لبقاء جوسيل على قيد الحياة وأعطى هاريل لهذه العملية الاسم الحركى « عملية النمر » وأرسل اقدر عملائه وجواسيسه الى عرين الأسد الى هؤلاء اليهود المتدينين فى القدس القديمة .

ولم يستطع هؤلاء العملاء ، رغم مقدرتهم على السؤال والتقصى ان يفعلوا شيئا . ففشلوا ، قبل أن يبدأوا . فقد اصطدموا ، كما اصطدم البوليس قبلهم ، بحائط الصمت .

وقال أحد العملاء : كان الأمر يبدو وكأننا نزلنا على كوكب المريخ فقابلنا الناس الخضر الأقزام ، ولم نتمكن حتى من الكلام معهم « فرجال هاريل »لم يكونوا يعرفون التوراة ولذلك فلم يستطيعوا أن يقيموا أى حوار مع الناس هناك .

وحين مرت الشهور ، ظن هاريل وعملاؤه أن جوسيل لا يوجد فى اسرائيل على الاطلاق فاستصدر أمرا عسكريا بفتح كل الرسائل الخارجة والواردة إلى اسرائيل ، على أن يتم التركيز على بريد المنظمات اليهودية .

والتقطت الرقابة جملة جاءت فى رسالة أحد الجنود كتبها من المعسكر الذى يتدرب فيه صحراء النقب الى والدته فى بروكسل . ولم يكن للجملة اية علاقة بالموضوع الذى سبقها . وهى تقول : كيف حال الغلام ؟

وسافر احد العملاء الى بروكسل ، ليقابل والدة هذا الجندى ، لكنها كانت قد غادرتها الى باريس .

كانت مادلين فيراى ابنة لأحد الارستقراطيين الفرنسيين درست فى

السوربون فى جامعة تولوز كانت أجمل طالبة فى الجامعة ، وكانت معروفة فى الأوساط الراقية . وفى الحرب العالمية الثانية اكتشفت فى نفسها انتماءها السياسى . فعملت فى خدمة مايسمى « ماكيز » وهى حركة المقاومة الفرنسية ضد الفاشية ، وكانت تساعد فى تهريب أطفال اليهود خارج البلاد ، قبل أن يأخذهم النازيون الى معسكرات التجمع . وتزوجت بعد الحرب من فرنس كاثوليكى وانجبت منه طفلا .

لكن السنين التى قضتها فى المقاومة ومع اليهود ، تركت فى حياتها أثرا ، فطلقت من زوجها واعتنقت اليهودية . وكان أقرب أصدقائها من الأحبار والأرثوذكس المتعصبين فى لندن وباريس .

أرسل هاريل أربعين من عملائه فى باريس كلها لمحاصر مادلين ثم أرسل أحسن من عنده من الأخصائيين لا ستجوابها . فاقتحم عليها مسكنها رجال أشداء ، فتحوا عليها الباب واستخدموا أشد أنواع التعذيب للحصول منها على اقرار . لكن الحجارة كانت أكثر لينا منها . فبعد ستة ساعات استجواب ، لم يهتز رمش لمادلين ، حتى كاد رجل الموساد يتعرض للسخرية . فقد استطاع هذا الرجل اخضاع أيخمان واستجوابه أما هذه المرأة ، فهو لم يكتف بأن لم يستطع انتزاع أى اعتراف منها ، ولكنه نفى أيضا أن يكون لها يد فى قضية جوسيل شوماخر .

لكن عيزر هاريل ذهب بنفسه الى منزل مادلين وألقى عليها بعض الأسئلة ، وأخذ يفتش فى أوراقها الشخصية لكن بلا هدف . ثم وقع فى يده جواز سفرها فوجد فيه صورة لفتاة يفترض أنها ابنة مدام مادلين . ولكن أحدا لم يعرف أن لها ابنة .

وطلب من عملائه صورة للغلام جوسيل ووضعها إلى جانب صورة الفتاة وابتسم ابتسامة النصر وقارن مع عملائه بين صورتها وصورته . ولم يعد هناك شك ، إن كلا الصورتين لنفس الطفل .

شحب لون مادلين حين واجهها الرجال بهذه النتيجة . ثم تماسكت وقالت بهدوء ، حسنا ، فليفعلوا مايشاؤون ، فلن يعرفوا أبدا أين جوسيل ، حتى ولو قتلوها .

وهنا لعب العملاء لعبتهم القذرة . فقد سرقوا من محفظتها أوراقها ومذكراتها ، وقرأوا فيها قصص شبابها ، ومغامراتها العاطفية . وقال رجل الموساد ، أنه لا يهمه هو شخصيا كل ماضيها المرح ، ولكنه لا يعتقد ان اصدقاءها اليهود المتعصبين المتدينين فى جماعة « ناطورى كارتا » سيكون هذا رأيهم أيضا ، وأنه متأكد ، مثل هذا الماضى سيفقدها الاحترام والتعاطف الى الأبد .

كالت لهم مادلين السباب ماشاءت ، وقالت انهم خنازير . ثم انهارت . واعترفت بقصة جوسيل .

كانت الجماعة الدينية قد اتصلت بمادلين تطلب مساعدتها . وسافرت هى الى حيفا بالباخرة ، وعقدت صداقة على المركب مع فتاة صغيرة فى العاشرة من عمرها ، وأثناء خروجها من المركب ، صرحت مادلين فى الأوراق الرسمية بأنها مع ابنتها ، ولم يلحظ المفتش كيف أعادت الفتاة الى والديها الحقيقيين . أما الباقى فكان سهلا . ذهبت مادلين إلى الجد ، وعقدت صداقة مع الابن ، على انها « عمته » ووعدته برحلة جميلة طويلة معها ، بشرط ان يلعب لعبة لطيفة ، ولما كان الغلام يود السفر بأى ثمن ، فقد رضى بأن يصبغ شعره باللون الأصفر ويضع جدائل فوق شعره ، وغادر اسرائيل بصفة « ابنة » مادلين فيراى .

مكث « جوسيل » بادىء الأمر فى رعاية جمعية يهودية شديدة التعصب فى سويسرا ، ثم رحل الى باريس . وحين وصل أول وفد من رجال الموساد الى العاصمة الفرنسية ، أرسلته مادلين إلى حى اليهود فى نيويورك ، إلى حى بروكلين المعروف .

اتصل عيزر هاريل بسفير اسرائيل فى واشنطن لارسال عملاء الموساد الى نيويورك لاعادة جوسيل الى والديه . وعاد جوسيل يوم ٤ يوليه ١٩٦٢ ، بعد غياب ثلاثة أعوام .

أعجب رئيس الموساد بمدام مادلين فيراى ، وطلب منها ان تعمل معه فى جهاز المخابرات ، وطلب ألا تقدم للمحاكمة . ورفضت مادلين حيث أقامت بعد ذلك فى « مياشياريم » وتزوجت أحد الأحبار اليهود .

عملية القنبلة الذرية
وكيف أصبحت اسرائيل قوة نووية[1]
ســـر مصنع النسيج :

كان يمكن الحديث مع أعضاء جهاز المخابرات الاسرائيلى عن أى شىء ... عدا موضوعا واحدا هو القنبلة فى اسرايل . اذا أن الرد على السؤال يكون دائما « انه ليس موضوعا للحديث ، أو كيف خطر على بالك مثل هذا السؤال ، أو لا أستطيع التعليق بشىء ، أو القول ، أنها افتراءات ، وهو قول اعتاد دافيد بن جوريون عليه منذ عشرين عاما . والرد القاطع يكون دائما : ان اسرائيل لا تملك القنبلة الذرية ، ولن تكون أول دولة تمتلك القنبلة فى الشرق الأسط .

بهذا الرد يترك بن جوريون الباب مواربا . فحتى لو كانت اسرائيل الدولة الثانية فى امتلاك القنبلة ، فهذا يعنى ايضا ، انه لابد للحصول على القنبلة ، من تحضير واجراءات سنوات طويلة « فهى تحتاج الى الطاقة التى لا يمكن ان تحصل عليها بين يوم وليلة ، وتحتاج للعلماء الذين يشتغلون مدة طويلة بشئون الذرة ، وتحتاج ايضا لمفاعل ذرى ، وهذا يحتاج الى المادة الخام التى ستنتج منها المادة المطلوبة ، الى اليورانيوم النقى .

لكن اسرائيل تمتلك القنبلة الذرية فعلا . فجهاز المخابرات الأمريكى الذى ضلله الاسرائيليون فيما يتعلق بمجال الذرة ، بل خدعوه ايضا ، حين أوهموه أنهم ليس لهم رغبةفى تصنيعها، هذا الجهاز علم عام ١٩٦٨ان اسرائيل تمتلمالقنبلة وقد أكد آنذاكرئيس الجهاز ريتشاردهيلمز للرئيس الأمريكى ليندونجونسون أنالآمر سيظل فى طىالكتمان ، حتى عن وزير الكتمان ، حتي عن وزير الخارجية دين راسك وعن وزير الدفاع روبرت

---

(١) أثار موضوع امتلاك اسرائيل للقنبلة الذرية اهتمام صحف العالم منذ سنين طويلة لكن اسرائيل كانت إما تتجاهل المقالات والحملات او تنكرها انكارا تاما . وقد نشرت الصحف الالمانية والجارديان اللندنية ولو بوان الفرنسية مقتطفات من هذا الكتاب عن هذا الموضوع فطلب مدير هيئة الطاقة الذرية السابق فى اسرائيل فى حديثه الى صحيفة يديعوت احرونوت سنة ١٩٨١ تكذيب هذا الموضوع تكذيبا رسميا .

الخارجية دين راسك وعن وزير الدفاع روبرت ماكنمارا . وظل التقرير سريا . فى سبتمبر عام ١٩٧٤ أعد جهاز المخابرات الأمريكى تقريراً جاء فيه أن هناك ثلاثة أمور تحملنا على الاعتقاد بأن اسرائيل تمتلك القنبلة :

أولها ، ان الاسرائيليين حصلوا على اليورانيوم بعمليات ارهابية فى الخارج ، وهو الذى لا يمكن استعماله الا لصنع القنبلة .(١)

وثانيها : هناك ابحاث علمية تجرى فى اسرائيل على مستوى عال فى مجال اليورانيوم

وثالثها : اسرائيل تطور نظام الصواريخ بحيث يمكنها حمل الرؤوس النووية المتفجرة .

وهذا التقرير كان ينبغى ان يظل سرا وختم بخاتم : سرى سرى جدا TOP-TOP Secret وكان حتى مجرد وجود هذا التقرير سريا .

ولكن ، كما يحدث احيانا ، فإن أكثر الأمور سرية ، هى التى تعرف أولا . ففى فبراير عام ١٩٧٦ أقام جهاز المخابرات الأمريكى CIA حفلا فى مركزه فى ولا ية فيرجينيا ، حضره الى جانب أعضاء الجهاز ، حوالى ١٥٠ عالما أمريكياً ويبدو أن نائب رئيس الجهاز لشئون العلوم والتكنولوجيا وهو « كاريل داكيت » ، تخلى عن حذره ، فتحدث إلى أحد الأساتذة العلماء بأمر البرنامج النووى الاسرائيلى وقال : « ان لدى اسرائيل عشرين قنبلة نووية جاهزة للتفجير الفورى » .

فى اليوم التالى حدث فى مركز CIA انفجار ولكن غير نووى . فقد استشاط غضبا مدير الجهاز الجديد ، « جورج بوش » ، وسيناتور « فرانك تشيرش » ، وعلق على تصريح « داكيت » بأنه أكبر وصمة فى تاريخ جهاز المخابرات الأمريكية ولم يعد بالامكان بعد هذا الحادث انكار الحقيقة .

---

(١) بعد اكتشاف الحواسيس الاسرائيليين ومنهم جوناثان بولارد داخل أمريكا فى عام ١٩٨٥ (استنتجت) وكالة المخابرات المركزية الأمريكة CIA أن اسرائيل قد حصلت على مالايقل عن ٢٠٦ أرطال من اليورانيوم المصنف bomb gradg وانتجت بالفعل بين عشرة وعشرين قنبلة نووية (عن صحيفة يو . اس . تودى U .S. Today) .

لكن ـ مع هذا ـ فان الامريكيين لم يكونوا يعلمون كل شيء فقرار اسرائيل بامتلاك القنبلة والاستعدادات لها ، حدثت في وقت مبكر جدا عما ظنه الأمريكان ، وبالتحديد ، في منتصف الخمسينات وتطلب هذا تضحيات اقتصادية كبيرة ، وجهدا كبيرا من اكبر الرؤوس في اسرائيل ، كما تطلب عمليات ارهابية قام بها جهاز المخابرات الموساد .

فما هو الادعاء الذى تتستر اسرائيل وراءه ، لتبرر حرصها على امتلاك القنبلة النووية ؟[1]

ان لها أصدقاء في الغرب يضمنون وجودها ، وأولهم الولايات المتحدة الأمريكية التى يحدد سياستها الخارجية بشدة ، اللوبي اليهودى فيها .

والحروب التى حدثت في الشرق الأوسط أكدت أنها باستطاعتها البقاء ـ عسكريا . صحيح ، أن الخطر كان يتهدد اسرائيل في الخمسينات ، يتمثل في هجوم تشنه الدول العربية المجاورة عليها ، هذه الدول التى يتزايد عدد سكانها ، على عكس الاسرائيليين ،والتى قال عنها « بن جوريون » مرة ، أن العرب يحتملون أن يخسروا عشر حروب .

عدا ان اسرائيل تريد ان تتخلص من حماية امريكا وتصبح « مستقلة » لا تتأثر بتغييرات السياسة الغربية . وهو الخوف الذى يحسه الساسة الاسرائيليون ، دائما ، وتجسد لديهم أكثر ، أيام حكم شارل ديجول ـ الذى كان من أقرب أصدقائهم ، ثم تحول الى ناحية العرب لاسباب اقتصادية ، وبعد ان رأى الاسرائيليون أيضا وبعد عدة أعوام ، أن البترول العربي هو الذى يحدد السياسة الغربية الأوربية تجاه اسرائيل .

ثم هناك « عدم الثقة » الاسرائيلي تجاه أى ضمان دولى . ففى عام ١٩٥٧ أكدت عشرون دولة من بينها الولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) هذا التساؤل يطرحه مؤلف الكتاب بكثير من الاستنكار .

لاسرائيل ان يظل ممر ايلات مفتوحا لسفنها . وحين أغلقه جمال عبدالناصر، أصبحت كل هذه التأكيدات لا تساوى الورق الذى كتبت عليه ، فإن واحدة من هذه الدول لم تحرك ساكنا .

كل هذه الأسباب والادعاءات تبدو ذات تبرير منطقى . لكن السبب الحقيقى هو دون كل هذه الادعاءات . فهو نفسى بالدرجة الأولى وهو ما يقال بتعبير علم النفس ـ الخوف النفسى ـ وهو مرض الخوف من الحصار ـ من « الهولوكوست » الذى يمكن تفسيره بأحداث التاريخ الحديث .

وكثير من اليهود لا يستطيع أن يتصور ، كيف وقعت أحداث الأبادة الجماعية فى عهد الرايخ الثالث الألمانى ، وأى مذلة ساقت كثيرا من الضحايا كالخرفان الى المذبح .

بسم الله الرحمن الرحيم :

« ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما ثقفوا ، وباءوا بغضب من الله »

« صدق الله العظيم »

[المترجمة]

وقد أصبح لدى اليهود حساسية خاصة للمقاومة ، ووسائل هذه المقاومة ، وقد طوروا هذه الحساسية . وأصبحوا اليوم فى موقف الدفاع عن وجود اسرائيل مهما كان الثمن ، لأن الخوف يملؤهم من كلمة قالها أحد القادة الفلسطينيين : « سنمزق اليهود ، وسنرميهم فى البحر » .

ان ما يجعل هذا الخوف المرضى من الحصار المحترق (الهولوكوست) خطيرا والقنبلة الذرية الاسرائيلية ايضا معه ـ هو أنه لا توجد ظاهرة منطقية محكومة . فهناك بعض القادة الفلسطينيين الذين يطالبون بتدمير اسرائيل ، ولكن يوجد أيضا آخرون ، ومنهم رئيس أكبر منظمة فلسطينية هى منظمة التحرير ، ياسر عرفات ، وهؤلاء يعترفون بالاتفاق بين العرب واليهود ، وكذلك بعض الزعماء العرب المعتدلون ، أمثال ، أنور السادات والملك حسين ، ملك الأردن .

لكن مرض الخوف الفظيع من الهولوكوست ، الذى يسيطر على معظم الاسرائيليين ، الخوف من اتجاه ، لابادة اليهود من جديد ، منع هؤلاء من رؤية التغير الذى طرأ على موقف خصومهم ، أو حتى من تصديقه .

ولهذا ، فإن كل محاولة للسلام فى الشرق الأسط ، لابد أن تحبط بفعل الاسرائيليين . وذلك لأن الناس الذين يحكمون اسرائيل ، هم اكثر من تأصل فيهم وبشدة ، مرض الخوف المزمن ، ومنهم اسحق شامير ، وأريك شارون ، وكان منهم مناحم بيجين .

* * *

فى عام ١٩٥٣ كان هناك ثلاث قوى ذرية فى العالم : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا . وفى كل من هذه الدول يعمل علماء يهود فى البرنامج النووى ، ويشاركون فى التطوير العلمى للقنبلة الذرية ، وكان حاييم وايزمان ، أول رئيس لاسرائيل ، عالم كيمائى من الطراز الأول .

وفى أحد أيام خريف عام ١٩٥٢ قابل بن جوريون فى مكتبه وسأله عن نسبة تعداد اليهود الى سكان العالم وعن عدد اليهود الحاصلين على جائزة نوبل فى العلوم . فكان الرد أنهم أقل من نصف فى المئة ، بينما يبلغ عدد الحاصلين على جائزة نوبل ٢٠٪ (لأسباب سياسية بالطبع)

وهذه المقابلة كانت سبب ولادة فكرة البرنامج النووى الاسرائيلى . وقد ابدى بن جويون مخاوفه الشديد دائما فى الأوساط القريبة منه . فهو لا يثق بالامريكان وبالذات فى آيزنهاور ، ولا فى وزير خارجيته جون فوستر دالاس ، ولهذا فإن على اسرائيل أن تصنع قنبلتها ، حتى ولو استمر هذا أعواما ، على ألا تدخل أمريكا فى الخطة .

كانت فرنسا ، هى الدولة الوحيدة القريبة من اسرائيل . وكان

الفرنسيون فى طريقهم ليصبحوا قوة نووية ، لكنهم لم يحصلوا على تأييد أو مساعدة من الأمريكيين أو الانجليز لكن الاسرائيليون يمكنهم ان يقدموا للفرنسيين نتائج ابحاثهم ، فيما يخص استخراج اليورانيوم من الفوسفات بالذات ، والذى يمكن لاسرائيل استخراجه من صحراء النقب ، أو فى مجال انتاج الماء الثقيل دون كهرباء ، وكلاهما هام فى تطوير البرنامج النووى .

رحبت باريس بالفكرة ، وأبدت استعدادها بالمقابل ، أن تسمح لاسرائيل بأن تكون « شاهدا صامتا » أثناء تنفيذ برنامجها النووى واعتقد الفرنسيون أن اهتمام اسرائيل ، لابد وأنه اهتمام نظرى .

فى يونيو من عام ١٩٥٥ ساهم الرئيس الأمريكى ايزنهاور فى قرب تحقيق خطط اسرائيل النووية ، دون أن يدرى فقد وقع على اتفاقية مع اسرائيل ، يتعهد فيها بالسماح لاسرائيل باستخدام الطاقة النووية سلميا وذلك باقامة مفاعل نووى صغير للأغراض العلمية فقط . وقد كان هذا المفاعل مهما جدا للاسرائيليين ، حيث انه سيتيح للعلماء اجراء تجاربهم على المواد المشعة دون أن يلفت الأنظار .

وهكذا بنى « ناحال سوريك » فى نوفمبر عام ١٩٥٨ الى االجنوب من تل أبيب ، وبدأ عمله فى ١٦ يونيو عام ١٩٦٠ . وقد سماه الاسرائيليون « المفاعل الصغير » لأن « المفاعل الكبير » كان قد بدأ بناؤه منذ زمن طويل ، بمساعدة فرنسا .

وقعت احداث حرب سيناء عام ١٩٥٦ ، حيث حارب الاسرائيليون بالطبع الى جانب الانجليز والفرنسيين ، مما حسن العلاقات بين اسرائيل وفرنسا ، أكثر فأكثر . وبقدر ماشجع الفرنسيون الاسرائيليون على جهودهم فى الحرب ضد مصر ، بقدر ماأسفوا على قبول اسرائيل للضغط الأمريكى ، فى الانسحاب من المناطق المحتلة من سيناء .

وفى بداية عام ١٩٥٧ ، هنأ رئيس الوزراء الفرنسى الاسرائيليين تهنئة خاصة فى رسالة قال فيها : « أن فرنسا تبدى اعجابها بالشعب

الاسرائيلى بلا نهاية ، ولاسرائيل الحق فى مساندة فرنسا لها فى مساعيها من أجل السلام .

وسرعان ماطلب بن جوريون ، المساندة ، وسأل فى باريس ، عما اذا كان الفرنسيون يستطيعون بناء مفاعل نووى فى « ديمونا » فى صحراء النقب ـ تكون طاقته ـ كما اقترح الاسرائيليون ـ ٢٤ الف كيلوا واط فى المرحلة الأولى ، على أن تتضاعف بعد ذلك . وبدأ واضحا ، أن اسرائيل تفكر فى القنبلة الذرية . وترددت الحكومة الفرنسية طويلا ثم وافقت على المشروع . ورحب العلماء الفرنسيون بقوة ، فقد كان معظمهم بناصرون الصهيونية ، لأن لهم أصولا وجذورا يهودية ..

وصل الى بئر سبع فى النقب ٣٦ خبيرا فرنسيا ، ولم يلحظ وجودهم أحد فى المدينة التى يعيش فيها بربر يتكلمون الفرنسية . وأقيم فى « ديمونا » بناء مستدير كالقبة ، يبدو من بعيد مثل كرة قدم ضخمة ، وحين كان السواح يسألون عنه ، كان رد الاسرائيليين ، انه مصنع للنسيج ، وكذلك كان رد بن جوريون حين سئل بعد ذلك من قبل الصحفيين .

لكن الزوار المدققين لم يكن ليفوتهم ، ان هذا « المصنع » عليه حراسة أفضل من الحراسة على مخازن الأسلحة الاسرائيلية ، كما أن دوريات مسلحة تجوب المنطقة ليلا ونهارا ، والبناء يبعد بضعة كيلوا مترات ، ومحاط بأسلاك شائكة .

فى ١٢ فبراير ١٩٦٠ اصبحت فرنسا القوة النووية الرابعة فى العالم ، وفجرت أول قنبلة لها فى الصحراء الكبرى ، وكان علماء اسرائيليون يتابعون التفجير . وكان قد بقى عامان فقط لينتهى مشروع الاسرائيليين فى ديمونا ، اذا لم يحدث ما يعطله ، ولا يمكن أن يعطله الا ان يكتشف الأمريكان سر مصنع النسيج ، أو أن يغير الفرنسيون من سياستهم النووية تجاه شريكتهم .

ظل رجال المخابرات الأمريكية فى تل أبيب والقدس نائمين ، بحيث لم يشكلوا أى خطر . لكن الفرنسيين هم الذين بدأوا يشكلون بعض

الصعوبات فقد انذروا الاسرائيليين فى منتصف عام ١٩٦٠ بإنهاء تعاونهم معهم ، على أن يستمر امداد الشركات الفرنسية « الشريكة » بالمواد الخام حتى عام ١٩٦٢ ، وهذا ماإستطاع الاسرائيليون تحقيقه فقط . وان كان هذا يؤجل المشكلة لكنه لا يحلها .فهم يحتاجون الى كميات كبيرة من اكسيد اليورانيوم والى اليورانيوم عالى النقاء ، وكلاهما لا يمكن شراؤه فى السوق العالمية .

اسرائيل تسرق اليورانيوم

فى أكتوبر ١٩٦٢ حدثت أزمة حادة فى الموساد بسبب اليورانيوم . وحين سأل وزير الزراعة السابق موشى ديان ، الذى كان من القلائل الذين يعلمون كل شىء عن المشروع ، عن مصادر اليورانيوم ، كان الرد ، فرنسا والجابون وتشاد . ولم يعد بالامكان الحصول عليه من فرنسا ، بينما أصبح من الصعب الحصول عليه من العالم الثالث ، بعد ان شددت امريكا الشروط العالمية .

وسأل ديان عن الكمية التى يحتاجها المفاعل ، فكان الرد ٢٥ طنا كل عام . واذا لم تحصل اسرائيل على هذه الكمية فهذا معناه ، ليس فقط ان المشروع مهدد ، ولكن معناه أنه انتهى ! وهنا قال ديان :

« **اذا لم تحصل على اليورانيوم ، فيجب علينا أن نسرقه** » .

ثم شكل الموساد وحده خاصة لسرقة اليورانيوم .

بعد ثلاثة شهور كانت هناك ثلاثة اقتراحات . الخطة الأولى : اقتحام أحد المصانع الخاصة فى الولايات المتحدة التى تصنع اليورانيوم النقى . وهى عملية خطيرة لكنها ممكنة .

والخطة الثانية : الهجوم على السيارات التى تنقل اليورانيوم فى الولايات المتحدة وهى خطيرة ايضا ، لكنها ممكنة .

والخطة الثالثة : استقطاب احد مديرى المصانع الخاصة ، واقناعه « بتحويل » اليورانيوم الى اسرايل . عملية اقل خطرا لاسرائيل ، أكبر خطرا شخصيا للمدير ! اثناء هذه المحادثات كان رئيس الموساد قد تغير وحل مائير آميت (عاميت) مكان عيزر هايل . وحين قرأ ملف الاقتراحات أشار الى الخطة الثالثة بالموافقة وبدأ البحث عن الرجل المطلوب .

* * *

« سلمان مورد خاى شابيرو » ولد فى كانتون ١٩٢٢ فى ولاية اوهايو الأمريكية ، ابنًا لأحد الأحبار الأرثوذكس اليهود الذى قدم من ليتوانيا

الروسية . وحين اصبح فى الحادية والعشرين من عمره علم ان النازيين قد أبادوا جزءا من العائلة التى كانت تعيش فى ألمانيا وتحول شابيرو الى صهيونى متطرف، يؤمن كل الايمان بأن اليهود يجب ان تكون لهم دولة .

حصل شابيرو على الثانوية العامة بتفوق وحصل على منحة دراسية للمتفوقين فى جامعة جون هوبكينز وحصل على درجة الماجستير ، ووضعته شركة « ستاندارد اويل اوف انديانا » فى قائمة موظفيها وفى ١٩٤٨ اتم شابيرو دراسة الكيمياء . ولم ينس طوال الوقت قضية اليهود . فانضم الى « المنظمة الصهيونية فى أمريكا » وأصبح عضواً فى « الجمعية التكنولوجية الأمريكية » التى تعمل بالاشتراك مع المعهد التكنولوجى فى حيفا .

فى عام ١٩٤٩ كلفته الشركة الأمريكية الكبيرة « وستنجهاوس » بمهمة خاصة وهى تركيب مفاعل فى الغواصة الأمريكية الذرية ، نوتيلاس « NAUTILUS » لكنه ، ترك الشركة بعدها بالرغم من التقديرات المادية . فقد كان طموحة أكبر ، وهو يريد أن يؤسس شركة . خاصة به . ولهذا نشأت عام ١٩٥٧ فى ديسمبر شركة : « المواد والاستخدامات النووية » على أن يكون لها اسم مختصر هو الحروف الأولى « «NUMEC» » (نوميك) . ومهمتها توريد اكسيد اليورانيوم الى المفاعلات الذرية التجارية التى تتزايد بسرعة فى الولايات المتحدة الأمركية .

تجحت الشركة نجاحا مبهرا فى مركزها فى أبولو فى بنسلفانيا ، وكانت تتلقى عروضا من الشركات الخاصة حتى دخلت فى منافسة مع الحكومة . وأصبح شابيرو واحدا من أهم صاحبى الشركات الصغيرة الناجحة .

لكن هذه الشركة تعرضت لانتقادات سلطةالرقابة على الطاقة الذرية الأمريكية المسماة«AEC» وقد جاء فى الوثائق السرية لهذه الرقابةأن شركة شابيرو تلقت انذار من الرقابة عام ١٩٦١ بشأن « خطورة الأمان الذرى لأن ادارة الشركة لا تتبع التعليمات الأمنية الخاصة بالمادة الخطيرة ولا تأخذها

مأخذ الجد . أما ما يقلق الرقابة أكثر من ذلك فهو أن شركة شابيرو تتعامل مع البلاد الأجنبية ، مع فرنسا وإيطاليا واليابان وهى لا تأخذ بالاحتياطات الأمنية الواجبة فى نقل اليورانيوم يوم ٢٣٥ US المحظور ، والذى يمكن أن يكون أساس صنع القنبلة الذرية .

وبالرغم من الحظر الصريح ، فأن شابيرو بدأ « يمزج » اليورانيوم عالى النقاء ، والذى يوجد فى المخازن بناء على تكليف الحكومة ، بيورانيوم من نوع آخر ، فيصبح من الصعب على الرقابة ان تثبت ان اليورانيوم هو (يو ٢٣٥) وان جراما واحدا من هذه المادة كانت تتكلف فى ذلك الوقت فى السوق العالمية حوالى ٨ دولارات ويكفى ١١ كيلو جراما منها لصنع القنبلة .

فى عام ١٩٦٣ ذهب شابيرو بتجاربه الى أبعد من ذلك .. الى اسرائيل ، فأصبحت شركته فيما بعد « المستشار الفنى » لاحدى مؤسسات الحكومة الاسرائيلية . وبعد عامين أسس شابيرو ما يسمى اختصارا « ايزوراد » ISORAD وهى شركة منبثقة عن شركته الكبرى « نوميك » ولكن فى اسرائيل ، على أن يكون ٥٠٪ من أسهمها فى يد الاسرائيليين . وكانت مهمتها الظاهرية هى « تطوير الالات التى تحمى الفراولة والحمضيات بالاشعاع » .

وبدأ شابيرو يستقبل ضيوفا اسرائيليين فى شركته وفى بيته ، وبكثرة . وكان من بين هؤلاء الضيوف « باروخ كيناى » وهو عالم ذرة ، وافرايم لاهاف ، الملحق العلمى فى السفارة الاسرائيلية فى واشنطن . وكلا الرجلين يقوم بمهمة اخرى عدا وظيفته : كلاهما عضو فى الموساد .

* * *

استطاع الموساد ان يقنع احد الموظفين فى شركة العال الاسرائيلية للطيران بنقل ٢١ كيلو جراما من اليورانيوم عالى درجة النقاء ، كتجربة اولى . وكان زفى زامير هو رئيس الموساد ، وعلم من الوحدة الخاصة أن

اسرائيل ستحصل على ٢٠٠ كيلو جراما ، وهو مايكفى كما قالت ، لصنع ١٨ قنبلة .

* * *

اكتشفت هيئة الرقابة على الطاقة الذرية ، فى احدى حملات التفتيش الروتينية ، فى ٣٠ ابريل ١٩٦٥ ، أن ٦٧ كيلو جراما من اليورانيوم النقى قد اختفت ، وهذه الكمية كانت شركة وستنجهاوس قد قامت بتوريدها الى « نوميك » لمشاريع ابولو النووية وقال شابيرو فى الاستجواب ، أن اليورانيوم قد قامت شركة نوميك « بدفنه » للتخزين . وهو امر طبيعى ووارد . لكن الرقابة لم تصدق هذا الزعم وأصرت أن تفتح المخازن التى دفن فيها اليورانيوم . وفى يوم ٢١ اكتوبر ١٩٦٥ اثبتت الحفريات أن « المدفون » من اليورانيوم لا يعادل حتى عشر الكمية المختفية من اليورانيوم . وبعد أسبوعين من البحث وضح لهيئة الرقابة أن الكمية الضائعة أكثر بكثير مما كان مقدرا . فقد بلغت ١٩٥,٥ كيلو جراما . وجاء فى تقرير الرقابة ، أنه لم يحدث قبل ذلك قط أن « اضاعت » شركة مثل هذه الكمية من اليورانيوم .

وقد دلت أوراق « نوميك » ان جزءا فقط من كميات اليورانيوم يو - ٢٣٥ الموردة ، قد ثبت فى الأوراق . وقدم شابيرو لهذا اعتذارا مسببا ، بأن جزءا من المستندات قد ضاع فى العام الماضى .

وفى النهاية كان تقرير هيئة الرقابة على الطاقة النووية ـ على مستوى التقارير القانونية فى هذه الحالات ـ كما يلى : « بالرغم من أنه لم تثبت بالتأكيد حالة سرقة أو تحويل الى جهة أخرى ، فإن فريق الرقابة لم يجد أى دليل واقعى على صحة هذا . بكلمة اخرى : لم يثبت على شابيرو أى سرقة او تلاعب . ولكن عليه ان يدفع ثمن اليورانيوم المفقود وكان ـ كما قدرته هيئة الرقابة ـ (٩٢٩ الف دولار) .

لكن هوارد براون ، الذى كان المدير العام لهيئة الرقابة ، وهو اليوم محامى فى واشنطن ، لم يدع الأمر يمر بسهولة . وظل يعمل جاهدا الى ان توصل البوليس الأمريكى ، الى « أن شابيرو مدافع صلب عن

الصهيونية ، لكنه ليس بالضرورة عميل الموساد »[1]

وليس هذا فقط ، بل أن شركة « نوميك » الخاصة بشابيرو اصبحت تتلقى عروضا اكبر من الحكومة الأمريكية ، وصنفتها ذات هيئة الرقابة ضمن احسن أربع شركات خاصة تستطيع التعامل باليورانيوم عالى النقاء » .

ورغم هذا فقد أغلق شابيرو شركته وشطب اسمها من السجلات التجارية .

حين وصل لجهاز المخابرات الأمريكية CIA فى عام ١٩٦٧ أن اسرائيل تمتلك السلاح النووى ، فتحت أوراق قضية شابيرو مرة أخرى .

وطلب مدير CIA « هليمز » من زميله فى مكتب التحريات الفيدرالى « هوفر » ان يراقب شابيرو ، وأن يراقب تليفونه أيضا .

وأكد مكتب التحريات أن شابيرو يتجول منذ شهور فى الولايات المتحدة الأمريكية ويقابل علماء امريكيين ، جميعهم من أصل يهودى ، ليناقش معهم قضايا علمية ، تخص الدفاع الاسرائيلى : مثل الأسلحة الكيمائية ، المفاعلات الذرية ، آخر تطورات الأسلحة التقليدية .

وتأكد إيضا أن شابيرو كن يقابل « افراهام هيرمونى » ، الذى حل مكان « لاهاف » ، كملحق علمى فى السفارة الاسرائيلية بواشنطن . وكان مكتب التحريات يعلم جيدا ان « هيرمونى » عميل للموساد وأنه يقوم بالتجسس فى الولايات المتحدة الأمريكية . ولكنه كان من الصعب

---

(١) ـ اشترك « رافائيل اتيان » وهو المسئول الأول عن الاستخبارات الاسرائيلية ، وأشرف على عملية تهريب كميات اليورانيوم المشع من ولاية بنسلفانيا . وقد اختفت الكميات وتقدر بـ ٢٠٠ كغ تقريباً وهي تكفى لصنع ٦ قنابل ذرية واشترك في تهريبها مؤسس المصنع اليهودى زالمان شابيرو وكان « ايتان » هو الذي قام باختطاف ايخمان وأصبح مستشار مناحم بيجين منذ عام ١٩٧٨ لشئون الارهاب . وقد اشترك مؤخرا في الاشتراف على أعمال الجاسوس الشهير بولارد الذى اكتشف عام ١٩٨٥ (عن الصحف العالمية بعد اكتشاف أمر بولارد) .

اقامة الدليل على نشاط شابيرو فى هذا المجال . فقد كان شديد الحذر فى مكالماته التليفونية ، وكان - على مايبدو - يستخدم تليفون أحد أصدقائه من السفارة فى نيويورك ، حين كان يريد اجراء أحاديث سرية هامة ، وكان تليفون هذا الصديق مجهزة بجهاز يمنع التصنت ، ولم يستطع مكتب التحريات ان يلتقت مكالمات شابيرو .

وحتى اليوم مايزال ينقص الدليل النهائى الأكيد على أن اليورانيوم الاسرائيلى قد سرق من أمريكا[1] وقد قال أحد أعضاء جهاز المخابرات الأمريكى لمراسل واشنطن - ستار : « جون فيالكا » : ان كثيرين منا لا يريدون تصديق ماحدث فاننا نزيح المشكلة دائما الى الجانب » . ولكن الأمر فى الواقع ليس بهذه الصورة . فقد أعد تقرير رسمى فى مارس عام ١٩٨٠ بناء على طلب من عضو الكونجرس « موريس أودول » عن أحداث مصنع « نوميك » لمشاريع أبولو . وهذا التقرير ايضا لم يورد اى دليل ولكن جاء فى نتائج التقرير : « انه من الممكن ان تكون كميات من اليورانيوم عالى النقاء قد (أبعدت) فى منتصف الستينيات ، بواسطة احد الرجال العاملين فى المصنع - او بواسطة مجموعة ، تعمل فى خدمة هذا الرجل » .

« سلمان موردخاى شابيرو » يعمل الآن فى ادارة شركة وستنجهاوس ، الشركة الى اختفى منها اليورانيوم بطريقة عجيبة .

---

(١) لم تسفر التحقيقات فى ذلك الحين عن تحديد الجهة التى ذهب اليها اليورانيوم ، لكن المخابرات الأمريكية استطاعت ان تثبت ان المخابرات الاسرائيلية هى التى استولت عليه . وظلت هذه الحادثة سرية الى ان أذاعها « بول ليفنتال » خبير الشئون النووية فى الكونجرس عام ١٩٧٧ فى سياق حديثه عن ضرورة تدعيم تدابير الأمن الدولية للحيلولة دون انتشار السلاح النووى .

سفينة يورانيوم تختفى فى البحر الأبيض المتوسط .

بدأ مفاعل « ديمونا » عمله فى يونيه (حزيران) عام ١٩٦٤ ، لكن أمر تصنيع القنبلة الذرية تأخر قليلا . فقد كانت هناك أصوات معارضة بين القليلية العارفين بالأمر . فرئيس الوزراء الجديد « ليفى إشكول » يعتبر هذا المشروع « قمة فى الحماقة » ويريد أن يوقفه اليوم لو استطاع ، قبل الغد . وكذلك « ايجال آلون » وزير الخارجية لم يكن موافقا كل الموافقة . ولم يدافع عن المشروع الا « موشى ديان » وشيمون بيريز » نائب وزير الدفاع فى ذلك الحين .

وفى حديث لمجلة « تايم » الأمريكية دافع « موشى ديان » عن رغبة اسرائيل فى امتلاك القنبلة الذرية ، بالرغم من أنه أنكر انكارًا قاطعا أن تكون اسرائيل قد فكرت أو حتى أعدت أية ترتيبات لهذا الغرض . وقال : « ليس لنا خيار فى هذا الأمر . اننا لا نستطيع أن نحشد دائما المدرعات والطائرات ، فليس هذا بإمكاننا جسميا ولا ماليا ولا اقتصاديا » وفى استقصاء للرأى العام فى اسرائيل فى ماس ١٩٦٦ ، تبين أن غالبية الشعب الاسرائيلى تؤيد « ديان » فى رأيه . فقد أبدى ٧٧٪ من الاسرائيليين موافقتهم على القنبلة الذرية وتبين أيضا ان سدس الشعب يعتقد أن القوات المسلحة الاسرائيلية تمتلك السلاح النووى . لكن الحقيقة أن القرار بتصنيع القنبلة اتخذ نهائيا فى سبتمبر (ايلول) عام ١٩٦٧ ، حين كانت اسرائيل ، الشعب والحكومة ، ما تزال منتشية بنصرها فى يونية (حزيران) لكن اسرائل اصبحت فى تلك الفترة بالذات معزولة عالميا ، أكثر من أ وقت مضى فالفرنسيون الذين كانوا يساندونها ويوردون السلاح اليها طيلة السنين الماضية ، فرضوا عليها حظرا بعد الحرب عقابا لها وإرضاء للعرب . فقد أصدر الجنرال « ديجول » أمرا بوقف صفقة طائرات الميراج ، قاذفات القنابل ، والتى يبلغ عددها خمسين طائرة ، كانت معدة لاسرائيل . وكانت فرنسا قد أوقفت تصدير اليورانيوم الى « دولة اليهود » منذ عام ١٩٦٢ بصفة نهائية . وهنا وقف موشى ديان ، وزير الدفاع ، أمام مجلس الوزراء

الاسرائيلى وقال : « إن علينا ان نصنع القنبلة ، الآن ، وإلا فلن يحدث هذا أبدا ..

لم تكن الأحوال فى « ديمونا » صالحة تماما . فهناك الكثير من الصعوبات ، أولها مشاكل متعلقة بالأمن . فقد كان على رجال الموساد ان يستبعدوا أحد العلماء الفرنسيين ، الذى كان يتجسس لحساب جهاز المخابرات الروسية كى . جى . بى K .G .B ، ووقع ضحية « حادث » ولم يستطع الاسرائيليون أن يعرفوا إلى مدى وصل الجاسوس الفرنسى مع السوفيتى ، وماهى المعلومات التى نقلها اليهم ، ولذلك كان عليهم أن يضعوا فى الاعتبار ، ان موسكو عرفت بأمر مصنع « النسيج » فى صحراء النقب .

وكانت هناك مشكلة تتعلق بالأمن أيضا ، فقد ضل قائد إحدى الطائرات المقاتلة الاسرائيلية طريقة فوق المنطقة الممنوعة فى « ديمونا » فأطلق عليه زملاؤه النار ومات .

وقد جاء منع تداول اكسيد اليورانيوم فى السوق العالمية فى وقت غير مناسب بالنسبة لاسرائيل . فما زال العلماء يطالبون بـ ٢٠٠ طن من اكسيد اليورانيوم وبأسرع وقت ممكن وأخذ رئيس الموساد « مائير عاميت » على عاتقه تأمين هذه الكمية ، وكان يعلم مدى خطورة مثل هذه العملية . وكان يعرف أنه لا يستطيع أن يحمى أحدا من رجاله لو اكتشف أمره .

ولهذا فإن هذه العملية يجب أن تكون وأن تظل « سرية للغاية » وأطلق عليها الموساد اسم « عملية بلومبات »[١][٢] . .

---

(١) تحت اسم هذه العملية صدر كتاب بالانجليزية ألفه ثلاثة من الكتاب الانجليز هم : الان دافينبورت ، وبول ايدى ، وبيتر جيلمان ، ويعتبر احسن ماكتب عن عملية بلومبات the plumbat affair

(٢) ومن وجهة النظر الاسرائيلية صدر أيضا كتاب : الموساد « Inside stories » لثلاثة من الصحفيين الاسرائيليين وهم « دينيس ايزنبرج ويورى دان وايلى لانداو وجاء فيه تفصيل لعملية بلومبات، وكان المؤلف « دان » قد اشترك بنفسه فى عملية السفينة شيربورج ولكنه لم يكن يعرف شيئا عن تورط الفرنسيين فيها ، ولذلك فلم يأت ذكر الفرنسيين فى الكتاب .

اكتشف جهاز المخابرات الاسرائيلية أن « الجمعية العامة للمعادن » SGM .. وهى اختصار ومقرها فى بروكسل [ببلجيكا] ، تستطيع التصرف فى كميات كبيرة من اليورانيوم ، حصلت عليها من الشركة (التو أم) لها فى الكونغو ـ البلجيكية ـ سابقا . وكل هذه الكميات الضخمة موجودة فى مخازن فى قرية تقع الى الشرق من مدينة انتويرب (انفرس) . وبدأ الموساد يبحث عن شريك بعيد عن الشبهات يستطيع أن يشترى اليورانيوم بعقد سرى لحساب اسرائيل .

وقع اختيار عضو الموساد على الشاب « دانييل ايربيل » أو (دانييل ايرت » ، الذى تذكر أحد رجال الأعمال الألمانى ويدعى « هيربرت شولتز » ، الذى كان قد قدمه له رجال المخابرات الأمريكية CIA أثناء زيارة « ايربيل » للقاعدة العسكرية الأمريكية فى فيز بادن بألمانيا الغربية .

و« شولتسن » هو أحد المساهمين فى شركة أسمرة « للكيماويات » التى تتخذ مقرها فى فيزبادن أيضا ، وهى شركة تعمل فى تخليـ ، المستحضرات الكيماوية من السموم الناتجة عن التلوث الاشعاعى والكيمائى .

وفى زبائن الشركة المستديمين ، بالاضافة الى الجيش الأمريكى ، يدخل الجيش الألمانى ، لأن « شولتسن » له علاقات طيبة جدا فى بون . وفى مقاله الذى نشره تحت عنوان « السموم التخريبية الكيمائية فى مجلة رسمية تصدر عن الحكومة الألمانية فى عددها ٨/٧ لسنة ١٩٦٥ ، وهى مجلة « الأمن المدنى » ، جاء « ان صاحب المقال يخص بالشكر العميق المستشار الوزارى « لودفيج شايخل » من الوزارة الاتحادية لشئون الدفاع فى بون ـ على نصائحه القيمة ومساعداته العظيمة . واشتغال « شولتسن » بالمواد الاشعاعية الواقعة بالاضافة الى عمل شركته الرئيس ، يجعل منه شخصا هاما فى كل الأوساط التى تهتم بهذه الوسائل الدفاعية .

إلا أن لهذا العالم الوسيم المحب للحياة جانبًا لا يروق للاسرائيليين ، فهو موصوم بأنه « نازى » فى نظر رجال الموساد ، لأنه حارب بجانب الرايخ الثالث حين كان طيارا حربيا . لكن المركز الرئيسى للموساد يمكنه التغاضى كلية عن هذا (الماضى) .

اذا تطلب الأمر ، ولا قيمة لهذه الأخلاقيات فى هذه الحالة . وبدأ القائد (الياهو ساخاروف) يجرى اتصالاته مع « شولتسن »

كان ضابط الموساد يشغل وظيفة « مدنية » كمدير لمصنع « تاعال » لخشب الألواح (الابلاكاج) فى تل أبيب . فأبدى اهتمامه فى البداية بالألوان التى ينتجها مصنع فيزبادن ، وبذلك نشأت علاقة عمل بين رجل الموساد وبين رجل الأعمال الألمانى .

ويؤكد المؤلفون البريطانيون دافينبورت وايدى وجيلمان فى صحيفة « صنداى تايمز » أن الاسرائيليين أحضروا شولتسن الى اسرائيل لعلاجه فى اصاباته فى رأسه أيام الحرب العالمية الثانية ، والواقع أن « شولتسن » سافر فعلا الى اسرائيل ، وقام بعدة أعمال تتصل بخطة الموساد المدبرة . إلا أن « شولتسن » ينفى نفيا قاطعا أنه زار إسرائيل من قبل .

أما مجلة « تايم الأمريكية فتشير الى دلائل قاطعة لديها ، بأن الحكومة الألمانية فى الائتلاف الحكومى برئاسة كورت جورج كيسنجر قد ساعدت الاسرائيليين فى الحصول على اليورانيوم ، وكرد فعل تلقت بون موافقة من اسرائيل على اشراف . الحكومة الألمانية على برنامج الأبحاث العلمية فى « ديمونا » وهذا يعنى أن « شولتسن » ساعد الاسرائيلية فى « نقل اليورانيوم » بموافقة حكومة كيسنجر الألمانية ، وبصفته ضابط مخابرات فى الجهاز الألمانى ، وهو أمر بعيد الاحتمال

والأقرب الى الصواب هوما قاله« هربرت شولتسن » .. فى حديثه الى محررى مجلة شيترن الألمانية أثناء زيارتهم له فى شركته الحالية فى مدينة تاونس ، بأنه لا يستطيع الآن على الأقل ـ الكلام عن هذا الموضوع ، والتى تورط فيها جهاز المخابرات الألمانى . إلا أنه أكد أنه

تم « استغلاله » استغلالاً سيئاً ، وأنه « كما يقول « لم يكن يعلم شيئا عن أبعاد عملية اليورانيوم والتى تمت بمساعدته .

وربما لم يكن يعلم أيصا أن الذين اتفقوا معه على هذه العملية كانوا رجالا فى الموساد فى وحدة مهام خاصة .

ولكن شيئا واحدا مؤكداً هو أنه « بدون المساعدة الفعلية من جانب المهندس الألمانى ، لم تكن اسرائيل تستطيع الحصول على ٢٠٠ طن يورانيوم ، أبدا » .

فى يوم ٢١ مارس عام ١٩٦٨ أرسلت شركة « شولتسن » أسمرة للكيماويات فى فيزبادن عقد شراء ٢٠٠ طن من اليورانيوم الى شركة « الجمعية العمومية للمعادن » فى بروكسل وقالت شركة اسمرة فى الطلب : أنها تريد التوسع فى انتاج البتروكيميائيات وتحتاج اليورانيوم كعامل مساعد Catalys ator ، وحتى يمكن استخدامه بهذا الشكل ، يجب معالجته أولا . ولهذا الغرض تريد اسمرة أن ترسله الى شركة « شيناجار » فى كازابلانكا بالمغرب بالسفينية ، ثم تسترده بعد معالجته »

كانت هذه الرسالة ضمن مخطط الموساد فرجال الموساد سختطفون السفينة وهى فى عرض البحر وسيحولون الشحنة من اليورانيوم الى اسرائيل . ولم يجد نائب رئيس الشركة البلجيكية « دينيس ديفيز » فى تبرير العقد مايريب ، ويبدو أنه لا توجد أية مشاكل حالية مع العميل الألمانى .

حولت « أسمرة » مبلغ الشراء الكلى « ٨,٥ مليون مارك » عن طريق إحدى البنوك السويسرية وحين سافر مدير الشركة ديفيزا فيزبادن للتفاوض فى هذه الصفقة ، يبدو أنه لم ير البناء المتواضع الذى تشغله شركة أسمرة .

إلا أنه لفت نظر « شولتسن » الى صعوبة (بسيطة) ، وهى أن المغرب ليست من دولة السوق المشتركة . وأى شركة تريد أن ترسل اليورانيوم الى بلد ليست عضوا فى السوق المشتركة ، فإنه يلزم الحصول على اذن خاصة من هيئة الرقابة الدولية للطاقة الذرية المسمى

اليـوراتوم Euratom بالاضافة الى التصريح العادى .

لم تكن « شيناجار » بالشركة المناسبة لهذه العملية . فهى تعمل فى تصنيع منتوجات من الأعشاب البحرية ، وليس لليورانيوم أى دخل فى هذه الصناعة .

أدى وجوب استخراج تصريح خاص من هيئة الرقابة الدولية الى قيام زوبعة فى الموساد فمثل هذه السقطة ماكان يجب ان تفوت على تخطيط الموساد . وأقيل رئيس الموساد للتخطيط عقابا له .

ولما كانت المغرب لا تصلح ، فقد تحولت الانظار الى شريك جديد يدخل فى السوق المشتركة ، وهى شركة « سايكا » وهو مصنع فى ميلانو لانتاج الألوان . وقد بهر صاحب الشركة « فرانسيسكو سيرتوريو » حين اقترح عليه صديقه القديم « شولتسن » عملية « معالجة اليورانيوم » وبالرغم من أن شركة « سايكا » لم تتعامل قبل اليوم مع اليورانيوم ، إلا أن « سيرتوريو » وافق على الصفقة بعد أن استلم مبلغ (٤٠) ألفا مارك ألمانى ، كمقدم ، وكانت شركته فى أشد الحاجة اليها ، مع وعد بالتعاون بعد ذلك .

وجد الموساد لنفسه عنواناً جديدا للتموية ٨ وهو يحتاج الآن الى سفينة تحمل علمًا لا يدخل الشك الى أحد ، لنقل اليورانيوم ، من انقرس (انتويرب) إلى ميلانو عن طريق جنوا ، كما هو مفروض . وسرعان ما أنشأ الموساد قسما لشئون البحار . فبعد اتصالات مع أحد المحامين فى زيوريخ جرى تأسيس الشركة البحرية بسكاين تريدر شيبينج Biscayne Traders shipping .

وذلك في خـلال أربع وعشـرين ساعـة فقط وكلفت المـوساد دفـع الرسوم . وكانت ١٥٠٠ مارك فقط . وتولى رئاسة الشركـة شخصان هما : دانييل ايـرت عضو المـوساد الذي عـرفهم بالرجـل الألماني ، والسمسار (الوسيط) التركي « برهام ياريزال » .

في أغسطس عام ١٩٦٨ كلف « يـاريزال » زميله الألمـاني « أوفى مولر » ان يبحث له عن سفينة ناقلة . وبعد ثلاثة أسـابيع فقـط كان

الألمـاني الذي لا يعـرف شيئـاً عن العمليـة ، قـد جهـز سفينـة « شيرزبيرج A » .

يمكنها أن تنقل ١٠٦٢ طنا تابعة لشركة بحرية ألمانية فى هامبورج . ولم يتردد « ياريزال » كثيرا ودفع مبلغ ١,٢ مليون مارك ثمنا للسفينة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٨ .

لم يعد ينقص الا تصريح هيئة الرقابة فى بروكسل ، وإمعانا فى التموية ، قامت السفينة بطاقم كامل بقيادة بيرسى بارو ، وهو اسرائيلى من لندن يبلغ من العمر ٣٥ عاما ، برحلة تجريبية فى البحر المتوسط ، لكن هيئة الرقابة لم تعط التصريح بعد .

كانت المخابرات الاسرائيلية تعتمد على شىء واحد ، هو أن السلطات فى بروكسل ، لن تقوم بالتدقيق الكامل ولن تكثر من الأسئلة ، لأن الموظفين عادة مايكونون متعبين ، مرهقين ، وهم لا يكونون فى مراكز مناسبة لكفاءاتهم فى العادة .

تولى أمر فحص عملية « اسمرة » محام يدعى « فيلسك او بوسيير » وليس لديه معلومات كبيرة عن الذرة. وقد استطلع رأى المورّد « ديفير » عما إذا كان اليورانيوم يمكن استخدامه فعلا كـ Catalysator كما جاء فى أسباب عقد الصفقة ولم يؤكد له « ديفير » هذا فقط ولكنه أشار الى صفقة مماثلة تمت منذ وقت قريب من قبل الحكومة الهولندية لاستخدام اليورانيوم لهذا الغرض .

وفى يوم ٣٠ أكتوبر من عام ١٩٦٨ وضعت أعلى سلطة للرقابة على الطاقة فى أوربا ختمها على الصفقة : « لا خطر » ، لتتمكن بذلك اسرائيل من انتاج القنبلة الذرية وبدأت عملية الوحدات الخاصة المسماة : عملية بلومبات »

فى يوم ١٥ نوفمبر عام ١٩٦٨ كمان الضباب يسيطر على سماء « انتويرب » ولم يكن يوما رائعا . وأخذ عمال الميناء يعملون ساخطين متبرمين ، فقد كان عليهم شحن ٥٦٠ برميلا . وكان على كل برميل كلمة « بلومبات » مختومة بأمر من « شولتسن »وكانت البراميل تحتوى على ٢٠٠ طن من خام اليورانيوم .

لم يكن هناك أية مشكلة . وبعد ٩٠ دقيقة كانت السفينة« شيرزبيرج إى » قد بدأت فى الأبحار فى طريقها الى جنوا ، التى لم تصلها أبدًا .

حدثنى (حدث المؤلف) أحد العاملين فى الموساد فى تل أبيب ، كيف تمت الرحلة بعد ذلك فى ٢٤ نوفمبر كان على السفينة ان تتجه إلى الشمال الشرقى ، لكنها ظلت محتفظة بمسيرتها فى اتجاه الشرق . وفى يوم ٢٩ نوفمبر وصلت قبل منتصف الليل إلى نقطة التلاقى حسب الخطة ، بالقرب من قبرص . وفى أعالى البحار كانت باخرة تنتظر . ولما وصلت شيرزبيرج تقدمت حتى توازى الجانبان ، وفى خلال أربع ساعات كانت الحمولة قد نقلت .

ثم نقل الحمولة الى حيفا ، حيث كانت سيارات تنتظر ، لتحمل اليورانيوم إلى مركز الذرة ديمونا فى صحراء النقيب . وأعلن فى المجلس الوزارى أن « عملية بلومبات « قد تمت أخيرا » وأصبحت اسرائيل تمتلك كل مقومات القنبلة .

وفى مارس عام ١٩٦٩ تم إعلان وزير الدفاع آنذاك ، موشى ديان ، بنجاح التصنيع وأصبحت القنبلة الذرية الاسرائيلية جاهزة . واحتفل موشى ديان بالمناسبة ، وقال لأقرب أصدقائه « أعلن لكم اليوم عن مولد دولة ذرية جديدة ، وهى اسرائيل »

* * *

على شاطىء اسكندرونة جنوب تركيا ، اكتشفت سلطات الميناء فى ٢ ديسمبر ١٩٦٨ وجود سفينة تسمى « شيرزبيرج اى »ليس عليها طاقم . وفى الدفتر الخاص بالحوادث فى السفينة المسمى Log book لم يكن هناك مايدل على سير السفينة فى الأسابيع الأخيرة ، فقد استطاع القبطان « بارو » أن يمسح أى أثر .

مر أكثر من سبعة شهور قبل تكتشف هيئة الرقابة الأوربية للذرة « يوراتوم » اختفاء ٢٠٠ طن من اليورانيوم . وتلقت شركة « سايكا » فى ميلانو ، التى كانت يفترض أن يصل إليها اليورانيوم لمعالجته ، قيمة رسوم تخزين اليورانيوم ، الذى (اضطرت) أسمرة إلى نقله الى مكان آخر حاليا ، سر رجال شركة « سايكا » لأنهم لم يكونوا يعرفون بعد ،

مايجب عليهم أن يفعلوه لمعالجة اليورانيوم كما ينبغى .

اكتشف احد موظفى هيئة الرقابة على الذرة فى بروكسل بعد وقت (قصير) ، ان شركة « سايكا » فى « ميلانو » لم تبلغ عن وصول اليورانيوم ، كما هو متبع . وتجاهلت « سايكا » انذار « اليوراتوم » ، ولكن الأمر فى هيئة الرقابة لم يثر قلقا ، كما قال المحررون فى صحيفة « صنداى تايمز » لأن « كل واحد كان يعلم أن البريد الايطالى ليس على هذه الدرجة من السرعة »

وحين سأل « انريكو جاتشيا » المدير الايطالى لقسم الأمن فى هيئة الرقابة ، شركة « أسمرة » عن مصير البضاعة من اليورانيوم ، أجاب « شولتسن » بأنه اشترى اليورانيوم بناء على طلب من أحد الزباين ، وحين كشف هذا « الزبون » نفسه ، وأعلن أنه ضد الشركة الايطالية « سايكا » لم يعد فى إمكان « شولتسن » أن يعرف أين ذهب اليورانيوم .

واحتار المدير « جاتشيا » وحاول أن يعرف من هو هذا « الزبون العميل لشركة أسمرة » إلا أن محامى « شولتسن » أنبأه ، بأن هوية هذا العميل سر من أسرار المهنة ، وأن سلطات « اليوراتوم » أو (هيئة الرقابة) ليس لها أى حق فى أن تجبره على البوح به .

وقد اجتمع مدبر أمن هيئة الرقابة فى ديسمبر ١٩٦٩ بممثلى دول السوق الأوربية المشتركة وكانوا أيامها ستة دول ، مع مخابرات هذه الدول ، وذلك لمعرفة ماخفى من أمر الصفقة . ووجد كلاما عن « قراصنة » « اليورانيوم » ، وكان المدير يشك فى أنهم لابد أن يكونوا اسرائيليين .

لكن محاولات البحث التى قامت بها مخابرات الدول الأوربية لم تجد شيئا ، ولم تتمكن من معرفة أسماء الطاقم الذى كان على السفينة « شيرزبيرج اى » ، فقد اختفت القائمة الخاصة بالأسماء . وحتى القائمة التى حصل عليها المراسل « يورجين فيشر » بتكليف مجلة « شتيرن » الألمانية ، لم توصلنا إلى أسماء الاسرائيليين : فاسم القبطان « بيرسى بارو » (الذى كان يحمل جواز سفر رقم ٨٨١٠٣٥ فى

دفتر البحارة على السفينة) والمهندس اوسكار بيلجورد (جوز رقم ٩٩٦٧٧٤) والمضيف « ألفريد جوكلر » (استرالى رقم ٠٠٤٩٢٥١) كلها أسماء مزورة ، وبارو وبيلجورد وجوكلر يعملون تحت قيادة الموساد بأسماء أخرى فى عملية أخرى .

أما مدير الشركة التى تأسست بسرعة وهو « دانييل ايرت » فقد شطب اسم الشركة البحرية من السجلات التجارية ، وتابع عمله مع الموساد حتى أصبح فى عام ١٩٧٠ رئيسا للموساد فى اسكندنافيا ، لكنه قبض عليه بعد فشل محاولة قتل [الفلسطينى] « على حسن سلامة » أحد الذين خططوا المذبحة الأوليمبية في ميونيخ. وكان فريق الموساد الذى يرأسه « ايرت » قد قتل أحد المغاربة العرب ، الذى لم يكن له أية علاقة بالعملية .

وبعد سبعة شهور من السجن طرد « ايرت » من النرويج ، وهو اليوم احل أعمال تحت اسم مستعار ..

وماتزال السفينة شيرزبيرج اى « تجوب البحر المتوسط » فقد باعها « دانييل ايرت » فى يوم ٢٠ يناير عام ١٩٧٠ بمبلغ (٨٥٠) الف مارك الى شركة تابعة لباناما هى : « جريجال كومبانيا » ثم بيعت مرة ثانية ، وأصبح اسمها « كيركيرا » وهى تنتقل بين الجزر اليونانية .

إلا ان صفقة اليورانيوم ، لم تكن الوحيدة . فقبل أن يبيعها الموساد ، قامت السفينة بعملية أخرى لحساب المخابرات الاسرائيلية . وكان ذلك فى يوم « عيدالميلاد » عام ١٩٦٩ حين إختطفت الاسرائيليون الزوارق الحربية فى ميناء شيربورج فى فرنسا بمساعدة شيرزبيرج فى خليج بيسكايا .

* * *

فى ٢٦ فبراير ١٩٦٩ توفى « ليفى ايشكول » ، وأصبحت جولدامائير خلفا له . وكانت دائما ضد البرنامج النووى الاسرائيلى . لكنها غيرت رأيها بعد أن عرفت ان القنبلة اصبحت جاهزة وحين قامت السيدة

العجوز فى نهاية سبتمبر ١٩٦٩ فى زيارة للولايات المتحدة الأمريكية ، أصرت على ألا توافق على الاتفاقية بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفياتى ، التى تقضى بعدم انتشار الأسلحة النووية ، لأن مثل هذه الاتفاقية تمكن من فرض رقابة عالمية ، وبالتالى مراقبة مفاعل « ديمونا » وهذا يعنى أن العالم كله سيعرف ، مالم يكن احد يعرفه فى ذلك الوقت بأن اسرائيل تمتلك القنبلة الذرية .(١)(٢)

* * *

---

(١) نشرت صحيفة « صنداى تايمز » تحقيقا كبيرا أدلى فيه العالم اليهودى مردخاى فانونو بتأكيدات حول المصنع الاسرائيلى تحت الأرض لانتاج القنبلة الذرية وكشف عن اسرار الترسانة النووية الاسرائيلية ، فى أواخر عام ١٩٨٦ مما أثار ضجة كبيرة فى العالم . ولأول مرة لا تتجاهل اسرائيل هذا الموضوع ، بل تم القبض بصورة ما على العالم فانونو ، واختفى حتى كتابة هذه السطور ، دون ان يعرف احد مكانه ، وان كان الجميع يعرفون ان اسرائيل هى التي اختطفته لمحاكمته . وفانونو هو يهودى مغربى ولد فى مراكش عام ١٩٥٤ وهاجر مع والديه الى بئر سبع (باسرائيل) وتلقىَ دروسا فى الطبيعة والكيمياء والرياضة واللغة الانجليزية قبل ا ن يعمل فى مفاعل « ديمونا » . وقد شرح « فانونو » كيفية وصول اسرائيل للقنبلة ، وجاء فى التحقيق ان « وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والأمم المتحدة قد استنتجوا ان اسرائيل ربما تكون قد قامت بفصل وتجميع كمية من البلوتونيوم طوال الاثنين والعشرين سنة الماضية ، تكفى لصنع عشرة الى عشرين قنبلة ذرية بدائية مشابهة للتى القيت على نجازاكى . والشهادة التى ادلى بها فانونو تعد من أهم الاسرار العالمية التى ظلت فى طى الكتمان ، والتى تنقض تصور كون اسرائيل مجرد دولة ذرية بدائية ، وإنما هى دولة تحتل المركز السادس فى النادى الذرى وتحوى مخازنها على الأقل منه قنبلة ذرية مع حيازتها على المكونات اللازمة لصناعة قنابل ذرية ونيوترونية وهيدروجينية . وظل فانونو يعمل تسع سنوات قدر ا لخبراء بناء على كلامه أن ما أنتجته اسرائيل كان حوالى ٤٠ كيلو جراما سنويا وهى تكفى لصنع عشر قنابل ذرية ، وتكفى كمية ما أنتجت لصنع مئة قنبلة ذرية ذات قدرة تدميرية تساوى عشرين الف طن ديناميت ، وهى تماثل ما القى على نجازاكى .

(٢) :

ذكرت مجلة شبيجل الألمانية فى يونيو (حزيران) ١٩٧٨ نقلا عن الصحفيين الاسرائيليين الثلاثة فيما يتعلق بالسفينة شيرزبيرج وسرقتها ، وقد جاء فى المقالات المسلسلة ، أن رجال الموساد تمكنوا من ايقاع احد اعضاء هيئة الرقابة وكان شابا ايطاليا

فى الثلاثين من عمره ، ومن المع علماء الطبيعة فى ايطاليا .

وقد وكلت المخابرات الاسرائيلية احدى عميلاتها التى تعرفت به عن طريق تصادم سيارتها الصغيرة القديمة بسيارته الفارهة « الفاروميو » امام مبنى الهيئة ، وقدمت له بطاقتها مع اعتذار رقيق، تسأله ان يتصل بها لتعوضه عن خسارته . وتعمدت ان تلتقى به على مر أى من الناس وجاءت مبكرة عن موعدها معه وكانت تراقب المصاعد حتى سنحت لها الفرصة فغافلت رجل الأمن العجوز الذى انتبه بعد لحظات ، لكنها كانت قد اندفعت الى غرفة العالم الشاب وفاجأته مع أوراقه فى غرفته . والتقطت بعينيها وبالكاميرا كل مافى الغرفة . وفى يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٦٨ حين تصدرت الصحف انباء ضرب المصريين للسفينة « ايلات » الاسرائيلية بصواريخ سوفيتية وأغرقتها وراح فى الحادث أكثر من ستين بحاراً . قرر الشاب الايطالى أن ينحاز الى جانب اليهود ، ولاحظ الجميـع ميله للفتاة التي لم يكن يعرف أنها اسرائيليـة ، بل أفهمتـه أنها أمـريكية . وأثـارت عطفـه عليها بقصة مختلقة عن (خطيبها) الذى كان يعمل طياراً حربياً في اسرائيل ، وقتل في معركة جوية فوق دمشق وصرحت أنها بالرغم من كونها أمـريكية لكنهـا على استعـداد أن تفعل أى شيء لأجل الاسرائيليين . وعرف العـالم الايطالى أن مـا تحتاجـه اسرائيـل هو الأسلحـة الذرية . واتصل به أحد رجال المخابرات الاسرائيلية وأقنعه أن يزوره في مـركز المـوساد فى تـل أبيب حيث أعطاه رئيس وحدة الأبحـاث والشئون العـربية الجنـرال « مائـير عاميت » ملفـاً تحت اسم : « عملية قرصنة ١٩٤٨ » وكانت لاسرائيل أثناء الحرب مع الدول العربية حيث سرقت اسرائيل السفينة « لينو » التابعة لسـوريا ونقلت حمـولتها من السـلاح وزنه ٤٥٠ طنـاً الى السينة « أجيرو » في ميناء حيفا . وعلى العملاء الآن تنفيذ عملية شبيهة بهذه العملية . وكان الرأي أن تحـول سفينة اليـورانيوم الى كـازابلانكـا بالمغـرب ثم تسرق الحمـولة وتشحن في طريقها الى الهند التي دفعت ثمن « البضاعة » ذهباً .

فى يوم ٧ نوفمبر ١٩٦٨ علمت المخابرات الاسرائيلية بموافقة الجنرال اوفقير على العملية ، شرط ان يعلم بكل تفاصيلها . وطلبت المخابرات الاسرائيلية اثنين من البحارة المغربيين لاستخدام اوراقهما فى مرسيليا وعليها خاتم الدولة المغربية الرسمى .

لكن الذى حدث فى مرسيليا بعد ذلك ، أن قتل واحد من رجال الموساد ، وهو احد اثنين من الرجال الذين ارتدوا ملابس البحارة المغربيين ، اما الآخر وهو « شاولى مزراحى » فكان ضابطا فى قسم الشئون العربية فى الموساد ، وقد انهار تماما حين القى القبض عليه ، وما كاد ينطق باعرافاته ، حتى اطلق عليه الرصاص ، ومات فى الحال .

٤٨ ساعة فى أكتوبر ١٩٧٣ وقف العالم على حافة حرب ذرية

فى الساعة العاشرة مساء يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٧٣ ، كانت الأنباء تتوارد الى مكتب رئيسة الوزراء جولدامائير . فقد عبرت القوات المصرية فجأة قناة السويس فى يوم ٦ اكتوبر ، وتقدمت فى الضفة الشرقية لقناة ، بينما كانت القوات السورية تتقدم فى الجولان بمدرعاتها ودباباتها وتحتل المراكز الاسرائيلية العسكرية الهامة ، بسهولة ، وقال الجنرال « اسحق خوفى » يومها ، وكان قائد الجبهة الشمالية (ثم اصبح رئيس الموساد) « اننى لا أعتقد أنه يمكننا أن نستمر فى المقاومة » .

وقال وزير الدفاع الاسرائيلى « موشى ديان » لقد اقتربت الساعة » بينما اتخذت « جولدامائير » قرارها بإعلان حالة الطوارىء القصوى فى الوحدة السرية الخاصة ، بين الرجال المكلفين بإلقاء القنبلة الذرية . كانت اسرائيل تمتلك فى ذلك الحين **١٣ قنبلة ذرية** ، وضعتها فى خنادق خاصة تحت صحراء النقب .

وقد أشار عليها ، أحد المقربين إليها ، بأن تعطى الأمر بإلقاء القنبلة الذرية فوق مصر « لأننا ـ كما قال » نحن اليهود ، لا نستطيع أن نعيش ونجرب (هولوكوست) [الى الحصار المحترق] مرة أخرى . وقبل أن يحدث هذا ، سندمر الشرق الأوسط كله .

لكن جولدامائير انتظرت لتستشير مخابراتها . وكان « زفى زامير » رئيس الموساد الجديد ، يستطلع رأى زملائه فى جهاز المخابرات الروسية كه . جى . بى KGB عن موقف روسيا فى حرب الشرق الأوسط . وكانت مائير على ثقة أن مسار الحرب سيتغير ، لو أن الروس رفضوا أن يقفوا إلى جانب العرب ، واذا حدث ، فإن على رئيس الموساد أن ينذر رجل الاتصالات السوفيتى ، بأن اسرائيل تستطيع أن تصل إلى جنوب الاتحاد السوفياتى ، وسترمى قنبلتها هناك .

وأبرق عضو المخابرات الروسية الى موسكو فورا . ووقف العالم ٤٨

ساعة ينتظر ، دون أن يعرف الرأى العام العالمى بالخطر ، إلى أن جاء الرد من موسكو : « ان السوفييت لن يحاربوا الى جوانب القوات المصرية او السورية .

وحين بدأ التوتر يخف ، كان وزير الخارجية الأمريكى « هنرى كيسنجر » يتفاوض مع موسكو والقدس على وقف القتال . وزال خطر الحرب النووية .

لكن البرنامج النووى الاسرائيلى مازال مستمرا . وأصبح لاسرائيل شريك رئيسى هى دولة جنوب افريقيا ، وذلك لأن للحكومة العضوية مصالح مع العلماء الاسرائيليين كما أن دولة جنوب افريقيا هامة جداً بالنسبة لاسرائيل ، لما فيها من اليورانيوم ، بكميات ضخمة. ومنذ أعوام ، والدولتان تتعاملان معاً في تجارة السلاح على نطاق واسع . فاليورانيوم الأفريقى يصدر الى اسرائيل بطرق سرية والعلماء اليهود ينزلون ضيوفاً على حكومة « برتوريا » في بوهانزبيرج . وقد وضعت السلطات في جنوب افريقيا صحراء « كالاهارى » تحت تصرف الاسرائيليين لاجراء تجاربهم النووية فيها .

وقد أشيع فى ربيع عام ١٩٨٠ أن الاسرائيليين فجروا قنبلة بالقرب من سواحل جنوب افريقيا ، لكن عيزر فايتسمان ، وزير الدفاع الاسرائيلى ، نفى هذا بشدة وغضب ، وأكد أن الإشاعة غير حقيقية ، أو ليس بعد . ويبدو أن « فايتسمان » لم يكن مرتاحا للتعاون النووى بين الاسرائيليين وجنوب افريقيا : فالوزير الاسرائيلى ، كان قد عاد قبل بضعة أيام من زيارة عمل رسمية فى الخارج : من بريتوريا !

عملية سفينة نوح

(اختطاف الزوارق الحربية المزودة بالصواريخ)

بعد أن انتهى كل شىء ، تذكر الجميع أنهم لاحظوا شيئا . فقد تذكر أحد العاملين فى كازينو للقمار بالقرب من ميناء شيربورج قول احد البحارة (الاسرائيليين) ، الذى كان يراهن فجأة بأكثر من المعتاد : « ان هذا لا يهم ، فنحن سنهرب على كل حال » وأسكته زملاؤه ، ولم يفهم عامل الكازينو معنى الجملة ، فلم يكن عنده أية فكرة عن مقدار أهمية هذا القول .

« ومادلين » زوجة أحد أصحاب المصانع فى شيربورج بفرنسا ، كانت قد أحبت بحارا اسرائيليا يعمل فى المدينة ، قال لها فجأة ذات يوم « يجب أن تقررى حالا إذا كنت تريدين الانفصال عن زوجك لتأتى الى اسرائيل فى الأسبوع القادم وكان هذا مفاجأة لمادلين ، التى سألت صديقها الاسرائيلى عن سبب هذا السفر المفاجىء ، فأجابها بأنه لا يستطيع الكلام فى هذا الموضوع ، ولكنه يعرف أنه يجب ان يرحلوا جميعا مع « عيد الميلاد »

وحتى رجل المخابرات الفرنسية لفت نظره أشياء غير عادية . وفى الأسبوع السابق لأعياد الميلاد لعام ١٩٦٩ أرسل أحد أعضاء « المكتب الثانى » فى شيربورج تقريرا عاجزا الى مركز المخابرات الفرنسية الرئيسى فى باريس ، وحذر فيه من « نشاطات مشبوهة للعملاء الاسرائيليين » فى شيربورج ، والتى يعتقد أن لها علاقة بالزوارق الخمسة الموجودة فى الميناء »

ولكن ، مالا يعرفه هذا الرجل الفرنسى ، هو أن تحذيره جاء فى وقت غير مناسب . لأن الأوساط العليا فى المخابرات الفرنسية والحكومة الفرنسية قد اتفقت ضد رئيس الدولة بومبيدو ووزير الخارجية شومان ، على تكوين فريق مع المخابرات الاسرائيلية يعمل فى العالم كله .[1]

وفى ليلة عيد الميلاد المليئة بالضباب اختطف الاسرائيليون خمسة

(١) أكد هذا الكلام مدير المخابرات الفرنسية السابق الكسندر دى مارانش فى الكتاب الذى نشر أخيرا عام ١٩٨٦ .

زوارق حربية مزودة بالصواريخ كان « بومبيدو » قد فرض الحظر عليها . وهذه الزوارق اخلت بالتوازن العسكرى فى الشرق الأوسط .

بدأت الحكاية فى عام ١٩٦٢ بتقرير على مستوى عال الى الموساد ، حيث أبلغ عميل اسرائيلى استطاع التسلل بين صفوف المراكز الهامة فى الجيش المصرى ، فى تقرير مفصل عن الأسلحة الجديدة التى حصلت عليها مصر من الاتحاد السوفياتى . وكان أكثر ما أقلق الاسرائيليين هو حصول مصر على ستة زوارق حربية مزودة بالصواريخ من طراز « كومار » ـ و« اوسا » . وكل واحد من هذه الزوارق الحربية يصل الى مدى ٢٥ ميلا ، وبذلك يمكنها تهديد اسرائيل فى تل ابيب وحيفا وغيرها من المدن الاسرائيلية . ولم يكن لدى اسرائيل فى ذلك الحين مايقف أمام الاسطول الحربى المصرى الذى كان يتكون من ١٢ غواصة حربية حديثة وعشر سفن بحرية حربية وستة مدمرات وما يزيد عن ٥٠ طوربيدا .

وأعطى ادميرال « شلومو ايريل » قائد القوات البحرية الاسرائيلية اشارة انذار الى « بن جوريون » وفى اجتماع طارىء مع القادة العسكريين ، دار النقاش حول أحسن أنواع السفن الحربية التى تتلاءم مع برنامج التسلح الاسرائيلى . وتوصل الأخصائيون إلى أن « الجاكوار » هو المفضل لديهم ، وهو نوع من الزوارق المزودة بالصواريخ التى تصنع فى ألمانيا .

لم يكن هذا الاختيار يوافق مقاصد بن جوريون تماما . فبالرغم من اعتراض وتحذيرات المعارضة تحت قيادة « بيجين » فإن « بن جوريون » كان يحاول دائما تحسين العلاقات مع ألمانيا الغربية . وكانت الأموال تتدفق الى الدولة اليهودية من ألمانيا حتى لتبلغ مئات الملايين من الماركات الألمانية ، كتعويض عما فعله الألمان باليهود تحت الحكم االنازى .

لكن « بن جوريون » كان يريد اكثر من ذلك بكثير : إنه يريد السلاح من الألمان . وفى نهاية عام ١٩٦٢ ارسل بن جوريون ، نائب وزير الدفاع آنذاك ، « شيمون بيريز » للقيام بمقابلة سرية فى بون . ووافق

مستشار ألمانيا « كونراد آديناور » على طلبات الاسرائيليين وقرر مساعدتهم بالسلاح ، ووقع على اتفاق بتوريد ١٢ زورقا من طراز « جاكوار » .

وتعهدت شركة « فيرفت لورزن » فى بريمن بألمانيا بصنع الزوارق ، وارسالها متفرقة الى اسرائيل . واشترط « آديناور » أن يظل هذا الاتفاق سرا ، لأنه لا يريد أية مشاكل مع العالم العربى .

كانت ثلاثة زوارق من هذا النوع قد أرسلت حتى نهاية عام ١٩٦٤ . ثم ظهر مقال فى « نيويورك ـ تايمز » عن التعاون بين الألمان والاسرائيليين فى مجال التسليح ، وهو المقال الذى أوحى به الى المراسل فى بون ، أصدقاء العرب فى الحكومة الاتحادية .

واحتار المستشار الجديد « ايرهارد » ولم يدر ما يمكن ان يفعله ، فهو مقلقل ومتردد ، لكنه تحت ضغط العواصم العربية ، أوقف صنع الزوارق فى المانيا . إلا أن هذا لا يعنى أن « ايرهارد » لم يكن مهتما بأن يستمر فى رعاية العلاقات وتنميتها بين ألمانيا واسرائيل . ووجد الأخصائيون الحل : وهو أن يتابع صنع الزوارق ولكن فى فرنسا ، بتمويل ألمانى . وكانت فرنسا فعلا هى الاختيار الحكيم . فقد كانت فى ذلك الحين اكبر مورد للسلاح الى اسرائيل .

وكان « شارل ديجول » يقيم علاقات حميمة مع اسرائيل . وكانت الصفقة مكسبا كبيرا لميناء شيربورج الفرنسى ولشركة « انشاءات نورماندى الميكانيكية » ، فقد كان الميناء يعانى أزمة اقتصادية ، وكان مدير الشركة قد خطط للاستغناء عن مجموعة كبيرة من العاملين فيها .

ظل العمل قائما لمدة عامين ، وتحول ميناء شيربورج الى مركز حراسة للبحرية الاسرائيلية ، والمخابرات الاسرائيلية ، يعمل فيه اكثر من ٢٠٠ فنى اسرائيلى ومهندس وبحار ، جنبا الى جنب مع الخبراء الفرنسيين . ومعظم هؤلاء العاملين من أصول جزائرية أو مغربية ويتكلمون اللغة الفرنسية كأبنائها ، وقد أتوا بعائلاتهم وأولادهم ، الذين يذهبون الى المدارس فى شيربورج نفسها ، ودون ان يلاحظ وجودهم أحد .

وصل اسرائيل أول زورق مجهز بموتور ١٤٠٠٠ اتش بى (1400 HP) بسرعة ٤٠ عقدة ، فى ابريل (نيسان) عام ١٩٦٧ ، وزوده الاسرائيليون بصواريخ « جبرييل » من صناعة محلية . ووصل الزورق الثانى ـ وهو الخامس فى المجموعة كلها ـ فى مايو « آيار » الى تل تل أبيب . وكان هذا آخر زورق يترك ميناء شيربورج الفرنسى بطريقة « عادية »

ورغم تحذيرات الجنرال « ديجول » للاسرائيليين بعدم القيام بحرب ضد العرب ، فإن اسرائيل أعلنت الحرب فى يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، حين تأزم الموقف فى الشرق الأوسط وأغلق جمال عبدالناصر بسفنه الحربية ممر « ايلات » امام المرور الاسرائيلى ، وضرب الاسرائيليون الطيران المصرى بفضل قاذفات القنابل الفرنسية اعتبر « ديجول » الهجوم الاسرائيلى « إهانة شخصية » له ، وفرض حظرا على توريد السلاح الى اسرائيل ، وكان الحظر مقتصرا على الأسلحة الهجومية ، مثل الميراج . وامتد الحظر الى الأسلحة الأخرى ايضا فى يوم ٢ يناير ١٩٦٩ ، وذلك حين أغارت وحدة عمليات خاصة تابعة للموساد على مطار بيروت الدولى ، انتقاما من هجومات فدائية فلسطينية ، فدمرت ١٣ طائرة تابعة لمختلف الشركات العربية .

وحان الوقت الآن ليتأكد الاسرائيليون أن علاقاتهم بالفرنسية على مستوى جيد وبالفعل ـ فإن قسما من رجال المخابرات الفرنسية ، من لهم علاقة وثيقة بالموساد ، كانوا يحسون أن ولاءهم لاسرائيل ، أكبر من ولائهم لحكومتهم الفرنسية ؛ ولديجول بالذات ، الذى غير سياسته على هذا النحو .

وقد ساعد على هذا الجو اختيار رجل على القمة للقيام بشئون الموساد فى فرنسا ، وهو « موردخاى ليمون » وهو قائد لواء فى الجيش ، وعميل للموساد ، ورئيس للجنة الاسرائيلية لشراء السلاح فى باريس ، ويحمل جواز سفر دبلوماسى .

كان « ليمون » الذى يبلغ من العمر ٤٢ عاما ، معروفا بين أبناء الجالية اليهودية فى باريس ، وله صداقات كثيرة فى الدوائر الحكومية .

كان أصلع الرأس ، يدخن الغليون ويرمى النكات ، اجتماعيا ، وكان كثيرا مايدعى الى الحفلات ، كما كان الجميع يرحبون بزيارته فى بيته فى باريس مع زوجته وطفليه . كان « ليمون » من « الصابرا » الذين ولدوا فى فلسطين ، وأنهى فى الخامسة عشرة من عمره تدريبه فى الوحدات البحرية الاسرائيلية السرية فى الجيش اليهود السرى فى فلسطين التى كانت تحت الانتداب الانجليزى . ولكنه انضم الى البحرية البريطانية فى الحرب العالمية الثانية ليحارب هتلر والألمان .

وأصيب « ليمون » بخيبة الأمل فى الانجليز ، مثله مثل كل الشباب اليهود الذين حاربوا الى جانب الانجليز ، الذين لم يوفوا بعهدهم معهم فى اقامة « دولة قومية يهودية » ومنعوا الهجرة الى اسرائيل بأعداد كبيرة ، أمام اليهود الهاربين . وكان « ليمون » وهو فى الحادية والعشرين قائدا لعمليات تهريب بعض سفن اللاجئين اليهود ، من مرسيليا الى الشرق الأوسط بطرق سرية ليتفادى الحصار البريطانى المفروض عليهم .

وقد اعترض البريطانيون طريق سفن « ليمون » أكثر من مرة وأسروا إحدى السفن ، لكن « ليمون » نجا حين قفز فى اللحظة الأخيرة من السفينة .

وقد حدث أن منظمة « موساد الياه بيت » (للهجرة غير المشروعة) ، والتى كونت نواة الموساد الحالى ، قد ارسلته مرة فى مهمة خاصة الى ميناء بورسعيد بمصر عام ١٩٤٨ ، حيث قام بالتجديف بزورقه المطاطى فى اتجاه سفينة حربية مصرية ، وثبّت لغما فيها وابتعد بصعوبة ، لكن اللغم انفجر قبل موعده ، وغرقت السفينة المصرية ، وكادوا يلقون القبض على « ليمون » لكنه هرب بصعوبة .

وفى نهاية عام ١٩٤٨ قام بتهريب أول سفينة محملة بالسلاح التشيكوسلوفاكى الى فلسطين . وهذه الشحنة ساعدت الاسرائيليين الى حد كبير فى حربهم من اجل استقلالهم فيما بعد . وأصبح بعدها فى عام ١٩٥٠ أول رئيس للبحرية الاسرائيلية (الهزيلة) وكان فى السادسة والعشرين من عمره . وفى سن الثلاثين سافر إلى أمريكا لدراسة العلوم

الطبيعية ، ولكن جهاز المخابرات لم يتركه ، فعين فى أواخر الخمسينات رجل اتصال للموساد فى مجال تسويق السلاح فى كل أنحاء العالم ، ثم حصل على أهم مركز فى حياته فى الخارجية فى باريس .

كان ل « ليمون » صديق حميم جدا فى وزارة الدفاع الفرنسية وهو « جان بلا نكار » وهو متخصص فى شئون التسليح فى الوزارة . وفى يوم ٣ يناير عام ١٩٦٩ ، اتصل الفرنسى بصديقه الاسرائيلى ليخبره بقرار « ديجول » (بتجميد) صادرات السلاح إلى اسرائيل كلها . وأخبره أيضا أن أحدا لا يعلم بهذا القرار ، وأن « ديجول » لم يخبر أحدا حتى مجلس الوزراء بهذا الأمر . وسأله « ليمون » ان كان هناك ثمة أحداً غيره يعلم بهذا القرار ومتى ستكون ادارات الجمارك على علم به ، وبالرغم من دهشة « بلانكار » لهذا السؤال الغامض ، إلا أنه أجابه ، بأنه يعتقد أنه من غير المحتمل أن يعلم أحد بهذا القرار رسمياً قبل نهاية الأسبوع ، وكان يوم جمعة في ٣ يناير .

قرر « ليمون » استغلال كسل الجهاز الادارى الفرنسى والاستفادة من تحذير صديقه ، فاتصل فورا برجل الاتصال الاسرائيلى فى « اوتيل اتلانتيك » فى شيربورج ، وفى اليوم التالى غادر زورق الصواريخ رقم ٦ ، ورقم ٧ الميناء الى اسرائيل . وتعجب المسئولون ورجال الجمارك من حرص الاسرائيليين على القيام « بتجربة » الزوارق فى أعالى البحار بهذه السرعة ، خصوصا وأن أحد الزورقين لم يكن جاهزا تماما ، لكنهم سمحوا للزوارق أن تمر ، إذ أنهم لم يكونوا يعلمون انه بعد ساعات قليلة سيأتى من باريس قرار يمنع تحرك الزوارق منعا باتا .

اتجه الزورقان المحملان بالصواريخ الى غرب البحر المتوسط ورافقتهما ناقلة بترول حتى ميناء حيفا . وحين سئل « ليمون » من قبل السلطات الفرنسية عن هذه الرحلة ، أجاب ، بأن الزورقين ملك لاسرائيل وقد دُفع ثمنهما وهم يحتاجون اليهما بشدة فى اسرائيل ، لذلك غيرت الحكومة الاسرائيلية رأيها أثناء تجربة الزورقين ، وفكرت فى متابعة إبحارهما الى الميناء الأخير لهما . ولم تحتد الحكومة الفرنسية ، بل تصرفت برفق ، وأبدت احتجاجها بالطرق الدبلوماسية ، ونقلت اثنين

من المديرين فى ادارات الجمارك من شيربورج الى كولمار . ولم تشأ الحكومة الفرنسية ان تثير ضجة فى الأوساط العالمية ، بل تعمدت إخفاء الخبر حتى لا يظهر للجميع أنها خدعت .

لكن مجلس الوزراء الفرنسى أعلن بوضوح ، أن الزوارق الخمسة المتبقية لن تغادر فرنسا الى اسرائيل بأى حال من الأحوال .

حين اعتزل ديجول الرئاسة فى ربيع عام ١٩٦٩ ثارت قضية الحظر الفرنسى على السلاح مرة أخرى ، إلا أن وزير الخارجية « موريس شومان » صمم على أن يتبع سياسة صارمة تجاه الاسرائيليين ، لأنه كان يريد أن يحسن العلاقات مع البلاد العربية ، حيث بدأت تعقد صفقات تجارية كبيرة بين ليبيا وفرنسا .

وكذلك كان وزير الدفاع الفرنسى ميشيل دوبريه ، الذى بدأ صلبا ، ثم تغير موقفه ، حين التقى بنائب رئيس البحرية الاسرائيلية « بينى تيليم » أثناء قيامه بزيارة سرية لفرنسا فى سبتمبر عام ١٩٦٩ .

أما رئيس الوزراء شابان ـ ديلماس فقد كان يريد رفع الحظر فى أسرع وقت ممكن وكذلك رئيس الدولة جورج بومبيدو ، الذى كان يجد فى منع تصدير السلاح الى اسرائيل إرثاً ثقيلاً تركه له « ديجول » وألمح في الندوات الصحفية عن رفع الحظر بطريقة جزئية ، لكنه لا يريد أن يسبق الأحداث ويختلف مع رئيس الوزراء .

ولم يتوصل مجلس الوزراء الى قرار بشأن مسألة الحظر بل زادت هوة الخلافات بين الوزراء ، حتى اتفق الجميع على ترك المشكلة جانباً فى الوقت الحالى لتبحث فى وقت لاحق .

كانت الزوارق الخمسة فى شيربورج جاهزة بنسبة ٩٠٪ وابتدأ صبر الاسرائيليين ينفذ واستدعى «موردخاى ليمون » فى اكتوبر عام ١٩٦٩ الى اسرائيل للمشاورة ، وكلفه « موشى ديان » وزير الدفاع ، بأن يخطط لعمليات ، يمكن بها أن يأتى بالزوارق الحربية بأقصى سرعة .

وبعد مباحثات مع فريق العمل فى الموساد ، توصل الى خطة ، تردد « موشى ديان » فى الموافقة عليها فى البداية ، فهو لا يريد ان يعود الموساد الى خططه السابقة .

لأن « ديان » كان يخشى أن تؤدى عملية « القرصنة » إلى ردود فعل عالمية ، خصوصا وأن الرأى العام العالمى قد هاجم اسرائيل بعد اختطاف آيخمان عام ١٩٦٢ لأن العملية اساءت الى الأرجنتين كدولة ذات سيادة ، وكان الأمر يتعلق بشخص نازى .

لكن « موردخاى ليمون » طمأن « موشى ديان » بأن فرنسا لن تثير ضجة كبيرة ، لأن بعض الوزراء يقفون الى جانب اسرائيل ، أمثال وزير الدفاع « دوبريه » ورئيس الوزراء شابان ـ ديلماس .

وافق « ديان » على خطة خطف الزوارق الحربية ، وأطلق على هذه العملية اسم « سفينة نوح »

عاد « ليمون » الى باريس وبدأ العمل فورا فى تنفيذ خطة الموساد دون تمهل وذلك على مراحل :

المرحلة الأولى : يعلن الاسرائيليون فى خطاب رسمى موجه الى « فيلكس أميوت » رئيس الترسانة البحرية فى شيربورج ، يقول أن الحكومة فى اسرائيل لا تنوى مستقبلا المطالبة بتوريد الزوارق الحربية . وترجو استرداد الجزء المدفوع من ثمن هذه الزوارق ، وبذلك تنتهى هذه المسألة تماما .

وصل الخطاب فى يوم ١٢ اكتوبر عام ١٩٦٩ .

أرسل « فيلكس اميوت » الخطاب رسميا الى المسئولين فى باريس ، حيث اثار ارتياحا عاما فى مكتب رئيس الدولة . وبقى فقط ان تفكر الحكومة فى كيفية التخلص من هذه الزوارق الجاهزة .. ولعبت الصدفة دورها . ولم تكن فى الواقع صدفة ، بل كانت **المرحلة الثانية** فى خطة الموساد .

اتصل « صدفة » رجل الأعمال النرويجى « اولى مارتين سيم » وهو أيضا المدير العام لمصانع « أكر » بمدير الترسانة البحرية «اميوت » وأبدى اهتمامه الشديد بالزوارق . وكان ذلك فى يوم ١٣ اكتوبر ، أى فى اليوم التالى على الخطاب الاسرائيلى .

وصرح « سيم » أنه لا يريد الزوارق لشركته الخاصة ، وإنما سيرسلها الى شركته فى « باناما » وهو أيضا من المساهمين فيها وهذه

الشركة هى : « ستار بوت آند اويل » ، وقال ، إنهم يحتاجون الى هذه الزوارق من اجل التنقيب عن البترول عند ساحل « آلا سكا » .

وفى يوم ١٨ نوفمبر ١٩٦٩ انعقدت « اللجنة الخاصة فى مجلس الوزراء لدراسة الصادرات من الأدوات الحربية » فى باريس تحت رئاسة جنرال « بيرنار كاسيليز » وحيث أن الزوارق لم تكن مجهزة بالسلاح من أى نوع ، فإن اللجنة لا ترى سبباً لمنع هذه الصفقة .

وكان الاسرائيلون سيركبون الصواريخ فى اسرائيل) .

وكان للصفقة مزايا كثيرة ،فالعميل « سيم » يملك سمعة طيبة فى هذا المجال،والشركة فى باناما، لها عنوان دائم فى النرويج . والمشترى سيدفع نقدا وفورا . وفعلا ، فى يوم ٢٠ نوفمبر حوّل أحد البنوك فى جنيف مبلغ (٥٥ مليون دولار) الى « اميوت » ، الذى أعطى الاسرائيليين منه مبلغ ٢٢ مليونا هو ثمن مادفعوه فى الأصل .

لكن هذا المبلغ ظل فى دائرته . لأن الشركة فى باناما هى عنوان وهمى للموساد ، ورجل الأعمال (المعروف) « سيم » عقد الصفقة بتكليف من الموساد .

ولو أن الفرنسيين بذلوا قليلا من الجهد والجدية لفحص هذه الصفقة ، لتوصلوا الى الحقيقة بسرعة . فالاسرائيليون لم يكونوا شديدى الحذر والحيطة فى هذه المسألة . والشركة « أكر » التى يرأسها نرويجى ، عقدت صفقات كثيرة مع اسرائيل قبل ذلك . وأقرب صديق الى « سيم » هو « ميلا برينر » وهو مصدر اسرائيلى للفواكه والحمضيات ، وله الجزء الأكبر من الأسهم فى باناما فى شركة « آرياس فابريجا » .

والمحامون الثلاثة الذين اسسوا الشركة فى باناما ، يمكن فحص إوراقهم ، كلا على حدة ، ليتضح ان موعد تأسيس الشركة التى يفترض انها تقوم بالتنقيب عن البترول ، كان يوم ٥ نوفمبر عام ١٩٦٩ ، أى قبل اتخاذ الحكومة الفرنسية لقرارها بـ (١٣) يوما فقط ، وقبل شهر من « تأسيس » هذه الشركة ، كان رجل الأعمال النرويجى « سيم » يتجول باسم الشركة [المذكورة] فى شيربورج .

فاذا كانت كل هذه الأمور لم تلفت نظر الفرنسيين فلذلك سبب معقول ، وهو ان رئيس الوزراء الفرنسى ووزير الدفاع كانا على علم بأن الاسرائيليين « سيسرقون » الزوارق . صحيح انهما لم يعرفا خطة الموساد بالتفصيل ، لكنهما يعلمان ان من ضمن خطة السرقة ، نقل الملكية الى النرويجيين . وأتقنت الدوائر الفرنسية اللعبة مع الاسرائيليين من أجل خداع « بومبيدو » و« شومان» ، ولكى يعتقد الرأى العام العالمى أن باريس مازالت مصرة على حظر توريد السلاح الفرنسى إلى اسرائيل ولم يكن « شومان » يعرف الخطة ، لكنه كان سعيدا بالصفقة ، فالمال سيظل فى فرنسا .

دخلت عملية « سفينة نوح » المرحلة الحرجة النهائية الآن . فقد دهش سكان شيربورج من بقاء ٧٠ مهندسا اسرائيليا وبحارة فى المدينة ، بالرغم من أنه كان من المفروض ان يرحلوا ، حيث أنه لم تعد لهم أية علاقة بالزوارق . لكن الاسرائيليين كانوا يرددون أن عقود عملهم تنتهى فى يوم عيد الميلاد - أى يوم ٢٤ ديسمبر عام ١٩٦٩ ، وهو (فى الواقع) يوم الفصل فى عملية سرقة الزوارق . وكان بين الاسرائيليين رجال شقر بعيون زرقاء ، من النرويج ، أرسلهم الموساد للتمويه ، وكانت مهمتهم مسح الحروف العبرية المكتوبة على الزوارق وكتابة أسماء جديدة هى : ستاربوت (١) الى ستاربوت(٥) .

أثناء ذلك حدث أمران ، لم يكن الاسرائيليون يتوقعون حدوثهما .

فقد كتب « فيلكس أميوت » الى وزارة الدفاع الفرنسة رسالة خاصة يطمئن فيها على مكان الزوارق ، وذلك خفاظا على الصفقة وخدمة للمشترى ، ويبدى قلقه من وجودها فى هذا المكان المكشوف من الميناء ، حيث تكون معرضة للعواصف وحالات الجو غير المستقرة، ويطلب كذلك نقل الزوارق الى القسم العسكرى فى الميناء .

لكن وزير الدفاع « ميشيل دوبريه » لم يرد على الرسالة اطلاقا لأن وجود الزوارق فى المنطقة العسكرية من الميناء يعنى أن الرقابة عليها ستكون بالطبع شديدة جدا ، وهذا ما يجعل الفرصة غير ملائمة للنرويجيين (لسحب) الزوارق فى ظلام الليل وفى الضباب .

أما الحادث الثانى فكان نشاط المخابرات الفرنسية بشكل غير عادى . فقد قدم أحد أفراد المخابرات تقريرا من شيربورج الى « المكتب الثانى » الذى أرسل بدوره تحذيرا شديدا عاجلا الى رئيس الوزراء الفرنسى ووزير الدفاع ، جاء فيه : لقد علمنا أن الزوارق ستغادر شيربورج بصفة قانونية ، لكننا نعتقد أن الزوارق قد تم بيعها – على الورق فقط – الى شركة فى شمال أوروبا ، وستتجه فورا بعد إقلاعها من شيربورج إلى اسرائيل .

وفى صمت تام وهدوء بالغ أودع الوزيران تقريرالمخابرات فى الملفات ، وهما يأملان ألا يصل الى الرأى العام العالمى أنهما قد أحيطا علما يقينا بالعملية الاسرائيلية ، وكانا يعلمان تماما ان قيادة المخابرات التى يتبعها العضو (النشيط) هى فى جانبيهما تماما .

فى يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٦٩ فى شيربورج ، كانت الساعة الرابعة بعد الظهر حين كان « موردخاى ليمون » يراقب الجو من الفندق الذى وصله منذ ساعة من باريس لحضور عملية (الاختطاف) كانت الأمطار تسقط على الميناء بشدة ، وهاج البحر وعلت الأمواج ، واشتد قلق الأدميرال الاسرائيلى ، لأن موعد إقلاع الزوارق ، حسب الخطة ، يجب ان يتم فى الساعة الرابعة .

رفض « الولونيل » عيزرا كو شينسكى » اعطاء الأمر بالاقلاع ، وهو معروف فى مدينة ايلات « بالحوت » ، نظر لتقاسيم وجهه .

وخيم الظلام فى الساعة السادسة، وابتدأ الناس فى المدينة يحتفلون بعيد الميلاد، وكان هناك ٨٨ اسرائيليا يحتفلون فى « مقهى المسرح » ويأكلون ويشربون . وكان هذا متعمدا ، حتى لا يلفت الاسرائيليون البحارة نظر أحد إلى مهمتهم .

فى الساعة السابعة أعطى (الحوت) الأمر ، واستدعى الرجال « النرويجيين » و« المغاربة » وملئت الزوارق بالوقود وبالمواد التموينية اللازمة وفى الساعة التاسعة جرى تجريب محركات الزوارق ، فأحدثت ضجة ، سُمعت فى المدينة كلها ، لكن أحدا لم يعلق عليها ، أولا لأن الاحتفال كان أهم ، وثانيا ، لأن « ليمون » كان قد أعطى الأمر بأن

تدار المحركات كل ليلة فى نفس ا لموعد ، حتى لا ينتبه أحد إلى الضجة بعد ذلك .

اختفى كل الاسرائيليين من « مقهى المسرح » فجأة ، وفى الثانية عشرة حين كانت أجراس كل كنائس المدينة تدق ، أبحرت الزوارق تاركة الميناء متجهة فى البحر المتوسط ، الى الجنوب ،

اتصل « موردخاى ليمون » باسرائيل يعلن ، بأن سفينة نوح قد أبحرت . ثم غادر الفندق محتجا بأن عليه أن يسافر الى باريس فورا .

هدأ الطقس ، ولم يعد هناك مشاكل جادة بالنسبة للزوارق التى كان عليها عشرون بحارا فقط ، بدلا من ٥٥ بحارا ، وذلك لاسباب محددة . وكان فى جيب « ليمون » تصريح رسمى قانونى ، بالموافقة على بيع ونقل الزوارق إلى الشركة النرويجية .

لم يحدث شيء فى يوم ٢٥ ديسمبر ، إلا أن أحد المراسلين فى جريدة شيربورج : « La phare de la Manche » لاحظ أن الزوارق قد اختفت ، لكنهُ تذكر كلمات رئيس التحرير ، حين أثار هذه القضية مرة ، ألا يكتب أية تقارير أو ريبورتاجات عن هذه الزوارق ، بالذات (وذلك لأن « المشترى » النرويجى ، « أولى مارتين سيم » قد طلب من رئيس التحرير ألا يذيع أى خبر عنها ، حتى لا يعلم أحد شيئا عن الصفقة فتشتد المنافسة) وقرر الصحفى أن « ينسى » الحكاية مؤقتا . الى أن جاء يوم ٢٦ ديسمبر ، حين كتب أحد الصحفيين فى الجريدة المنافسة عن اختفاء الزوارق . والتقطت وكالات الأنباء العالمية خبر المراسل المحلى فى الجريدة المتواضعة . وانكشف الأمر . ووجدت وزارة الدفاع الفرنسية نفسها مضطرةلأول تكذيب . وصرحت بأن الأمر يتعلق بسفن مدنية بيعت بالإجراءات القانونية المعروفة إلى إحدى الشركات التجارية النرويجية . لكن الصحفيين لم يسكتوا وظلوا يجرون وراء الحادث ، ووصلوا الى المالك النرويجى ، الذى قال ، إن السفن فى طريقها إلى« الاسكا »

وسكتت الصحافة الى حين . وتم تموين الزوارق فى خليج « بسكايا »

بواسطة ناقلة اسرائيلية هى « شيرزبيرج اى » التى تمت بها سرقة اليورانيوم .

وجاء نبأ من « جبل طارق » فى يوم ٢٧ ديسمبر أنه « شوهدت » خمسة زوارق صواريخ ، مرت فى المضيق متجهة الى الشرق . والتقطت الصحافة الخبر ، ولم يعد هناك شك ، فالزوارق فى طريقها إلى اسرائيل . ووجد « ليمون » نفسه مضطرا الى الإجابة على الصحفيين ، لكنه كان يقول ، إنه كان يتمنى لو يستطيع إلقاء الضوء على الحادث ، لكنه - فى حدود علمه - أن الزوارق بيعت الى النرويج .

كان الرئيس الفرنسى « بومبيدو » يحتفل بعيد ميلاده فى منزله الريفى ، حين وصله الخبر ، لكنه لم يكن يريد ان يصدقه . أما « شومان » ، وزير خارجيته ، الذى كان عائدا لتوه من زيارة للبلاد العربية : الجزائر ومصر ، فقد أصيب بذهول ، واعتبر الحادث إهانة لفرنسا كلها .

وحتى « شابان - ديلماس » و« ميشيل دوبريه » الذين كانا يعلمان بالأمر ، أبديا الغضب والثورة . واقترح وزير الدفاع (للتمويه) فى إحدى الجلسات الطارئة لمجلس الوزراء ، أن تنسف الزوارق وهى فى طريقها إلى اسرائيل ، وهو يعلم تماماً ان الحكومة الفرنسية لن تقوم بمثل هذا الاجراء العسكرى .

واستطاع الوزراء الضالعون بالأمر أن يحجروا على كل خبر يفيد بأنهم كانوا على علم ، وأنهم شاركوا فى العملية بصمتهم .

فى يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٦٩ ردت جولدامائير على الاحتجاج الرسمى الفرنسى فى جلسة خاصة لمجلس الوزراء» ، ولم يكن ردها مغايرا لموقف « ليمون » . وصرحت الحكومة الاسرائيلية بأنها تعلم فقط أن شركة فرنسية باعت الزوارق لشركة نرويجية بموافقة مجلس الوزراء الفرنسى . ولا يستطيع أحد أن يستبعد أن يكون لهذه الشركة النرويجية علاقات تجارية مع شركات مثلها فى اسرائيل .. ومثل هذه الصفقة لا تلزم الحكومة الاسرائيلية بأى شىء تجاه الحكومة الفرنسية .

واعتبر الفرنسيون هذه الورقة الاسرائيلية الرسمية (سخرية) من جانب الاسرائيليين ، لأن « موشى ديان » استقبل بنفسه الزوارق فى يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٦٩ فى حيفا ، وهنأ الطاقم بنجاح العملية .

كما اعتبر الفرنسيون الأدميرال « موردخاى ليمون » شخصا غير مرغوب فيه فى فرنسا ، وعليه مغادرة البلاد . وفى اسرائيل احتفلوا به كبطل لأسابيع طويلة . لكن بريق (المجد) سرعان مابهت وأحلام « ليمون » سرعان ماذبلت ، حين عين « موشى ديان » الذى أصيب بخيبة أمل قاسية وهو فى السادسة والأربعين ، ويقترب من انتهاء خدمته العسكرية .. وترك « ليمون » الجيش ، ليصبح رجل أعمال ناجحا ، وليكون وكيلا عاما لأعمال البارون « روتشيلد » فى اسرائيل ، حيث تزوجت ابنة اختى روتشيلد من ابن ليمون . ومازال ليمون يعيش « ليمون » سرعان ما ذبلت ، حين عين « موشى ديان » « ايشاياهو لاف مديراً عاماً لوزارة الدفاع ولم يعين ليمون الذى أصيب بخيبة أمل قاسية وهو فى السادسة والأربعين ، ويقترب من انتهاء خدمته العسكرية .. وترك « ليمون » الجيش ، ليصبح رجل أعمال ناجحا ، وليكون وكيلا عاماً لأعمال البارون « روتشيلد » فى اسرائيل ، حيث تزوجت ابنة أخت روتشيلد من ابن ليمون . وما زال ليمون يعيش فى اسرائيل ، فى تل أبيب .

وحين اتصلنا به (المؤلف) دهش وأبدى انزعاجه واستياءه ، لأنه لم يتكلم حتى اليوم عن « عملية سفينة نوح » ولن يتكلم ، لأن « كثيرا من الاعتبارات تمنع هذا »

وهذه الاعتبارات التى يعنيها « ليمون » هى « علم » الفرنسيين بالعملية . ولم تكشف المخابرات الفرنسية عن هذه العملية الا عام ١٩٨٠ ، حيث أمدت بعض الصحفيين الكبار بأوراق (سرية جدا) ليعلموا منها تورط الفرنسيين فى عملية « سفينة نوح »

كما أن واحدا من الذين صمتوا عشر سنين كاملة ، تكلم الآن وهو « جاك برونو » ، الذى كان رئيسا للتقسيم الادارى الذى تتبعه

« شيربورج » فقد قال « برونو » فى يوم ٢٣ ديسمبر عام ١٩٧٩ « أن فرنسا لم تقم بأى إجراء لتسترد الزوارق الى ميناء شيربورج . هذا ، بالرغم من أن كثيرا من الوزارات كانت على علم بالموضوع . وقال انه هو نفسه كان حاضرا ، حين قرأ وزير الدفاع « دوبريه » رسائل التحذير التى أرسلتها المخابرات الفرنسية .

قامت زوارق « جاكوار » (المختطفة) بمهام كبيرة ، أكدت جدوى هذه العملية . فقد زودت بصواريخ طراز « جبربيل » ، يمكن أن تصل الى عمق (٣٠) كيلو مترا .

وأثبتت أنها أكثر كفاءة من الزوارق الروسية « كومار وأوسا » .

وحين اشتعلت الحرب فى اكتوبر (تشـــرين) عام ١٩٧٣ ، تمكن الاسرائيليون من السيطرة على البحر على الأقل ، بعد أن هاجمهم المصريون بعنف . وأثناء الحرب استطاع الاسرائيليون ان يحتفظوا بتفوقهم العسكرى على البحر ، إذ أنه بدون مساعدة البحرية الاسرائيلية ، كان يمكن أن تلقى باقى القوات الجوية والبرية فى اسرائيل دمارا اكثر ، وخسارة أكبر بكثير ، وكان يمكن أن تعجز عن رد الضربات الموجهة اليها ..

* * *

عملية قصف الرعد

تحرير الرهائن فى عينتيبى (باوغاندا)

فى الهجوم الذى قامت به اسرائيل فى ليلة ٤ يوليو (تموز) عام ١٩٧٦ قتل أكثر من عشرين جنديا أوغانديا ، ودمر جزء كبير من السلاح الجوى الأغاندى ، بما فيه من الطائرات السوفيتية الصنع (ميج) ، بينما أمكن تحرير ١٠٠ من الرهائن .

من وثائق البروتوكولات الخاصة بالرئيس عيدى أمين ، يوم ٣٠ اغسطس (آب) عام ١٩٧٦ وكان الصحفى جيرد هايدمان ، من مجلة شتيرن هو الذى أخذها من مكتب عيدى أمين ، وأوصلها لى .

بورتوكول لجنة التحقيق فى حادث هجوم وحدة العمليات الخاصة الاسرائيلية على المطار .

سؤال : ماهى الأوامر التى وصلت اليك بعد الهجوم (من الرئيس عيدى امين) ؟

جواب بعد خمس ساعات من الهجوم ، فى الساعة السادسة صباحا ، اتصل الرئيس بى وسألنى عن القائد العام « سول » ولم أعرف أين هو ، وقتل ، أنه قد يكون قد قتل اثناء المعركة . لكن الرئيس أمرنى أن أبحث عنه .

سؤال : ماذا كانت مهمة القائد « سول » فى المطار ؟

جواب : هو قائد السلاح الجوى . وقد عينه الرئيس اثناء اختطاف الطائرة قائدا أعلى .

سؤال : وهل وجدته ؟

جواب : نعم . سمعت أن القائد « سول » ذهب لينام فى جناحه فى فندق المطار الجديد . ولم يكن هناك أحد فى الاستقبال فى الفندق . فأخذت (ولّاعتى) وفتشت فى الأوراق ، ووجدت اسمه فى غرفة رقم ١٤ . صعدت اليه وطرقت بابه ولم يتحرك أحد ، ثم طرقت ثانية ، ففتح لى وسألنى عما حدث ، فقلت له ، اننا تلقينا هجوما مفاجئا ، وأن عشرين من رجالنا قد قتلوا ، وأن الرهائن قد رحلوا . ولم

يصدق ولبس ملابسه بسرعة ونزل معى .

سؤال : هل تريد أن تقول أن « القيادة » كانت نائمة طيلة الفترة التى قام فيها الاسرائيليون بالعملية ؟

جواب : لقد قال لى انه ذهب فى الساعة الحادية عشرة ليلا ، لينام .

سؤال : كم يبعد الفندق الجديد عن المطار ؟

جواب : حوالى ٢ كيلو مترا .

سؤال : ألم يسمع أحد شيئا من القتال ؟

جواب : لقد سمع عمال الفندق أصوات الطلقات وهرب معظمهم .

سؤال : هل كان القائد ثملا ؟ هل كان تحت تأثير المخدر ؟ أم أن لديك تفسيرا لنومه العميق ؟

جواب : لا أدرى . ولا أستطيع أن أحكم على هذا الأمر .

سؤال : إذا لم يكن القائد ثملا ، فإنه كان من المفروض أن يسمع صوت الطلقات .

نعم أم لا ؟

جواب : نعم ، كان يجب أن يسمعها .

سؤال : ألم تتلقوا تحذيرا ، بأن هناك هجوما اسرائيليا سيقع ؟

جواب : لقد تلقينا الاشارة من كولونيل « لوماجو » ، بأن هجوما اسرائيليا سيقع ، وهو قد علم به من رجل الاتصال فى نيروبى .

سؤال : هل علم القائد « سول » بذلك ؟

جواب : أظن ذلك . فقد أرسلنا التعليمات تحت اسم معين ، وتحت رقم معين .

* * *

عملية تحرير الرهائن

فى يوم ١٠ يونيو (حزيران) عام ١٩٧٦ عقد فى مدينة عدن اجتماع على مستوى القادة . وقد حضر الاجتماع د . وديع حداد زعيم « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، وفايز جابر ، رئيس العمليات العسكرية فى الجبهة ، وعبدالرزاق ، رجل الجبهة الشعبية فى ألمانيا الاتحادية . وجائل العرجة ، ممثل « الجبهة » للعلاقات الخارجية . كما اجتمع أيضا« فنيفريد بوزه » واسمه الحركى (محمود) وكان ناشر كتب فى فرانكفورت ، ثم انضم إلى عصابة بادر ـماينهوف الألمانية ، و« انطونيو بوفييه » من الأكوادور ، وهو رجل « الجبهة » فى أمركيا الجنوبية ، و« ايليتش راميرز » Ramirez المعروف باسمه الحركى (كارلوس) أشهر ارهابى فى العالم . وقد حضر « بوزه » و « بوفييه » و« كارلوس » من ليبيا ، حيث يقيمون مؤقتا ، بينما كان يقيم الباقون فى اليمن الجنوبية .

فى هذا اللقاء الذى تم فى اليمن الجنوبية صرح « وديع حداد » أنه لابد أن يتم اتخاذ أى اجراء ، فالقضية الفلسطينية فى رأيه وصلت إلى حد المأساة ، والميليشيات اليمينية المسيحية فى لبنان ، تحاول « تصفية » الفلسطينيين ، وتمدها اسرائيل بالسلاح وفى معسكرات جسر الباشا وتل الزعتر يموت آلاف من الفلسطينين ، رجالا ونساء وأطفالا والجيش السورى دخل لبنان .

واقترح وديع حداد عمل أى شىء لهذا الوضع اليائس ، وذلك بقيام الفدائيين باختطاف طائرة ، على أن يؤخذ الركاب كرهائن إلى بلد صديق . ويجب أن يكونوا رهائن من نوع خاص ، من اليهود .

وكان معروفا أن « وديع حداد » يكره اسرائيل ويكره اليهود « وكان يدعو إلى العنف ضد اسرائيل ، فى كل مكان فى العالم . كان فى ذلك الوقت فى السابعة والأربعين من عمره ، وكان ابنا لمدرس فى مدينة صفد بفلسطين . ودرس الطب فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، وعمل بعد تخرجه جراحا فى البيوت الفقيرة فى معسكرات اللاجئين الفلسطينيين ،

ومن هنا قرر أن ينتقم للظلم الذى يعانى منه شعبه ، وبالقوة . وقابل طبيب الأطفال د . جورج حبشى ، وأسس معه فى عام ١٩٦٨ « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » بعد أن عملا معا كطبيبين ، للتمويه . وكانت مهمة « حبشى » توجيه الجبهة توجيها ماركسيا ، بينما أخذ حداد على عاتقه العمليات الفدائية .

وكان أول اختطاف طائرة يقوم به وديع حداد قد كلل بالنجاح التام ، وكان ذلك فى الوقت الذى لم يكن فيه أحد يأخذ وضع الفلسطينيين مأخذ الجد ، ولا حتى من قبل العرب .

ففى يوم ٢٣ يوليه (تموز) عام ١٩٦٧ اختطفت وحدة عمليات خاصة تابعة للجبهة الشعبية طائرة ركاب بوينج لشركة « العال » الاسرائيلية وهى فى طريقها من روما الى تل أبيب ، وأجبرتها على تحويل مسارها إلى الجزائر . وتمت مبادلة الركاب وطاقم السفينة بعشرين فدائيا كانوا فى السجون الاسرائيلية وكانت هذه أول مرة تخضع فيها اسرائيل لمثل هذا الطلب .

وقفز بهذا اسم « وديع حداد » إلى رأس قائمة المطلوبين لدى الموساد ، وكاد رجل الموساد أن يصيبوه .

ففى يوم ١١ يوليو (تموز) عام ١٩٧٠ أطلق رجال الوحدة الخاصة التابعة للموساد فى الساعة الثانية صباحا ستة صواريخ طراز « كاتيوشا » سوفيتية الصنع على منزل « وديع حداد » فى بيروت . ودمرت غرفة نومه تماما ، بينما أصيبت زوجته وابنه « هانى » الذى يبلغ من العمر ثمانية أعوام بجراحات طفيفة ، لأنهما كانا نائمين فى الغرفة المجاورة . لكن وديع حداد كان فى غرفة مكتبه فى ذلك الوقت . وانتقل وديع حداد بعد ذلك الى بغداد ، ولم يعد ينام أبدا فى نفس السرير كل ليلة . وأعد ضربته التالية .

فى سبتمبر عام ١٩٧٠ بدأت قوات الملك حسين ، ملك الأردن ، المكونة من البدو ، « تزيح » المواقع الفلسطينية التى تهدد الملك فى الأردن ، وآخرها كانت « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » لكن الأسوأ من ذلك كان فى رأى وديع حداد هو أن الدول العربية الأخرى بدأت

تناقش مبادرة السلام التى عرضها وزير الخارجية الأمريكى روجر ، والتى تربط بين انسحاب الاسرائيليين من المناطق التى احتلوها عام ١٩٦٧ ، وبين اعتراف العرب بدولة اسرائيل .

اختطف الفدائيون الفلسطينيون فى خلال ثلاثة ايام ثلاث طائرات ركاب ضخمة ، وأخذوا أكثر من ٧٠٠ شخصا رهينة ، وفجروا الطائرات فى الصحراء الأردنية ، وكان يمكن أن يحسب هذا العمل للفدائيين ، لكنه أظهر (عجزهم) ، إذ أن الملك حسين أعلن قتالهم وأطلق عليهم النار فى كل مكان فى بلاده .

فى يوم ٧ مارس عام ١٩٧٢ انسحب وديع حداد من القيادة السياسية للجبهة ، لأنه قد ملّ و« شبع » من هراء جورج حبشى الماركسى الشيوعى ، والذى أعلن احتجاجه فجأة على خطف الطائرات ، بينما يريد حداد أن يقوم بهذه العمليات دائما . وقد اختطفت إحدى الوحدات التابعة له طائرة لوفتهانزا عام ١٩٧٢ وأجبرتها على الهبوط فى عدن ، وكسب حداد فى هذه العملية أكثر من عشرة ملايين مارك لإطلاق سراح الركاب وطاقم الطائرة . وبهذا حقق حداد حلمه : فقد أرسل بعد شهرين من الحادث يطلب من المنظمات الإرهابية العالمية أن توفد له مندوبين إلى الصحراء الليبية ليتعاونوا معهم على القيام بعمليات من هذا النوع . وقد علمت الموساد أن من بين هؤلاء كان : المنظمة الايرلندية و« الجيش الأحمر » اليابانى ومنظمة « الفهود السوداء » الأمريكة و« بادر ماينهوف » الألمانية وفى تلك الأثناء جمع « حداد » بين « كارلوس » الارهابى العالمى المطلوب ،وبين « بوزة » و « بوفييه » وكان هذا التعاون بين كل الجماعات الارهابية قد أدى إلى القيام ببعض التجارب من أجل عمليات كبيرة .

وحين خطب « ياسر عرفات » رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أمام هيئة الأمم المتحدة لأول مرة فى نيويورك ، اعتبر وديع حداد هذه الخطبة « رخوة ليس فيها صلابة ،ودعوة للتسوية والتراضى » علاوة على أن عرفات يستنكر أية أعمال إرهابية خارج اسرائيل . هناك دعا حداد رجاله للعمل . وفى الوقت الذى اتخذ فيه عرفات لنفسه جبهة معتدلة

وزار القاهرة ودمشق وبدأ يناقش الاستعدادات للسلام مع الحكومات العربية ، هاجمت وحدة عمليات خاصة تابعة لحداد ، بقيادة « كارلوس » ، اجتماع دول الأوبك فى فيينا ، وأخذت الوزراء المجتمعين رهائن .

كان الموساد يضع « حداد » أمام عينيه طيلة هذه الفترة . لكن « حداد » كان اكثر دهاء من الموساد . فقد كان يغير مكانه من بيروت الى بغداد وطرابلس وعدن وكان يغير شكله باستمرار ، فى كل رحلة يقوم بها إلى الخارج ، ولم يكن أحد يعرف موعد طائرته ، حتى أقرب أصدقائه .

وحدث مرة واحدة فى اغسطس (آب) عام ١٩٧٣ ، أن تلقى الموساد إشارة من أحد العملاء ، الذين تسللوا داخل الشبكة الفلسطينية ، تقول ، إن « حداد » استقل طائرة فى المساء تابعة لشركة خطوط الشرق الأوسط (اللبنانية) من أثينا الى بغداد ، وستهبط فى بيروت اثناء الرحلة . وسرعان ماحلقت طائرات حربية اسرائيلية ، بعد اقلاع الطائرة البوينج التابعة للشرق الأوسط من بيروت ، وأجبرتها على تغيير مسارها ، واختطفتها لتهبط بها فى اسرائيل . وهبطت الطائرة فعلا فى اسرائيل ولكن بدون « وديع حداد » ، فقد أصيب « حداد » فى أثينا بزكام شديد ، وغادر الطائرة فى بيروت ليستريح فى مقره حتى يشفى ! [توفى حداد فى ٣١ مارس عام ١٩٧٨ فى احدى مستشفيات برلين الشرقية بمرض السرطان ، لكن الموساد لم يصدق لفترة طويلة ، الى ان تأكد من ذلك] .

نعود الى اجتماع عدن فى يوم ١٠ يونيه (جزيران) عام ١٩٧٦ . كان « حداد » يريد هذه المرة أن يكون الرهائن من اليهود . واقترح أحد المجتمعين أن تكون طائرة تابعة لشركة « العال » الاسرائيلية . لكن الأمر صعب . فهذه الطائرات عادة تكون تحت رقابة شديدة . ووقع الاختيار على شركة « ايرفرانس » لأن الفرنسيين فى العادة متساهلون كما هو معروف عنهم .

وصدر الأمر ألا يحمل المختطفون معهم أسلحتهم ومتفجراتهم فى تل

أبيب ، بل يحسن ان يكون ذلك فى المطارات التى تهبط فيها الطائرات للتزود بالوقود ، وليكن مطار أثينا ، فهو مطار مثالى للمختطفين . وحركة السياحة هناك شديدة ، والرقابة الصارمة غير متوفرة ، لأن اليونانيين قد اكتسبوا حريتهم فى الحركة منذ وقت قريب ، كما أن الإهمال الذى هو من صميم عادات اليونانيين ، سيسهل العملية . وتكون الخطة ، أن يغير الفدائيون الطائرة التى قدموا عليها إلى أثينا ، ليسافروا من هناك على شركة « ايرفرانس » ، وفى هذه الحالة لا يتم التفتيش على حقائبهم ـ كما هو متبع .

بقى أن يحدد الاجتماع ، البلد التى ستتوجه اليها الطائرة الفرنسية حين تختطف واقترح حداد ان تكون : أوغاندا ، عينتيبى .

صحيح أن الرئيس الأوغاندى « عيدى أمين » كان صديقا لاسرائيل ، وذلك حين ساعدته اسرائيل بقوة اثناء الانقلاب الذى قام به فى يناير (كانون الثانى) عام ١٩٧١ ، لكنه اصبح بعد ذلك من أشد أعداء اسرائيل ، حين رفض الاسرائيليون تزويده بالسلاح ليحارب تانزانيا ، كما أصبح من أشد المعجبين بمعمر القذافى ، رئيس ليبيا ، لأن الليبيين قد أمدوه بالسلاح . وحين وصل الليبيون الى اوغاندا مع السلاح ، دخل الفلسطينيون البلاد معهم . وقطع « عيدى أمين » العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، بل وأعطى لمنظمة التحرير الفلسطينية المقر الخاص بالسفارة الاسرائيلية سابقا . ولم يقتصر الأمر على دخول أعضاء منظمة التحرير ، بل سمح أيضا للجبهة الشعبية ، و« لحداد » ، بأن يكون له مكتب خاص فى العاصمة الأوغاندية .

عين « عيدى أمين » بعض المقاتلين الفلسطينيين ضمن حراسه، كما انضم الطيارون منهم إلى السلاح الجوى لقيادة طائرات الميج . وصرح للفلسطينيين بالمراقبة والاشراف على بيع السلاح وتحركات سوق السلاح فى كامبالا .

ولهذا ايضا كان من المؤكد ، أن « عيدى أمين » سيتعاون مع مختطفى الطائرة الفلسطينية

أراد « حداد أن يتابع الاشراف على عملية الاختطاف من

الصومال ، لأن له أصدقاء فيها ، وعين « بوزه » قائدا لهذه العملية . وحين تهبط الطائرة فى عينتيبى ، ستئول القيادة الى « بوفيبه » الذى سيأتى مع فريقه إلى العاصمة الأوغاندية ، وإذا حدث ما يعرقل هذا المخطط ، فإن « كارلوس » هو الذى سيتول القيادة ، بينما سيظل ـ فى أحسن ا لأحوال ـ مراقبا للعملية من ليبيا ، وكان هذا متعمدا من « حداد » ، لأن « كارلوس » ، الإرهابى القادم من فنزويلا ، ليس دقيقا فى عملياته ، وليس على هذه الدرجة من الدهاء والتنظيم ، كما توحى سمعته .

لم يبق إلا التفاصيل الفنية المتعلقة بالطيران ، موعد الاقلاع ، موعد الهبوط فى اوغاندا ، نوع الطائرة : فى هذه الحالة كان نوعها ايرباص ١٣٩ ، وتحدد يوم الاختطاف بيوم ٢٧ يناير (كانون الثانى) عام ١٩٧٦ .

حجز أحد أعضاء الجبهة الشعبية بطاقتى سفر ، درجة سياحية من البحرين إلى أثينا (على شركة سنغافورة) ، ليتابع الى باريس عن طريق شركة اير فرانس . وسافر بوزه مع (الارهابية) الألمانية « انجريد سيبمان » واثنين له ولمرافقته ، الى أثنيا ثم إلى باريس . وكان الأربعة يحملون مسدسات طراز كاليبر ٧,٦٥ مم وبين الحقائب كان هناك حقيبتان صغيرتان كتب عليهما : منتوجات عراقية بينما كانتا تحتويان على قنابل يدوية ومتفجرات ، إذا لزم الأمر .

كان كل شيء على أحسن وجه على الطائرة « ايرفرانس » رحلة ١٣٩ التى أقلعت من تل أبيب الى باريس وهبطت فى أثينا . قالت إحدى المضيفات بعد ذلك وهى تتذكر ماحدث :

كانت الرحلة لطيفة وكأن الجميع يقومون بأجازة ، فيما عدا أحد الرجال الكبار فى السن ، وأثناء هبوط الطائرة فى أثينا حسب البرنامج ، صعد ٥٢ راكبا جديدا ولم يفتش احد فى حقائب الركاب « الترانزيت » . وأقلعت الطائرة « الايرباص » من أثينا ثانية فى الساعة الثانية عشرة ظهرا . واعتدلت فوق خليج كورنيث ، وكان قد مر ثمانية دقائق ، ومازالت الأوامر تقتضى ربط الأحزمة ، وفجأة قفز رجل وفتاة

من بين مقاعد الدرجةالأولى وسحبا مسدساتهما ، بينما أمسكا بالقنابل اليدوية فى اليد اليسرى . وصرخت احدى الراكبات بهستيريا . وفتح كبير المهندسين الباب ورأى (الارهابيين) ، فدفعه الرجل الى داخل مكان القيادة ودخل وراءه وأمسك بالميكروفون وقال باللغة الانجليزية وبلكنة ألمانية : اسمى « أحمد القبيصى » ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وقطاع غزة استولت على هذه الطائرة . فإذا التزمتم الهدوء ولم تقوموا بأعمال تثير الشك ، فلن يحدث لكم أى شىء »

وقفز شابان فلسطينيان أيضا من الدرجة السياحية وأمسكا بالمسدسات وبدأ يرتبان الأمر مع الألمانيين لفرض النظام والهدوء على الطائرة . وأجبروا ركاب الدرجة الأولى وركاب المقاعد الأولى من الدرجة السياحية التوجه إلى آخر الطائرة ووضع أيديهم فوق رؤوسهم لأسباب أمنية ، كما قالوا .

وكان على كل راكب أن يتقدم للتفتيش الذاتى ، وحده ، وتم سحب جوازات السفر كلها كما تم سحب جميع الأشياء « المسننة » مثل دبابيس الشعر والسكاكين والخناجر الصغيرة .

وقالت احدى الراكبات فيما بعد : « لقد كان الرجال الثلاثة فى غاية اللطف معنا ، لكن « الفتاة » كانت متحفزة دائما ، ويبدو أنها كانت خائفة . فقد كانت يداها مبللتين بالعرق ، وكنا نلاحظ ذلك فى أى مكان تضع يدها عليه .

شربت كثيرا من القهوة وكانت تدخن أثناء ذلك بشراهةغريبة . ، وحين ألقت احدى الراكبات نفسها على الأرض وصرخت ، ضربتها « الارهابية الألمانية » بمسدسها على وجهها حتى أدمته ، وزمجرت قائلة ، لو تحرك أحد ، سأطلق النار عليه » .

كان على الركاب أن يسدلوا الستائر الواقية من الشمس حتى لايعرفوا اين هم . وخف الذعر بعض الشىء على الطائرة وساد الهدوء وصمت الصراخ ، ولم يسمع الا صوت امرأتين تبكيان بصوت خافت

ثم توجهت الطائرة للهبوط . وقال أحد الركاب بعد ذلك متذكرا (بعد

أن اختلس النظر من النافذة) : كانت الأرض جرداء وكان أربعة من الجنود يجلسون على الأرض فى ملل ، بينما كانت هناك سيارتان لاطفاء الحريق .

وأخبر فينفريد بوزه (أو احمد القبيصى) الركاب أنهم هبطوا فى بنغازى بليبيا ، وأخرجت احدى السيدات الحوامل ، بينما قدمت المضيفات طعاما (باردا) وكان هناك أيضا أطباق يهودية .

أقلعت الطائرة ثانية بعد ست ساعات وشكر (بوزه) الركاب على حسن تصرفهم وتعاونهم وأعلن أن الطائرة ستطير الآن إلى هدفها الأخير . وأخذ الركاب يراهنون على البلاد التى ستهبط فيها الطائرة ، ولكن لم يخطر لى بال أحد أن تكون « اوغاندا » .

ووصلت الطائرة فى يوم ٢٨ يونيه (حزيران) عام ١٩٧٦ فى الساعة الثالثة بالتوقيت المحلى[(١)]

استمر التوتر بعد هبوط الطائرة ساعات طويلة . وكان الرجل الألمانى يثير حنق الرهائن بالحديث عن اسرائيل (الفاشية) وحين بدأت المفاوضات مع السلطات الأوغاندية، سمح للركاب بالتجول فى الطائرة ، لكن « بوزه » طلب منهم بلطف ألا يقتربوا من باب الطائرة الخلفى ، لأن الباب مفتوح ولا يريد أن يقع أحد ، « لأنه لا ينقصنا حادثة الآن » .

عند الظهيرة ، سارت الطائرة فى اتجاه مبنى المطار ، وفتحت الأبواب وسمح للركاب بالنزول ومغادرة الطائرة . وقال « بوزه » ممازحا الركاب :

« لقد انتهى الكابوس ، وأعتقد أن شهيتكم مفتوحة ماتزال ، لرحلات طويلة بالطائرة . وتمنى لهم لقاء « آخر» معه . وضحك بعض الركاب .

لكن الرهائن لم يكونوا أحرارا فى الحقيقة . فقد قادهم الجنود الأوغاندويون الى صالة كبيرة بالمطار ، مهجورة وقديمة . كانت الصالة فارغة وقذرة ومليئة بالتراب . وأتى الجنود ببعض الكراسى . وكان الجو

---

(١) تم اختصار وحذف بعض البروتوكولات السريه فى التحقيق الذى اجرته اللجنة المختصة بعد ذلك لما فيها من تفاصيل مسهبة » ! (المترجمة)

حارا ورطبا لايطاق . وجاء صوت « بوزه » عبر الميكروفون . « أريد أن أذكركم بأنكم مازلتم تحت سيطرتنا » .

فى الساعة الخامسة بعد الظهر جاء زائر غريب يرتدى « يونيفورم » أخضر ، وعليه ميدالية من قوات المظلات الاسرائيلية حصل عليها قبل عشرة أعوام حين كان يتدرب فى اسرائيل ، وقد وضع « عيدى أمين » الميدالية على صدره بفخر وقال : « الى هؤلاء الذين لا يعرفوننى : أنا الفيلد مارشال دكتور عيدى أمين دادا » ثم تحدث عن « مجهوداته » العظيمة فيما يخص قضية الرهائن . وقال إنه هو الذى أمر بانزالهم من الطائرة دون أذى . وأنه مسئول عنهم مسئولية شخصية » وصفق له الركاب استحسانا .

كان طعام العشاء مكونا من البطاطس واللحم والموز . أما الركاب الذين لا يأكلون إلا طعام (الكوشير) اليهودى ، فقد قدم لهم الموز بكميات كبيرة . وحاول أحد الركاب اليهود ان يلقى نكتة وهو « باسكو كوهين » فقال : « إنكم محظوظون لأنكم تسافرون معى . إنى متخصص فى النجاة من المواقف الصعبة . فقد نجوت من « هولوكوست » النازيين ، واشتركت فى كل حروب الشرق الأوسط (ضد العرب) صدقونى : إن مانحن فيه ، أمر تافه .

لكن أحدا لم يضحك . وأقبل الليل . وحاول كثيرون أن يناموا على كراسيهم أوفوق امتعتهم .

فى يوم الثلاثاء ٢٩ يونيو (حزيران) ١٩٧٦ لم يكن موقف الجنود الأوغانديين واضحا ، كما كتب أحد الركاب بعد ذلك فى مذكراته : هل يحموننا أم يحرسوننا ؟ وهل اتفق عيدى أمين مع المختطفين ؟ فقد لاحظ الركاب ان « المختطفين » قد زودوا بإمدادات عسكرية ، وهذا لا يمكن أن يتم بموافقة عيدى أمين .

بعد الظهر ، قرأ المختطفون طلباتهم : اطلاق سراح (٥٣) من زملائهم ، حيث يوجد (٤٠) منهم فى السجون الاسرائيلية والباقى فى

ألمانيا الغربية . ولم يعلق أحد من الركاب على هذه الطلبات ، لكنهم أحسوا باليأس . فالمعروف ان الحكومة الاسرائيلية لن ترضخ لطلباتهم ، وهى مستعدة للتضحية بأرواح الناس فى سبيل المحافظة على هذا المبدأ .

فى المساء ظهر (فينفريد بوزه) فى الصالة وقال بصوت هادىء : « سأقرأ الآن أسماء الموجودين . وسنقسمهم إلى قسمين . وحين تسمعون أسماءكم ، انهضوا واذهبوا الى الغرفة المجاورة . ان هذا التقسيم ليس له علاقة بالجنسية .

كانت جملة « ليس له علاقة بالجنسية » كافية ولا تحتاج الى توضيح . ولم يقل أحد من الرهائن البالغ عددهم ٢٤١ رهينة أية كلمة ، فهو فصل بين اليهود وغير اليهود : أى عودة بالذاكرة الى اوستشفيتس الى هولوكوست والذى يقوم بالفصل هذه المرة : ألمانى أيضا .

وكان أول الأسماء : « حنا كوهين » واستمر فرز الأسماء حتى منتصف الليل . يوم الأربعاء ٣٠ يونيو ١٩٧٦ . وافق الارهابيون ان يطلقوا سراح ٤٧ امرأة وطفلا . وحضر عيدى أمين بنفسه عملية « ترحيل » هذا العدد ، بمساعدة السفير الصومالى ، وهو المتحدث الرسمى للمختطفين ، ورجل فرنسا فى عينتيبى . وتم سفر المجموعة على طائرة « ايرفرانس » ، التى أتت من نيروبى ، وقال لهم عيدى أمين : شالوم !

لكن الباقين كان قلقين . فهم يعلمون ان آخر موعد انذار سيكون غدا وكل انسان يعلم ان المختطفين جادون كل الجدية فى طلباتهم . وتأكد هذا حين انضم إلى « الألمانى » شخص من أمريكا الجنوبية ، من « بيرو » وكانت لهجته حادة وصارمة ، وكان يتصرف كأنه قائد العملية . كان هذا الرجل هو : انطونيو داجوس بوقييه » ، اليد اليمنى للارهابى « كارلوس » .

(وقد حضر حسب ما جاء فى ملفات البروتوكول الخاص بجلسات التحقيق الى عينتيبى فى اليوم السابق ونقل بطائرة هليوكوبترعسكرية خاصة) .

* * *

فى يوم الخميس ١ يوليه (تموز) ١٩٧٦ كانت تعقد جلسة غير عادية القدس فى القدس . افتتح « شيمون بيريز » الجلسة قائلا : لقد قررت الحكومة اليوم فى الساعة العاشرة و٢٠ دقيقة بتوقيت جرنيتش ، ٤٠ دقيقة قبل انتهاء مهلة الانذار ، ان تتفاوض اسرائيل مع (الارهابيين) ، وقد علمت باريس بهذا القرار ، وطلبنا من الفرنسيين ان يقوموا بدور الوساطة »

لم يلق الخطاب الذى ألقاه « بيريز » ارتياحا فى مجلس القيادة الاسرائيلية . فقد كان واضحا أن اسرائيل رضخت لضغط الرأى العام العالمى ولالتماسات أقارب الرهائن ، كائناً ماكانت وجهة نظر أى انسان فى هذا الموضوع ، فهذا لايهم .. المهم أنه انتصار (للارهابيين) . وتشجيع للمختطفين .

ثم قال « بيريز » فى هدوء : سأسمع منكم اقتراحاتكم بشأن تحرير الرهائن ، مهما كانت هذه الاقتراحات غير منطقية ، أو حتى مجنونة !!

وسأل القائد العام « موردخاى جور » فى دهشة ، عما إذا كان من الممكن مناقشة أمر يناقض اتصالاته برئيس الموساد ، « اسحق حوفى » فى الأيام السابقة ، الذى طلب منه معرفة تفاصيل أكثر عن مطار « عينتيبى » وقد أعطى أعضاء الموساد خريطة لمبنى المطار ، الذى كانت قد اشتركت فى بنائه شركة اسرائيلية ، كما أن أعضاء الموساد ، الذين كانوا يقومون بالتجسس منذ شهور قليلة فى بلاد « عيدى أمين » وأعطوا صورة كاملة عن كل ما يعرفون . مصدر الأمر الى أعضاء الموساد فى « كينيا » بالاستعداد لحالة طوارىء قصوى .

اقترح قائد السلاح الجوى ان تنزل وحدة مظلات فوق « عينتيبى » وتسيطر على المطار كله . واقترح آخر « غزو » المطار . وأخيرا قال « بيريز » أن على كل قائد ان يكتب اقتراحه وتصوراته ومخططه . ووافق « بيريز » على اقتراح جنرال « دان شومرون ، قائد وحدات الدبابات والمظلات .

* * *

فى أوغاندا لم يسمح الحرس الأوغاندى لسفير فرنسا فى « عينتيبى » ان يدخل الى الرهائن ، لكن السفير خطا بسرعة إلى الأرقام وصرخ بأعلى صوته ، بأن الاسرائيليين يريدون التفاوض . اسرائيل على استعداد للتفاوض .

وسمع الكابتن « ميشيل باكوس » النداء فنقله إلى الرهائن الذين أخذوا يتعانقون ويصيحون .

بعد الظهر سمح المختطفون لمئة رهينة من الفرنسيين بالعودة الى فرنسا ، وبذلك عاد الاسرائيليون الى القاعة الكبيرة المريحة فى مبنى المطار .

وهدأ التوتر حتى أن لاعبى الورق عادوا إلى نزاعاتهم . وقال أحد اليهود : « انه جو يهودى خالص » وضحك وعاد الى النوم .

فى يوم الجمعة ٢ يوليو (تموز) عام ١٩٧٦ ظهر « عيدى امين » فى الساعة السابعة صباحا فى المطار ، وقال : ان على الاسرائيليين أن يستسلموا الآن . وقال الرهائن : لكن اسرائيل تتفاوض ورد « عيدى أمين » : يجب ان يطلقوا سراح المسجونين الفلسطينيين . قال ، إنه فى طريقه إلى موريتانيا حيث يرأس اجتماعات منظمة الدول الافريقية وقال ، انه سيناقش مسألة الرهائن هناك ، وسيحارب من أجل اطلاق سراح الاسرائيليين ، بشرط أن تفعل اسرائيل ماعليها ايضا .

فى ليلة الجمعة كان هناك اجتماع غير عادى فى مبنى القيادة العليا فى

تل أبيب . حيث كان الضباط يدرسون الخرائط ، وكان هناك كبار القادة ، وأطباء الجيش ، وضباط المخابرات وعملاء الموساد وطيارون ومظليون . وكان الحديث يتركز على مطار عينتيبى ، وأسهل الطرق إليه وطبيعه البلاد والامكانيات المتاحة للوصول الى اوغاندا التى تبعد ٣٦٥٢ كيلوا مترا عن البحر الأحمر .

وتم التوصل إلى الخطة المثلى . وبقى اختيار اسم حركى للعملية واقترح الكومبيوتر اسم : « تراب ورماد » لكن الاسم رفض ، لأنه يبشر بالهزيمة . .ونال اسم « قصف الرعد » استحسان الجميع .

تولى « دانييل شومرون » قيادة العملية بالرغم من أنه فى التاسعة والثلاثين من عمره ، لكنه معروف بأنه مقاتل . وقد اشترك فى كل حروب اسرائيل ، فيما عدا حرب (الاستقلال) لأنه كان تلميذا صغيرا . فقد كان أول من وصل بوحدته إلى قناة السويس فى حرب عام ١٩٦٧ ، وكان قائد وحدة مدفعية ساهمت فى احداث (الثغرة) المشهورة ، حين التف بالمدرعات حول الجيش المصرى ، وساهم الى حد كبير فى تحويل دفة الحرب عام ١٩٧٣ .

وصل إلى علم الاسرائيليين من الرهائن الفرنسيين الذين أطلق سراحهم أن عدد الجنود الأوغانديين ، الذين يقومون بالحراسة يتراوح بين ٦٠ ـ ١٠٠ جندى ، وأن عدد المختطفين يتراوح بين ٨ ـ ١٢ شخصا .

ووصل للموساد خبر سعيد ، يفيد بأن الدولة المجاورة لأوغاندا وهى « كينيا » ورئيسها « كينياتا » مستعدة لمساعدة الاسرائيليين ضد (هذا المجنون) فى الدولة المجاورة ، ويشترط الرئيس الكينى العجوز ، ان تدمر قوات الوحدات الخاصة الاسرائيلية كل السلاح الجوى الأوغاندى ، حين تصل الى اوغاندا . لأن طائرات الميج السوفيتية المرابطة فى عينتيبى تسبب ازعاجا وقلاقل شديدة لكينيا وبهذا حلت كينيا مشكلة كانت تواجه خطة « قصف الرعد » وهى تموين الطائرات قبل الوصول الى اوغاندا .

ولكن حدث ماكان يمكن أن يحبط كل الخطة . فقد التقى أحد

أعضاء الموساد التابعين للعملية بأحد أصدقائه من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وسأله الأمريكي عن سبب وجوده فى نيروبى ، لأنه يعلم أنه لا توجد قوات اسرائيلية فى كينيا ، وأنه لابد أنه مكلف بمهمة خاصة ، قد يكون لها علاقة بالرهائن . فما كان من الاسرائيلى إلا أن دس مخدرا للأمريكى فى شرابه ، جعله ينام ٤٨ ساعة متواصلة .

وقد احتج الأمريكان فيما بعد على هذه « الحيلة القذرة » التى قام بها جهاز (صديق) ولكن هذا كان أرحم على الاسرائيليين من ان تعلم المخابرات الامريكية بالخطة ، وأن تكشفها لو استدعى الامر ، لأنه حتى ذلك الوقت لم يكن الرئيس الأمريكى ولا رئيس وكالة المخابرات الأمريكية على علم بالمخطط .

فى مساء يوم الجمعة أعد « جوناتان نيتانياهو » قواته ، التى يجب ان تكون أول القوات التى تهبط فى المطار وتهجم على المبنى . وقد بنى « جوناتان » نموذجا صغيرا للمطار ، ووضع أكياس رمل بدلا من الجدران بنفس المقاييس والأبعاد . ووقفت طائرة اسرائيلية على بعد ١٤٠٠ مترا م ن النموذج حتى تتفادى الأسلحة النارية اليدوية . ثم انطلقت سيارة جيب من الطائرة فى اتجاه الحائط وقفز الرجال منها مستعملين السلاح ، وأعاد جوناتان نيتانياهو العملية اكثر من مرة حتى وصل الى السرعة المطلوبة .

وقد فكر الضباط أن السيارة الجيب ستلفت انتباه الحراس الأوغانديين فيطلقون عليها النار ، وتفشل الخطة ، لذلك رأوا استبدالها بسيارة مرسيدس سوداء ، « لأن كل ضابط مرافق للرئيس فى الجيش الأوغاندى يستخدم سيارة مرسيدس سوداء) ، وبذلك لن يتخذ الحرس الأوغاندى اى موقف عدائى ضد السيارة ولو للوهلة الأولى .

* * *

فى الساعة الحادية عشر وثلاث دقائق هبطت الطائرة الاسرائيلية على مطار « عينتيبى » وقد تردد السياسيون الاسرائيليون فى الموافقة على الخطة حتى اللحظة الأخيرة . وبالفعل فقد حدث نقاش طويل وحاد فى صباح يوم السبت فبينما كان « اسحق حوفى » ، رئيس الموساد ، يدافع

عن الخطة بحرارة

رأى « شيمون بيريز » وزير الدفاع ، إتمام العملية ، بينما تردد « رابين » فى اللحظة الأخيرة فجأة . وقال له « بيريز » : « ستكون بطلاً ، حين ينتهى كل شى » فرد رابين واذا فشلت الخطة فإن علينا جميعا أن نستقيل ثم وافق « رابين » على العلمية ..

وبعد ظهر يوم السبت دعا مجلس الوزراء الى اجتماع غير عادى لابلاغ المجلس بالعملية ، ولاطلاع القاعدة العريضة من السياسيين على الخطة وكان موشى قول ، وزير السياحة ، « وموشى بارام » وزير العمل ، من غير المؤيدين ، وفى النهاية أعطى ١٨ وزيرا أصواتهم لتأييد العملية . وحتى لو لم يحدث فإن عملية « الرعد » كانت ستتم بدونهم ، إذ أنه فى فترة التصويت ، كانت أربع طائرات قد أقلعت من القاعدة الجوية العسكرية الاسرائيلية فى شرم الشيخ باتجاه عينتيبى .

وهبطت أول طائرة وعليها « جوناتان نيتانياهو » ، وكانت معظم أضواء المكان مضاءة ، بينما كان الرجال فى برج المراقبة نائمين (على مايبدو)

وحسب البروتوكول الرسمى قال قائد المطار كاباندا أن الرادار المدنى يصل إلى بعد ٢٥ ميلا ، ولذلك فهو لم يستعمل . كما أن الرادار العسكرى الأقوى منه ، قد أوقف أثناء الليل) .

وخرج الرجال الثمانية من (قلب) الطائرة بسيارتهم المرسيدس مندفعين ، وتبعهم سيارتان لاندروفر . وفجأة ظهرت أمامهم قوة حراسة أوغاندية مسلحة وطلبت منهم التوقف . لكن اثنين من الاسرائيليين اطلقا النار على القوة المسلحة ، دون صوت ، فسقط الحراس صرعى . وكانت الطائرة الثانية قد هبطت فى هذا الوقت ، بينما اقتربت الثالثة من المكان ، حين أطفئت أنوار البرج ، وتقدمت المدفعية . وجرى اتصال لاسلكى بين الطائرات وبين الطائرة البوينج ٧٠٧ التى وصلت فوق عينتيبى .

وقفز الرجال من السيارة المرسيدس وأسرعوا إلى بوابات الاستقبال

الثلاثة . وقتل القائد الاسرائيلى (الارهابى) الألمانى « بوزه » بالرصاص ، ثم الفلسطينى « جابر » أما الفتاة الألمانية فقد حاولت قذف القنابل اليدوية ، إلا أنها أصيبت بعدة طلقات نارية متتابعة .

ولم ينتبه احد من الرهائن الى حقيقة ماحدث ، بعد .

وفى هذا الوقت كان رجال الطائرة الثانية والثالثة يطوقون المكان ويسدون منافذه منعاً لوصول أية امدادات أوغاندية .

وحاولوا منع الاوغانديين من ركوب الطائرات المقاتلة وتدمير المطار كله ، ثم نسفوا الطائرات المقاتلة بعد صدور الأمر لهم ، فدمروا طائرتين ميج ٢١ وأصيبت طائرتان ميج ٢١ أيضا بأضرار جسيمة ، بينما احترقت طائرة ميج ١٥ ووصل لهيبها الى الجو ، ودمرت أيضا ثلاث طائرات ميج ١٧ . وهكذا دمر الاسرائيليون جزءا كبيرا من السلاح الجوى الأوغاندى تماما ، كما رجاهم الرئيس الكينى ، وكما اعتبره شكرا منهم على مساعدته لهم .

وتقدمت مجموعة ثالثة قدمت بسيارتين لاندروڤر ، وصعدت الى الطابق الثانى للمطار ، فاصطدمت بجنود اوغانديين ، فأطلقت عليهم النار[1] .

* * *

انتبه الرهائن وعرف بعضهم أن القوات الاسرائيلية قد هاجمت المكان . وصاح أحد الجنود الاسرائيليين فى الميكروفون : نحن ـ ساحال ـ القوات الاسرائيلية ، أتينا لنعيدكم الى بلادكم . ارقدوا على بطونكم .

وأطلق الاسرائيليون النار على بعض الرهائن لاختلاط الأمر من المختطفين .

خيم الهدوء على المكان وتحدث « شومرون » إلى القيادة الرئيسية ، بأن كل (الارهابيين) قد ماتو وأنه يمكن الآن ترحيل الرهائن .

كانت تسمع طلقات متفرقة خارج المبنى . وأصابت احداها

« جوناتان نيتانياهو » فى ظهره . وحمل الجرحى والموتى على محفة خاصة بينما اندفع الرهائين مأخوذين الى الطائرة التى اقلعت فى الساعة الحادية عشرة و ٤٣ دقيقة ، ورغم ذلك فإن الرهائن لم يحسوا بالنصر ، فقد كان على المحفة اموات وجرحى ، كثيرون !

* * *

من بروتوكولات « عيدى أمين » السرية . لجنة التحقيق :
نتائج التحقيق ـ الأخطاء التى أدت إلى نجاح مهمة الاسرائيليين :
ـ لم تؤخذ تحذيرات كولونيل لوماجو والزعيم الفلسطينيى مأخذ الجد .
ـ الرادار العسكرى فى عينتيبى مخصص لمعرفة الطائرات المعادية ـ وليس للزينة ويجب ان يظل فعالاً لمدة ٢٤ ساعة فى اليوم ، وبذلك كان يمكن اكتشاف الطائرات الاسرائيلية قبل الهبوط .
ـ لم يكن رد فعل القوات الاوغاندية سريعا بدرجة كافية . وكان هناك كميات من السلاح مغلق عليها فى المخازن ، لأن حظر اى هجوم لم يكن يؤخذ مأخذ الجد . ومدافع الـ١٠٦ ملم لم تستعمل ، بسبب غير واضح او مفهوم ، وكان يمكن ان تصيب العدو بأضرار بالغة .

توصيات اللجنة :

وضع القائد العام « سول » قائد عمليات المطار فى موضع المساءلة ، والقاء المسئولية عليه ، فبالرغم من التحذيرات المتكررة باحتمال حدوث أى هجوم ، ذهب إلى سريره لينام ورغم أنه سمع ضجة المعركة إلا أنه لم يظهر فى وحدته وليس من المعقول أن يكون فى ذلك الوقت نائما ، فهو إما كان ثملا ، أو أنه كان أجبن من أن يقوم بأى اجراء .

وكذلك يوضع الضابط « صموئيل بوكاتا » موضع المساءلة والقاء المسئولية عليه .

فقد كان رئيس برج المراقبة ، وبالرغم من انه امر بملء المدافع بالذخيرة ، إلا أنه لم يصدر الأمر باطلاق النار .

امضاء : كولونيل يورو كانو بيزيوايو ، رئيس لجنة التحقيق .
امضاء : الجنرال مصطفى ادريس ، وزير الدفاع . كامبالا ، اوغاندا .
تاريخ ١١/١١/١٩٧٦ .

* *

من البروتوكولات :
سؤال : هل أصبت بجروح ؟
جواب : أجل أصبت بثلاث رصاصات فى ظهرى .
سؤال : ومن عالجك ؟
جواب : لا أحد . ولكن (الطبيب) فى قبيلتى كان قد جعل ظهرى وجلدى ضد الرصاص . امضاء : مدفعجى فى القواتالأوغاندية

عملية : Big lift

تفجير المفاعل الذرى العراقى واغتيال العالم المصرى

د . يحيى المشد[1]

فى يوم ١٤ ابريل عام ١٩٧٩ قدم ثلاثة شبان على آخر طائرة قادمة من باريس إلى مدينة « طولون » الفرنسية التى تقع فى الجنوب . ورغم أن الثلاثة كانوا يعرفون بعضهم بعضا إلا أنهم تفرقوا دون كلمة ، ونزل كل واحد منهم فى فندق متوسط ودفع أجرة المبيت مقدما ، ثم تجول فى الساعة الحادية عشرة مساء فى المدينة ، ليتأكد من أن أحدا ما لا يتبعه ، ثم تقابل مع الآخرين فى إحدى الحارات المظلمة عند مبنى المحطة .

كانت سيارة رينو ١٢ تنتظر الثلاثة حيث قادتهم إلى بيت ريفى منعزل فى شمال المدينة . ولم يتكلم أحد طيلة الرحلة إلى أن وصلوا إلى البيت حيث كان ينتظرهم أربعة رجال سألوهم ، ان كان لديهم سيارة نقل ، فقالوا ، إنهم طلبوها منذ ثلاثة أيام . وسألهم الرجال ، هل سينفذون الخطة رقم واحد أم الخطة رقم اثنين ، فقال « جيلبرت » ، إن الليلة القادمة ستكون السماء مليئة بالغيوم السوداء ، كما قالت هيئة الأرصاد الجوية ، وهى ليلة مناسبة .

وانحنى الرجال على الخريطة الكبيرة التى أمامهم . كانت الخريطة لموقع « صناعات بحرية » فرنسى ، يعرف باسم CNiM أى
«Constructions novales et idus trielles de la Mediterranée».

---

(١) لأول مرة ينشر ما يؤكد ان اسرائيل هى التى قامت بفك اجزاء المفاعلين العراقيين فى فرنسا وكان ماينشر قبل ذلك تكهنات فقط . وقد أثار الكتاب ضجة صحفية عالمية واسعة بسبب هذه التفاصيل .
(المترجمة)

بدأ العد التنازلى للعملية . وكان الرجال السبعة عملاء فى المخابرات الاسرائيلية وكان الاسرائيليون يعدون ضربة قاسية للعراق فى منطقة تبعد سبعة كيلو مترات من « طولون » فى « لاسين سورمير » ، ومدينة لاسين ، ليست بالمدينة الجميلة ، فلا يوجد فيها بلاجات ولا شواطىء ولا أماكن أثرية ولا شىء مما يجذب السواح ، بل نادرا ما يتواجد فيها سائح ، وهى باختصار مدينة عمال ، ويبلغ عدد سكانها ٤٨ ألف نسمة فقط .

وأكثر الأماكن كثافة فيها هى « الترسانة البحرية » حيث يعمل (٥٣٠٠) عاملا . وهى تبنى سفنا ومعدات يصدر منها ٦٠ ٪ ، ولا توجد إجراءات أمن مشددة . وحتى منطقة المصانع فى الميناء لا تحظى بحراسة خاصة .

وحتى ابريل عام ١٩٧٩ لم يكن الا قليلون جدا يعرفون ، أنه فى الصالة رقم (٣) توجد « قنبلة » زمنية . فهناك تخزن الأجزاء الرئيسية للمفاعلين الذريين :

تموز [١] وتموز[٢] ، اللذين سترسلهما فرنسا إلى العراق . وبهذين المفاعلين وبالشحنة المحددة من اليورانيوم عالى النقاء ، والتى تبلغ ٦٥ كيلو جراما ، وسترسلها فرنسا مع أجزاء المفاعلين . سيتمكن العراق ، وهو من أشد أعداء اسرائيل ، أن يخل بالتوازن العسكرى فى المنطقة . فالعراق فى هذه الحال يستطيع أن يصنع قنبلة ذرية تبلغ قوتها ستة أضعاف قوة القنبلة الذرية التى ألقيت على « هيروشيما » وهذا وحده يعد كارثة لاسرائيل ، التى لم تدخر وسعا ولا صبرا ولا حيلة فى سبيل أن تكون الدولة الأولى (الوحيدة) فى الشرق الأوسط التى تمتلك القنبلة ، مهما كلفها ذلك .

ومرة أخرى يحاول الموساد أن يمنع أسوأ شىء يمكن أن يحدث له ، بأن تتوازن الدول المعادية لاسرائيل بالسلاح معها .

وفى يوم ٤ ابريل ١٩٧٩ ، أى فى اليوم الذى وصل فيه الاسرائيليون بجوازات سفر فرنسية مروره إلى مدينة طولون ، وضعت ادارة الشركة

CNIM سيارات مصفحة فى خدمة امنية خاصة ، وقد تكتم المسئولون نوع البضاعة التى ستشحن ، لكن الاسرائيليين علموا عن طريق رجلهم فى المصنع ما يجرى . ففى ليلة ٩ ابريل ستحّمل أجزاء المفاعلين وتوضع على اوتوستراد رقم ٥٥٩ن ، إلى ميناء مرسيليا ، حيث تشحن على سفينة إلى العراق .

فى يوم ٥ ابريل فى الساعة العاشرة صباحا ، تجول ثلاثة من الاسرائيليين ليفحصوا على الطبيعة ، المكان الذى درسوه على الخريطة من قبل موقع الترسانة البحرية ، والصالات المتنوعة ، وفحصوا جيدا (الحظائر) الثلاثة الكبيرة المطلية بالأزرق والأبيض والأحمر والرافعات الثلاثة الضخمة ، وكذلك الحائط الذى يعلو ١٩,٨٠ مترا والذى يحيط بمكان الترسانة وعاد الثلاثة بسرعة قبل أن يلحظهم أحد .

فى يوم ٦ إبريل فى الساعة الواحدة صباحا ، انطلقت سيارتا نقل من البيت الريفى فى ضواحى طولون الى مدينة لاسين . كانت المدينة هادئة تماما والليلة شديدة السواد . وحين وصلت السيارتان إلى شارع الميناء أطفأتا الأنوار . وكان الاسرائيليون يعلمون أنه فى الساعة الثالثة صباحا لا توجد دورية حول المكان .

كان هناك أربعة رجال فى السيارتين ، ظلوا بلا حراك مدة ، ثم قفزوا ووضعوا سلالم معلقة على الجدار وتسلقوه ، وهرعوا إلى (الحظيرة) ذات اللون الأزرق والأبيض والأحمر فى أقصى اليمين ، وفتحوا الباب الدائرى بمفتاح خاص أحضره لهم عميلهم داخل المصنع ، وأبطلوا عمل جهاز الانذار .

كان الاسرائيليون يعرفون جيدا أين وكيف تخزن أجزاء المفاعلين العراقيين ، فتركوا أجزاء جاهزة لمفاعل لبلجيكا ، وآخر لهولندا ، دون مساس . وفتحوا غطاء معينا وحاولوا فك القطعة الرئيسية والتى تسمى « قرص العسل » وكانت مهمتهم ، هى توصيل هذه القطعة الهامة إلى اسرائيل .

ظل الاسرائيليون يعملون فى فك أجزاء المفاعل العراقى بدون

صوت ، ولكن أيضا بلا جدوى لمدة أربعين دقيقة ، ثم أدركوا أنه لافائدة من ا لخطة رقم (١) ، فلتكن اذن الخطة رقم (٢) .

لذلك أوصلوا « قرص العسل » بنهاية متفجرات جاهزة للاستعمال وأسرعوا بالخروج ، واختفوا فى ظلام الليل الحالك .

فى يوم ٦ ابريل فى الساعة الثالثة وخمس دقائق صباحا ، بدأ الحراس الليليون ورديتهم الثانية ، حين بدد الانفجار سكون الليل . وأطلق الحراس فورا صفارات الانذار ، لكن رجال الأطفاء وأخصائى الذرة لم يستطيعوا أن ينقذوا الكثير ، فقد تم احتراق وتدمير أكثر من ٦٠ ٪ من المفاعلين ، تماما . وبلغت الخسارة ، كما قدرت بعد ذلك ، بحوالى ١٢ ـ ١٣ مليون دولار .

وفحص الخبراء الفرنسيون آثار الدمار دون معرفة الفاعل ،ووجدوا أن كمية المتفجرات كانت دقيقة ومحسوبة بعناية ، بحيث لم تؤثر على مفاعل بلجيكا ولا مفاعل هولندا وبقى البوليس الفرنسى حائرا ، من هو الفاعل ؟ ولمصلحة من ؟

وتابع الاسرائيليون خداعهم . وفى يوم ٧ ابريل ١٩٧٩ اتصل أحدهم بشرطة « طولون » وأنبأهم أن الفاعل هو منظمة كانت غير معروفة حتى ذلك الوقت : وهى « جماعة حماية البيئة الفرنسية » واعترف بالعملية ، وحذر من أن الجماعة ستتابع مثل هذه العمليات ضد المفاعلات النووية .

وصدق رجال البوليس هذه المكالمة التليفونية ، ولم تصل تحرياتهم إلى شيء . بل ان الفرنسيين (حتى ساعة نشر الكتاب) لايعلمون يقينا ، اذا كان الموساد وراء عملية الارهاب هذه .

فى الوقت الذى كان فيه رجال الموساد فى تل أبيب يحتفلون بنجاح العملية . أما فى فرنسا فقد جاءت العملية فى وقتها .وكان « جاك شيراك » رئيس الحكومة ، هو الذى وقع الاتفاقية مع العراق سنة ١٩٧٤ ، ثم خلفه « جيسكار ديستان » عام ١٩٧٦ ، وغير سياسة فرنسا الذرية ، وأوجد مايسمى بـ « مجلس الذرة القومى » ونادى

بمنع تصدير اليورانيوم على الاطلاق ، لأنه يزيد من التسلح النووى فى العالم .

لكن الاتفاقية الفرنسية مع بغداد والتى تبلغ حوالى (٢) مليون دولار ، لا يريد ديستان أن يلغيها . فالعراق من أهم الدول المصدرة للبترول الى فرنسا بعد المملكة العربية السعودية . وفى الوقت نفسه كان الاسرائيليون يصرحون فى كل مناسبة ان تصدير اليورانيوم الى بغداد يزيد من قوة التوتر ومن احتمالات الحرب فى الشرق الأوسط حسب رأيهم . وزاد على ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية راجعت « ديستان » فى هذا الأمر ووجدت فرنسا نفسها فى دوامة .

إلى أن كانت ضربة « لاسين » فبإمكان « ديستان » الآن أن يتعلل بأن الأمر أصبح « خارجا عن ارادته » وأن يبلغ العراق أسفه الشديدة ، لأن توريد المفاعلات فى الوقت الحالى ، غير ممكن ، قبل سنوات عديدة قادمة .

وحين عاد الاسرائيليون الثلاثة فى لباس البحارة الى اسرائيل ، وعاد الآخرون الى مقارهم فى فرنسا ، دون أن يتركوا أى أثر ، بدأ وكأن الخاسر الوحيد فى هذا الأمر كله هو : العراق ، وبدأ أيضا أن آمال بغداد فى امتلاك القنبلة قد تلاشت .

إلا أن هذا كله كان مؤقتاً . ففى مارس ١٩٨٠ أعلنت الحكومة الفرنسية فجأة ، وبكلمات مقتضبة وحاسمة عن تغيير سياستها الحالية بالنسبة لموضوع الذرة . فقد قررت الحكومة بيع اليورانيوم النقى الى العراق ، وبناء مفاعل ذرى بطاقة ٧٠ ميجاوورات (بتكلفة حوالى ٢٠٠ مليون دولار) ، وكذلك تدريب وتعليم ٦٠٠ عالما وفنيا عراقيا فى باريس . كما تلقى العراق من ايطاليا معامل أبحاث ذرية قيمتها حوالى ٣٠ مليون دولار . وأبدت البرازيل استعدادها لبيع اليورانيوم للعراق .

ولذلك ، ماكاد ربيع عام ١٩٨٠ يأتى إلا والخبراء قد أكدوا ، أن بامكان العراق ان يصنع القنبلة الذرية فى عام ١٩٨٤ كحد أقصى ، خصوصا وأن عندهم عالم الذرة المصرى « يحيى المشد » الحائز على

السمعة العالمية ، ومن أكبر علماء الذرة فى العالم .

فى يوم ١٤ يونيو (حزيران) عـــام ١٩٨٠ فى باريس ، كانت الساعة الثانية والنصف ظهرا حين طرقت عاملة النظافة فى فندق « ميريديان » فى بوليفار جوفيون ـ سان ـ كير الباب ويئست من خروج النزيل فى الغرفة رقم ٩٢٢ بعد أن انتظرته طيلة الصباح ، فنزعت « اللافتة » الصغيرة التى كتب عليها : « نرجو عدم الازعاج » وفتحت باب الغرفة ودخلت لكنها ارتدت وهى تصرخ : فقد كان هناك عند قدمى السرير رجل ملقى فى بركة من الدماء ، بجمجمة مفتوحة .

وقد تأكد البوليس بعد ذلك من هوية القتيل ، فقد كان المواطن المصرى الذى يقيم ويعمل فى العراق ، واسمه « يحيى المشد » ويبدو أنه قد قاوم الجناة طويلا ، قبل أن يتلقى ضربة شديدة على رأسه .

كان د . يحيى المشد فى باريس ، كرئيس للجنة الطاقة الذرية العراقية ، التى تقوم بالتفاوض مع الفرنسيين لتوريد اليورانيوم وبناء المفاعل . وقد انتهت المباحثات بين الجانبين بنجاح . وأبدا الطرفان ارتياحهما وسرورهما للنتائج .

وفى يوم الخميس ١٣ يونيو (حزيران) اشترى د . المشد هدايا لعائلته فى بغداد . وكانت أكياس الهدايا مبعثرة فى غرفة الفندق وفى الساعة العاشرة مساء شوهد لآخر مرة على قيد الحياة .

ويبدو أن الجريمة وقعت فى فجر اليوم التالى ، ولم تكن للسرقة ، لأن محفظته لم تُمس ، وفيها ١٢٠٠ فرنك فرنسى ، ومثلها فى الدرج . وأوضح البوليس أن الجناة لم يتركوا أثرا ، ولم يقوموا بمخاطرة كبيرة ، وقد اضطر البوليس أن ينسب الجريمة لفاعل مجهول لم تحدد هويته ، ولا سبب الجريمة .

وفى اسرائيل تلقت الأوساط كلها نبأ موت عالم الذرة يحيى المشد بالسرور . وقال أحد العلماء فى إذاعة اسرائيل ، إن موت المشد سيؤخر البرنامج النووى العراقى سنتين على الأقل . أما فى المحادثات الجانبية .

فكان واضحا كل الوضوح ، أن الموساد هو الذى قام بقتل المشد ، وكانوا كثيرا مايتبادلون الحديث عن التفاصيل ، بشكل متعمد .

كان العراق قد وقع على اتفاقية « الحد من التسليح النووى » على عكس اسرائيل (التى رفضت ذلك)[1] . وتم التوقيع مع ١١٣ دولة ، وهذه الاتفاقية تحرم استخدام الطاقة النووية للاغراض العسكرية . وبهذه الاتفاقية تخضع الدول لمراقبة وتفتيش نصف سنوى من قبل « الهيئة العالمية للطاقة الذرية » المعروفة اختصارا بالحروف : IAEA أو International Atom Energy A uthority ومقرها فى فيينا بالنمسا . وبهذه الاتفاقية يؤكد المختصون فى الهيئة أن اى خرق فى الاتفاقية لا يمكن أن يمر دون مراقبة . ولكن الاسرائيليين يثقفون فى رجال مخابراتهم ، أكثر مما يثقون فى رجال الهيئة ، وهؤلاء يقولون أن البرنامج العراقى النووى يتقدم إلى الأمام بأسرع مما كان متوقعا ، بعد موت د ، يحيى المشد .

وفى أغسطس (آب) عام ١٩٨٠ نما الى علم الموساد ، بأن الشركة الألمانية (نوكيم) المساهمة اشترت (١١٣٥٠) كيلوا جراما من اليورانيوم فى كندا وسترسلها الى العراق . ووصلت الإشارة بذلك إلى الكنديين ، الذى أخبروا « الهيئة العالمية للطاقة الذرية » والتى منعت الصفقة ، التى لم يكن مشتريها الحقيقى معروفا حتى ذلك الحين .

وبالرغم من كل ذلك فقد أوفت فرنسا باتفاقها مع العراق ، وكذلك ايطاليا التى وعدت بارسال معامل الأبحاث والبرازيل ، التى أرسلت اليورانيوم عالى النقاء . فكيف يمكن للاسرائيليين أن يوقفوا برنامج العراق النووى ؟

---

(١) كان رفض اسرائيل التوقيع على الاتفاقية انها لاتريد ان يعلم احد ان المفاعل فى ديمونا كان لصنع القنبلة ، كما ان التوقيع يستلزم التفتيش الذى كان سيكشسف عن حقيقة المفاعل وفى عام ١٩٦٠ التقطت طائرات التجسس الأمركية صورة للمفاعل فأجبر جون كيندى رئيس الولايات المتحدة ، دافيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل ان يسمح لفريق العلماء الأمريكان بالتفتيش ، وتوقفت عمليات التفتيش بعد ذلك بسبب تحرش الاسرائيليين بالأمريكان الى درجة سيئة . (المترجمة)

ولكن حدث فى سبتمبر عام ١٩٨٠ مايعتبر هدية غالية لاسرائيل ، وذلك حين نشبت الحرب العراقية ـ الايرانية حول السيطرة على شاطىء العرب . فقد اعتقد صدام حسين رئيس العراق ـ انه سيقود حربا خاطفة ضد ايران ، الدولة التى انهكها النزاع بين رجال الدين وبين السياسيين المعتدلين ، وأراد بذلك أم تكون حربا قصيرة الأجل ، لينهى مشكلة « شاطىء العرب » إلى الأبد .

لكن الأحداث أثبتت أن قاذفات القنابل الأمريكية طراز « فانتوم » ، التى يمتلكها الايرانيون تتفوق على الميراج الفرنسية الثقيلة التى يمتلكها العراقيون ، فالايرانيون يستطيعون فى كل وقت ، أن يضربوا بغداد من الجو .

وفى هذا الوقت سأل جنرال اسرائيلى سؤالا غريبا جدا . ففى حديث لرئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية الى صحيفة « معاريف » الاسرائيلية ، قال : « لماذا لم تحاول طهران حتى الآن ضرب المفاعلات الذرية العراقية » وقال الجنرال إنه يعتقد أن مثل هذه الضربة المدمرة توشك أن تحدث » وقد كان الجنرال الاسرائيلى ماكرا حين قال هذا ، وكأنه يعطى (أحدا) الاشارة بأن يقوم بهذا العمل ، أو أنه يبعد الشبهات عنه هو شخصيا .

وقد حدث . ففى يوم ٣٠ سبتمبر (ايلول) عام ١٩٨٠ ضربت طائرات مقاتلة مركز الإنشاءات النووية ، الذى يبعد ١٧ كيلوا مترا الى الجنوب الشرقى من بغداد ، ولم تكن الخسائر جسيمة فجسم المفاعل الأصلى لم يصب . وقد اتهم العراق ايران فورا ، ولم يصدق الرأى العام العالمى إنكار ايران بقيامها بهذه العملية . لكن الحقيقة ان طيارى الخمينى لم يشتركوا فى ضرب المفاعل . فالاسرائيليون هم الذين ضربوا المفاعل . وكان العراقيون يعلمون جيدا من أين وجهت إليهم الضربة ، لكنهم أرادوا أن يسيئوا الى سمعة الايرانيين أمام العالم .

وقد اعترف العراقيون فى يونيو (حزيران) عام ١٩٨١ من خلال وكالة انبائهم الرسمية ، ان ضرب المنشآت النووية قامت به الدولة

اليهودية . وهذا الاعتراف تقدمت به العراق ، حين ضرب الموساد المفاعل مرة ثانية ، وكانت الضربة هذه المرة ، مدمرة[1] .

وقد ثار الجدل فى دوائر جهاز المخابرات الاسرائيلية ، عما إذا كان الهجوم الأول قد فشل ، ولم يستطع الطيارون تحديد هدفهم ، أم أن الموساد أراد بالضربة الأولى توجيه « الانذار الأخير » وحتى لو كان الاسرائيليون قد املوا بأن تسحب فرنسا الفنيين والمهندسين الفرنسيين من العراق بعد الهجوم الأول ، وترك المفاعل ، بلا حراك ، فقد خاب أملهم ، بشدة . لأن العمل فى المنشآت النووية استمر ، على قدم وساق ، حتى يوم عيد الفصح عام ١٩٨١ .

قبل شهور من الحادث كان « مناحم بيجين » قد وافق على خطة الهجوم الثانى . وكان يضع فى حسابه ، أن نجاح الهجوم سيحسن كثيرا من فرص نجاحه فى الانتخابات القادمة ـ وقد صحت حساباته .

وانطلقت ثمانية طائرات مقاتلة طراز اف ـ ١٦ محملة بكل منها بـ ٩٠٠ كيلوا جراما قنابل ، وست طائرات مرافقة اف ـ ١٥ من قاعدتها « خليج القمر » عند ايلات ، بيما كان « بيجين » يجتمع بوزرائه فى بيته فى القدس ويخبرهم أن هذه الضربة ، تشبه ماقام به الموساد فى مطار عينتيبى ضد (الارهابيين) .

وقد زودت الطائرات بالوقود فى الجو ، واتجهت فى طيران منخفض الى الجنوب ، الى الحدود السعودية ـ العراقية التى لا تتجاوز الف كيلوا متر ، ثم أستدارت شمالا وكان يفصلها ٤٠٠ كيلو مترا عن بغداد فقط ، حين حدد الدفاع الجوى العراقى مواقعها ، وعرف الطيارون أنهم تعرضوا للقصف حين رأوا سحب الدخان الكثيفة البيضاء ، ووصلوا هدفهم فى الساعة الخامسة و٣٧ دقيقة . وفى خلال ١٠٧ ثوان قذفت الطائرات بحمولتها من القنابل وبالرغم من أن العراقيين بعد القصف

---

[1] (١) أعد مشروع قرار امام مجلس الأمن باداتة اسرائيل وطلبت الدول غير المنحازة بأن تدفع اسرائيل للعراق التعويضات المناسبة ولكن ظل القرار مشروعا فقط .
(المترجمة)

الأول فى سبتمبر عام ١٩٨٠ قد قاموا بإخفاء معالم المفاعل ، إلا أن قاذفات القنابل الاسرائيلية ضربت المفاعل فى مكانه الذى يتسع بطول ٣٢ مترا وعرض ٢٥ مترا . وقد دمر المفاعل تماما ، كما دمر جزء كبير من معمل الأبحاث السرى ، تحت الأرض .[١]

وفى ٧ يونيو (حزيران) عام ١٩٨١ فى الساعة الخامسة و٤٥ دقيقة أعلن القائد العام« رافائيل ايتان » أمام مجلس الوزراء نجاح « عملية بابل » وعادت الطائرات الاسرائيلية سالمة فى الساعة السادسة و٢٠ دقيقة .

وبذلك أقفل موضوع « القنبلة الذرية العراقية » إلى أجل غير مسمى [٢]

---

(١) أجرت صحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية حديثا مع رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية فى عام ١٩٨٣ ، الذى عزل بعد أحداث صابرا وشاتيلا فى لبنان . سئل رئيس المخابرات « يهوشع ساجى » : لقد أوضحت أنك عارضت قصف المفاعل العراقى ، فكيف استطعت ذلك ؟

أجاب : لم أعبر عن رفضى ، ولكنى أشرت الى الأخطار التى يمكن ان تتبع هذا القصف . (وبالمصادفة) لم تقع هذه الأخطار .

وسئل : هل كان يمكن ضرب المفاعل الذرى لو كان فى المملكة العربية السعودية ؟

أجاب : لو أن السعوديين اقاموا مفاعلا فلا يمكن مهاجمته لما فى ذلك من مخاطر قطع العلاقات مع واشنطن

(٢) نشرت مجلة « ايروسبيس دايلى » فى عام ١٩٨٥ موضوعا اكدت فيه ان اسرائيل قد أعدت عدة صواريخ برؤوس نووية وبهذا يتأكد أن وصول يد اسرائيل الى المواد الانشطارية الأمريكية لم يعد فيه شك .

هامش تعليق :

حتى وقت قريب وبالذات فى يوم ٧ اكتوبر عام ١٩٨٦ نفت الخارجية الاسرائيلية رسميا ، وبشسدة ، ماذكرته صحيفة « صنداى تايمز » البريطانية فى يوم ٦ اكتوبر عن امتلاك اسرائيل لـ ١٠٠ ـ ٢٠٠ رأس نووى صنعتها على مدى عشرين سنة الماضية . وكان العالم الاسرائيلى ا لشاب موردخاى فانونو هو الذى ادلى بشهادته ووثقها بالصور عن مفاعل ديمونا وعن تفاصيل صناعة القنبلة الذرية فى اسرائيل وتأكد الخبراء الذريون على جانبى الأطلنطى من ان اسرائيل ليس دولة ذرية مبتدئة كما كانوا يظنون ، بل تحتل المركز السادس فى النادى الذرى وتحوى مخازنها على الأقل مئة قنبلة ذرية مع حيازتها على المكونات اللازنة لصناعة قنابل ذرية ونيوترونية , وهيدروجينية، كما جاء فى شهادة « فانونو » الاسرائيلى ،

لكن خبرا تحليليا جاء فى مجلة « شتيرن » الألمانية فى عددها أول نوفمبر ١٩٨٦ بأن «التمثيليـة» التى جرت بهـا أحداث إدلاء «فـانونـو» بشهادتـه ثم استدراجـه عن طريق فتاة جميلة الى عرض البحر ليختطف فوق المياه الدولية الى اسرائيل لمحاكمته ، كانت متقنة كالأفلام البوليسية . و« مجلة شتيرن » تعتقد ان « فانونو » ماهو إلا **عميل من عملاء الموساد** ، قام بالادلاء بأقواله بتكليف من الموساد بعد استقالته من عمله (عن عمد) ، لأنه لم يكن بامكانه « تهريب الصور والوثائق » من اسرائيل الى بريطانيا بهذه السهولة ، عدا انه لم يكن هناك من سبب جوهرى يدعوه لكشف اسرار المفاعل الذرى فى ديمونا . أما السبب الذى قدمه ، وهو أنه من انصار « جماعة السلام » الاسرائيلية وأنه كان عضوا فيها ، فلم يكن مقنعا ، خصوصا وأن بعض أعضاء الجماعة أبدوا شكوكهم بأنه عميـل اسرائيـلى للموسـاد منـذ أن انضم اليهم قبـل ذلك . وتـوصـل كـاتب المقـال الى ان « فانونو » عاد الى اسرائيل بعد ادائه مهمته ، وهى اذاعة امتلاك اسرائيل للقوة النووية ، على العالم ، وبالذات على البلاد العربية زيادة فى « تخويفها » واثارة شعورها بتفوق اسرائيل .

(المترجمة)

الفصل الرابع

سقطات الموساد

الجواسيس المنسيون فى مصر :

هى واحدة من أكبر سقطات الموساد ، لكنها تدور أحداثها كما فى رواية بوليسية من الدرجة الثالثة .

الزمان : الساعة السابعة مساء فى يوم ٢٣ (تموز) عام ١٩٥٤ ،

المكان : مدينة الاسكندرية ، بمصر .

كان ضابط البوليس المصرى « زكى المناوى » فى دوريته المعتادة حين سمع صرخة ورأى شابا يندفع من مدخل سينما « ريو » إلى الخلاء ، وقد شبت النار فى سترته،حاول الشاب إطفاء النيران دون جدوى . فما كان من الضابط إلا أن رمى بنفسه فوق الشاب وظل يمرغه بالتراب إلى أن أنطفأت النار نهائياً .

سار كل شى على مايرام . وكانت الحروق فى جسم الشاب بسيطة ، وساعده الضابط ليقف ويرتب ملابسه وشكله ، ولكن ، بينما كان الضابط يناوله « جراب » نظارته الذى وقع من السترة ، نصف المحترقة ، وقع على الأرض وانتثر منه مسحوق أسود اللون . ودهش رجل البوليس لحظة ، ثم انحنى وشم المسحوق ، وكان « مسحوق الفوسفات »

وفكر الضابط بسرعة . فهناك مجموعة مجهولة من مشعلى الحرائق أثارت الرعب فى المدن المصرية منذ أسابيع ، وكثيرا ماكان سبب الحرائق هو : « الفوسفات » . وكانت العمليات تشكل لغزا امام البوليس المصرى : فقد تشتعل قنبلة فى صندوق بريد ، او يشتعل حريق فى دار

سينما أو فى مكتبة عامة . وتوصل البوليس إلى أن الجرائم كلها ليست موجهة إلى أفراد معينين ، وإنما يقصد بها (أشياء) معينة ، وهذه (الأشياء) موجودة دائما فى الممتلكات الأمريكية او البريطانية . ولذلك كان أغلب ظن البوليس ان مشعلى الحرائق إما شيوعيون أو من الاخوان المسلمين . وكانت سينما ريو من أملاك رجل أمريكى ، ولذلك فقد ثارت الشكوك فى نفس الضابط المصرى ، حين حاول الشاب أن ينفض التراب عن ملابسه متعللاً بأنه فى حالة حسنة ، وأنه لم يفقد شيئاً ، وقال بسرعة ، ان والده طبيب وسيعالج حروقه . لكن الضابط لم يتركه ، بل ذهب إلى أقرب قسم للشرطة .

وسُرعان ما اتضح أن الضابط قد عثر على عملية كبيرة . فالشاب الذى حاول إشعال النار فى السينما يدعى « فيليب ناتانسون » وهو مولود فى الاسكندرية من أبوين يهوديين ثريين من فيينا ، وعمره لا يتجاوز التاسعة عشرة عاما ، ويتبع « منظمة الشبيبة الصهيونية » . وأثناء تفتيش منزله عثرالبوليس على رسائل وصور ، واعترف الشاب أنه ينتمى إلى « جماعة تخريبية » وأنه مكلف بإشعال النار فى سينما « ريو » ولكن النار سبقته . وتحت الضرب اعترف الشاب بأكثر من ذلك . اعترف بأنه ينتمى إلى جماعة عملاء اسرائيليين تتلقى أوامرها من المقر الرئيسى فى تل أبيب ومهمتها : القيام بعمليات « ارهابية »

وفى ليلة ٢٣ يوليه (تموز) صدر الأمر بالقاء القبض على هذه الجماعة فى مصر ، بتعاون البوليس فى القاهرة والاسكندرية . وتم القبض فعلا فى الساعة الرابعة صباحا على « فيكتور ليفى » و« روبرت داسا » وحتى أول اغسطس (آب) كان أحد عشر عضوا فى المنظمة قد وقع فى أيدى البوليس المصرى .

وفى ١١ ديسمبر عام ١٩٥٤ بدأت محاكمة الجواسيس . وفى اليوم التالى وصف رئيس الوزراء الاسرائيلى « موشى شاريت» المحاكمة بأنها « مسرحية هزلية » ، وهى « ستار دنىء قذر لاجلاء اليهود عن مصر »

وكان « شاريت » غاضبا بحق ، فقد كان يعتقد أن المصريين قاموا بتزوير الأدلة التى تدين المتهمين اليهود . لكن رئيس الحكومة

الاسرائيلية لم يكن يعلم أن المخابرات الاسرائيلية أرادت نشر الارهاب فى مصر ، وبكلمة أدق ، ان قسما من المخابرات وهو « أمان » أو المخابرات العسكرية هو الذى قام بذلك ، وحتى رئيس الموساد نفسه «عيزر هاريل » لم يكن يعلم عن نشاط « أمان » المستقل شيئا واتسع نطاق العملية ليصبح « فضيحة »[1] ، مازالت تصم اسرائيل حتى الآن .

فهى ليست مجرد عملية شاملة فاشلة ، كما يحدث لكل أجهزة المخابرات فى العالم . وليست خطأ فى التنفيذ ، بحيث يمكن للمرء بعده أن يتابع نظامه اليومى المعتاد ، بل هى **كارثة قومية** . وقد كتب أحد الصحفيين الاسرائيليين مرة بأنها « خطيئة متوارثة » قامت بها الدولة اليهودية حين نشرت عمليات الارهاب فى مصر ، وقال « ان اسرائيل فقدت بها براءتها إلى الأبد » وأدرك السياسيون فى اسرائيل ، إلى أين يمكن أن يدفع جهاز المخابرات السرية ، الدولة ، إذا لم تحكم عليه الرقابة .

أما نتيجة المحاكمة فى مصر ، فكانت الحكم باعدام اثنين من الجواسيس ، وانتحر آخر ، وحكم على الباقين بالسجن والتعذيب . أما فى اسرائيل فكانت سقوط الحكومة وانقسام أكبر أحزاب اسرائيل « ماباى » وانسحاب دافيد بن جوريون ، من السياسة إلى الحياة الخاصة ، إلى الأبد .

* * *

الجاسوس
روبرت داسّـا :

قال الجاسوس السابق ، الذى مكث ١٤ سنة فى السجون المصرية : « كانت فكرة مجنونة ، ولكننا صدقناها » .

---

(١) عرفت هذه الفضيحة دوليا فعلا باسم « فضيحة لافون » نسبة الى وزير الدفاع الاسرائيلى « آنذاك » .

حين ذهبنا إلى بيتـه فى « بتاح تيكـوا » عند ضـواحى تل أبيب ، وجـدنـا زوجتـه وأبنـاءه ، وعـلى الجـدران علقت صــور عن الفن الحديث ، ولم نجد ما يذكـر بأيـام السجن فى مصر . لست أدرى ما كنت أنتظر هنا ، ولكن ، ليس ما رأيته بالتأكيـد . فقد وجـدت خبير المفرقعات السـابق وعضو المنـظمة الإرهـابية أبـا عاديـا رياضيـا ، بالاضافة إلى أنه (بدا) « حمامـة سلام » فقـد تحدث عن الرئيس المصرى ، أنور السادات ، وإعجابه الشديد به ، ومعاهدة السلام ، كما تحدث عن (الصداقة) بين الشعبين [!!] .

« وروبرت داسًا » يكتب الأخبار باللغة العربية فى التليفزيون الاسرائيلى . ويبدو أنه نسى تلك الأيام فى الاسكندرية والعمليات السرية والقبض عليه والسجن الطويل . لكنه لم ينس فى الواقع . فقد نهض فجأة وأتى بسجلّى صور ، مليئين بصور له ، مع والديه فى الاسكندرية ومع زملائه فى المدرسة وفى السجن وأثناء تدريبه على كرة السلة فى حوش سجن « طره » بالقرب من القاهرة .

وبدأ داسًا يتحدث ويروى قصة حياته إلى أن أصبح جاسوسا . ولد « روبرت داسًا » عام ١٩٣٢ فى الاسكندرية . وكان الأبن الثالث (بين خمسة أبناء) لأب تاجر فى المدينة . وكان والده قد ولد أيضا فى الاسكندرية ، حيث هاجرت أسرته من اليمن إلى فلسطين ، واستوطنت فى مصر . أما والدته فقد ولدت فى القدس ، وأتت إلى الاسكندرية أثناء الحرب العالية الأولى . وكان والداه يملكان دكانا صغيرا للخرداوات فى الحى القديم فى المدينة .

كبر « روبرت » فى بلد عربى وتعلم اللغة العربية ، لكن معظم زملائه المقربين إليه كانوا أولاد يهود . وكان عدد اليهود فى « الحى اليهودى » فى الاسكندرية يصل الى حوالى ٨٠ ألف يهودى ، وكان ذلك فى الأربعينات . وكان يسمح لهذه الاقلية بكل شىء . فكان اليهود يبنون أديرتهم ويقيمون طقوسهم فيها ، وكان يسمح لهم باللقاء فى نواديهم

وكان المصريون يتكلمون عن هؤلاء الأغراب فى بلادهم بشيء من الاحترام ، وكانوا يلقبونهم « بالخواجات » .

لكن هؤلاء « الخواجات » كان لهم أحلامهم ، وهى اسرائيل ، دولة اليهود . ولو أن معظمهم لم يكن يتوقع تحقيق هذه الأحلام . وحين كان « روبرت » فى مدرسة صهيونية تابعة لرئيس (حبـر) الأحبار فى الاسكندرية ، كان يعود الى البيت وهو يتحدث باعجاب شديد عن قرب نشوء دولة اليهود ، لكن والديه كانا يسخران منه، بل كانا يمنعانه من الاشتراك فى اجتماعات الصبية اليهودية الدورية « الصهيونية » لكن الصبى كان متحمسا للصهيونية بشدة ، وأصبح عضوا فى منظمة « الشبيبة الصهيونية » عام ١٩٤٧ ، ولم تكن قد حظر نشاطها فى مصر بعد . وكان هناك خط سكك حديدية بين مصر وبين فلسطين الواقعة تحت الانتذاب البريطانى ، فكان المصريون يقضون الصيف فى القدس ، بينما يقضى يهود القدس إجازاتهم فى الاسكندرية ، وكانت التجارة متبادلة .

لكن هذا الوضع تغير ، بعد أن أعلنت دولة اسرائيل فى ١٥ مايو (ايار) عام ١٩٤٨ . واعتبر العرب ذلك تحديا وبدأت الحرب . وفى نفس اليوم انتشر البوليس المصرى فى كل مدن مصر الكبيرة وألقوا القبض على من يقوم بنشاط سياسى من الصهاينة ، بما فيهم الشبيبة أمثال « روبرت داسّا » .

وأطلق سراح « داسّا » بعد أيام قليلة وعمل فى احدى شركات الاستيراد والتصدير التى يملكها أحد اليهود . وكان « داسا » يقوم بكتابة مكاتبات الشركة باللغة العربية .

ولم يهمل « داسا » لقاءاته مع أصدقائه فى « منظمة الشبيبة » المحظورة الآن . فكان عليهم أن يلتقوا سرا ، ولكنهم لم يكونوا خائفين ، لأن المصريين لم يكونوا (يعاملونهم بسوء) حتى بعد أن خسروا الحرب ضد اسرائيل .

ولم يتغير الوضع كثيرا بعد قيام الثورة فى عام ١٩٥٢ ضد الملك فاروق . وكان « محمد نجيب » أقوى رجل فى البلاد ، قبل أن يتسلمه

جمال عبدالناصر السلطة ، قد زار أحد المعابد اليهودية علنا ، حتى لا يعلن عداءه لليهود .

فى عام ١٩٥٢ التقى « داسّا » برجل يدعى « دارلنج » . وفحص « دار لنج » مبادىء وحوافز داسا الصهيونية ساعات طويلة وسأله عن حياته بالتفصيل ، ثم عرّفه بنفسه . فهو « عميل اسرائيلى مجند » وكلف « دار لنج » داسا بأن يكوّن « خلية » مع باقى زملائه ولم يكن هناك « مخطط مرسوم » أو حتى مخطط واضح بعد ، ليبين متى يقوم هؤلاء باعمالهم الإرهابية .

وكوّن « داسا » الخلية التى لم يكن فيها إلا شباب مثله ، لا يعرفون عن مهمة المخابرات السرية إلا تحمسهم الشديد لاسرائيل . وأعجب داسا « بلعبة التجسس » التى يمارسها وكان يرتب اللقاءات السرية على خريطة المدينة ، وينظم « الاجتماعات الهامة » .

فى عام ١٩٥٣ واجهت دولة اسرائيل أول وأعنف أزمة مرت بها ، حين انسحب رئيس الوزراء ، الذى يعتبر « ابا الدولة » ، وأكبر الشخصيات السياسية الاسرائيلية مكانة ، وهو دافيد بن جوريون ، من الحياة السياسية ، بعد أن ملّ الدسائس فى حزبه ، والصراعات الجانبية والإهانات الشخصية .

أراد « بن جوريون » الابتعاد لمدة عامين أو ثلاثة أعوام عن هذا « العمل الكريه » وذهب إلى « المزرعة الجماعية « سْدى بوكر » فى صحراء النقب ، ليزرع الطماطم كما قال . ولكنه قبل أن ينصرف إلى الزراعة كلية ، استخدم كل إمكانياته السياسية وتجربته وعين عددا من المسئولين فى مواقع سياسية هامة .

فقد عين « بنشاز لافون » وزيرا للدفاع ، و« شيمون بيريز » مديرا عاما لوزارة الدفاع ، و « موشى ديان » قائدا أعلى للجيش ، و« عيزر هاريل » رئيسا للموساد . ورغم أنه كان من المتوقع أن يكون « ليفى إشكول » رئيسا للوزارة ، إلا أن « موشى شاريت » هو الذى تولى المنصب ، وهو معروف بانحيازه للتفاهم مع العرب .

لكن هذه « النخبة » الساسية ـ كما تخيلها « بن جوريون » العجوز ، لم تصمد طويلا فقد أصبحت المزرعة ملاذا لكل الوزراء ، الذين كان منهم من يتملق الرئيس السابق ، أو من ينشد عنده النصيحة .

وكان « ديان » و« بيريز » يشتكيان طوال الوقت من « لافون » « المحب للسلام » والذى لا يتمتع بحب من يعمل معه ، لأنه ينادى دائما بالتفاهم مع العرب ، ولا يوافق على المهمات العسكرية الكبيرة ، بينما يشتكى « هاريل » من أن « أمان » ، فرع المخابرات العسكرية لا يريد أن يأتمر باوامر « هاريل » بل يقوم بأعمال عسكرية على مسئوليته الخاصة .

وذكر « عيزر هاريل » اسم الرجل الذى يسبب له كل هذه الصعوبات ، وهو « بنجامين جيبلى » . وكان « جيبلى » فى أول حياته ضابطاً طموحاً وقد بدأ التجسس لحساب شاى وهو فى الخامسة والعشرين من عمره

وكانت « شاى » منبثقة عن المخابرات السرية للجيش اليهودى السرى (هاجاناه) فى فلسطين المحتلة . وفى عام ١٩٤٨ أصبح حاكما لمدينة القدس ، وكان أحد القضاة الذين حاكموا ضابط المخابرات « مائير توبيانسكى » ، وأعدمه ظلما .

وفى عام ١٩٤٩ أصبح نائبا لرئيس « أمان » ثم سافر إلى انجلترا وأمريكا ليتابع تدريبه وتعليمه . وبعد عودته أصبح رئيسا للمخابرات العسكرية . وقرر أن يصبح قائدا للجيش ليحارب عدوه الأكبر ، مصر ، ويهزمها !

وأثناء فترة رئاسته « لأمان » حاول بكل الطرق تكثيف حملته العدائية لمصر . وحين كلف « بن جوريون » عام ١٩٥٣ « عيزر هاريل » برئاسة كل أجهزة المخابرات كان هذا ضربة قاضية « لجيبلى » ، فهو لن يرضخ لأوامر « هاريل »

وخطط « جيبلى » لتكوين مايشبه (الوحدة ١٣١) التى قادت حرب

(الاستقلال) وقامت بالأعمال التخريبية والعنف على الجبهة (المعادية) ضد مصر .

وأرسل « ابراهام دار » الى القاهرة ، وهو رجل مخابرات متمرس ، تحت اسم « دارلنج » ، كما جاء فى جواز سفره البريطانى المزور ، حيث كون فى القاهرة خليتّى مخابرات سرية .

وكان يرأس إحدى الخليتين طبيب تونسى يهودى هو د . « مويشى مرزوق » ، ويعمل جراحا فى « المستشفى الاسرائيلى » فى القاهرة وكان يرأس الخلية الثانية فى الاسكندرية المدرس « سامى عازار » وكانت « فيكتورين نينيو » وتسمى « مارسيل » هى التى تقوم بالاتصال بين الخليتين ، وهى فتاة رياضية جميلة ، وهى أيضا ابنة عائلة كبيرة فى القاهرة .

كان على العملاء الاسرائيليين ، الذين لا يعملون لحساب الموساد ، ولكن لحساب « أمان » أن يتجسسوا على الجيش المصرى . لكن العملاء ـ الهواة ـ كانوا كثيرا ماينسون أوراقا » هامة وصورا ومواد أخرى فى المقاهى العامة أو فى أماكن انتظار السيارات ، ويتواعدون على اللقاء فى أماكن لا تصلح أصلا لاجتماعات على هذا المستوى من السرية . وكانت المعلومات التى تورّدها الخليتان « لأمان » لا تساوى أية أهمية .

ولكن « جيبلى » رئيس « أمان » لم ييأس . وأرسل فى طلب خمسة من العملاء الى اسرائيل عن طريق باريس ، لتدريبهم تدريبا خاصا . وفى بيت صغير فى يافا ، دربت العميلة « راشيل » العملاء ، على التعامل مع المتفجرات ، والكتابة بالحبر السرى ، واستعمال الشفرة ، وفك رموزها ، واستخدام جهاز الارسال الصغير ، واستعمال الكاميرات الصغيرة . وقد تدرب « روبرت داسّا » فى يافا ، وقد تخصص فى صنع القنبلة اليدوية والارسال .

وقد جهزت « راشيل » العملاء الخمسة بأجهزة إذاعة وشفرة سرية ومواد متفجرة ، وأرسلتهم إلى مصر . وتأكد« جيبلى » أن فرقته التى

دربها قادرة على القيام بأعمال كبيرة . لكن السياسة فى اسرائيل تبدو (أسوأ) من أى وقت مضى : فرئيس الوزراء « شاريت » ، ووزير الدفاع « لافون » مايزالان يريدان التفاهم مع العرب . وقد وصل الأمر أن كتب « شاريت » رسائل الى جمال عبدالناصر ، الذى استلم السلطة من « محمد نجيب » فى فبراير عام ١٩٥٤ ، وهنا فكر « جيبلى » فى الاعتماد على السياسة الدولية .

كان لجمال عبدالناصر علاقات طيبة مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، ولذلك أبلغهم فى واشنطن ، أنهلن ينضمإلى حلف الدفاع المشترك مع العراق وتركيا ، طالما توجد قوات بريطانية مكونة من ٨٠ ألف جندى بريطانى على الأراضى المصرية ، فى منطقة القناة . وكان « دالاس » وزير الخارجية الأمريكية يقيم وزنا كبيرا للتحالف مع مصر . ولذلك فقد مارست الحكومة الأمريكية الضغط على لندن ، وطلبت انسحاب القوات البريطانية من مصر . واستجابت حكومة « تشرشل » البريطانية ، بشرط ان يحتفظ البريطانيون بحقهم فى استخدام قواعدهم العسكرية . وتحت هذا الشرط فقط يمكن أن تنسحب القوات البريطانية .

وصلت أنباء هذا الاتفاق السرى الى اسرائيل فى مايو (آيار) عام ١٩٥٤ ، وأحدثت قلقا كبيرا فى الأوساط العسكرية ـ بل خوفا شديدا . وتساءلوا ، كيف يخضع الأمريكان لضغط الوطنيين المصريين ؟ هل يريد الأمريكان أن يتحولوا إلى مصر بدلا من اسرائيل ؟ هل ستحشد مصر قواتها هناك ضد اسرائيل ؟ وكيف يمكن اقناع البريطانيين بالبقاء على قناة السويس ؟

إن لدى « جيبلى » خطة وهو يعرف مقدما أن « الحمائم » الذين هم على رأس الدولة لن يوافقوا عليها ، فهو سينشر الارهاب والعنف ضد الممتلكات البريطانية والأمريكية فى مصر ـ ويمكنه ان يدمر بالقنابل دور السينما والبيوت الأمريكية ، بحيث يبدو أن المعارضة الدينية القوية هى التى فعلت ذلك . وتكون النتيجة ، أن يدرك الأمريكان

والبريطانيين ، أن ثقتهم فى جمال عبدالناصر لم تكن فى محلها ، وبناء على ذلك فهم سيوقفون إجراءات الانسحاب .

وقد كان الحظ فى ركاب رئيس « أمان » فرئيس الموساد « عيزر هاريل » مسافر فى مهمة سرية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبذلك لن يكون « جيبلى » مضطرا لابلاغه عن مخططه . ونوى « جيبلى » أن يعمل على مسئوليته ولحسابه . فأعطى « الضوء الأخضر » للقيام بعمليات ارهابية فى مصر وسمى هذه الحركة « عملية سوزانا » بقى عليه فقط أن يختار من الذى سيقود العملية . فالعملاء فى مصر لم يعودوا عودا أخضر ،ولكنهم أيضا لم يصبحوا مهرة محترفين بعد . وتوصل دارلنج الى الرجل المناسب فأبلغ أمان . وهذا الرجل المناسب

كان زميلا لـ « دار لنج » فى الحرب ، ويعيش منذ بضعة شهور فى مصر ، وهو : « أفرى ايلاد » و« ايلاد » اسرائيلى ، عيناه زرقاوان، وشعره أصفر أشقر ، وهو ابن رجل نمسوى اشتراكى ، هرب قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية مباشرة وهاجر إلى فلسطين ، وشارك فى الحركة السرية هناك ، وكان يقود عمليات التخريب التى تقوم بها « هاجاناه » وبعد تشكيل الدولة اليهودية اصبح ضابطا ثم مديرا لمدرسة مدفعية اسرائيلية ، ورغم ذلك فهو لم يكن يحب الجيش ، فتركه عام ١٩٥٠ وعمل فى إحدى مصانع السيارات . وفى عام ١٩٥٢ انضم الى ء«أملن » ، حيث رحبوا به بسبب شكله الأوربى الذى لن يلفت النظـر ، إذا ما أرسلوه إلى االبلاد الأوربية .

فى عام ١٩٥٣ سافر إلى ألمانيا فى مهمة خاصة . وهناك وجد بيانات شخصية فى ملفات الجيش الألمانى لضابط برتبة رائد . وكان هذا الرائد واسمه بول فرانك ، قد مات فى إحدى العمليات فى فلسطين عام ١٩٤٢ وقرر ايلاد أن يستمر فى دور المتوفى .

استطاع « ايلاد » الحصول على شهادة وجواز سفر باسم فرانك ، وعلى شهادة تعميد مسيحية ، وتم ذلك بفضل الاتصالات الاسرائيلية الحسنة بالسلطات الألمانية ، كما ساعدت وظيفته الجديدة فى إحدى الشركات الألمانية على اكمال تنكره .

وساعدته الظروف أكثر ، حين تعرف على سفير ألمانيا فى مصر ، على السفينة التى استقلها من جنوا إلى الاسكندرية ، ودعاه إلى حفلة كوكتيل تقيمها السفارة ، وكان هذا بداية مسيرته الناجحة فى المجتمع الراقى المصرى .

وفى يوم ٢٥ مايو (ايار) عام ١٩٥٤ تلقى « فرانك ـ ايلاد » برقية عاجلة من المركز الرئيسى للموساد ، أبلغوه فيها أن عليه أن يتواجد فى باريس فى اليوم التالى . وفى مقهى « سان جيرمان » أبلغه رسول « جيبلى » أوامر القيادة ، وهى تقضى بأن « يتسلم » إيلاد » خلايا « أمان » الموجودة فى القاهرة والاسكندرية ، وأن يبحث عن أهداف لتخريبها . أما باقى التفاصيل والتعليمات ، فسيتلقاها « إيلاد » من خلال برنامج المرأة اليوم « لربة البيت » ، الذى يذاع من الاذاعة الاسرائيلية .

لم يتحمس « ايلاد » لفكرة رئيسه . فهو يجب أن يعمل بمفرده ، ولا يرحب بالعمل المشترك ، وهو يريد أن يطارد النازيين ، لا أن يقوم بأعمال ارهابية ، لايرى فيها أى معنى ، أو جدوى ، ولكنه رضخ للأمر فى النهاية ، دون أن يعلم أن « عملية سوزانا » لم يوافق عليها رئيس الموساد ولا القيادة السياسية فى الدولة .

فى يوم ٣١ يونيه (حزيران) بدأ « ايلاد » اتصالاته بالجواسيس الاسرائيلية فى القاهرة والاسكندرية . وأبلغهم بخطة « أمان » واعترى القلق الكثيريين منهم . لكن « فرانك ـ ايلاد » لفت نظرهم إلى أنهم مثل أى جندى اسرائيلى يتلقى الأوامر من القيادة وعليه أن ينفذها ولذلك بدأوا يخططون لعمليات التخريب القادمة ، فاقترحوا ضرب المبانى العامة أولا ، ثم التركيز على ممتلكات البريطانيين والأمريكان فى مصر ، كما دربهم خبير المفرقعات « روبرت داسّا » على استعمال الفوسفات فى الحرائق ، واخفائه فى « جراب » النظارة .

وأبلغ « ايلاد » القيادة فى أول يوليه « تموز » بأن أعضاء الشبكتين جاهزين . وبدأت حرب « جيبلى » السرية ضد مصر فى ذلك اليوم أيضا ، حيث أعطى أوامره « بالضرب » فى خلال الـ٤٨ ساعة القادمة ،

من خلال برنامج « المرأة » اليومى ، الصادر من اذاعة تل أبيب .

فى ٢ يوليه (تموز) عام ١٩٥٤ ألقى روبرت داسا فى الساعة العاشرة صباحا مع اثنين من زملائه طرودا تحتوى على مفرقعات فى ثلاثة من صناديق البريد الموجودة فى ميدان الاسماعيلية فى الاسكندرية بالقرب من مركز البريد العمومى .

وقبل الثانية عشرة ظهرا امتلأ المكان بدخان كثيف صادر من صناديق البريد ، اذ أن القنابل لم تنفجر ، ولكن البريد اليومى احترق كله .

فى يوم ١٠ يوليه « تموز » ١٩٥٤ فى الساعة التاسعة صباحا أذاع صوت اسرائيل فى برنامج المرأة كيفية صنع « الجاتوه الانجليزى » وفهم العملاء الأمر ، بأن يوجهوا ضرباتهم الآن إلى الممتلكات الانجليزية والأمريكية .

فى يوم ١٤ يوليه « تموز » عام ١٩٥٤ أشعل رجال « ايلاد » قنبلة فى « المكتبة الأمريكية » فى شارع الشيخ « بركات » بالقاهرة . انفجرت القنبلة وتطايرت شظايا زجاج النوافذ وتهدمت الجدران واحترقت الكتب ولم يصب أحد بأذى . وجرى نفس الحادث فى « البيت الأمريكى » فى شارع فؤاد بالاسكندرية .

فى يوم ٢٣ يوليه (تموز) فى السابعة مساء أشعل روبرت داسا وأحد زملائه حرائق فى سينما ريفولى وسينما راديو بالقاهرة ، وكلاهما من الممتلكات الانجليزية ، وكانتا تعرضان أفلاما انجليزية ، أما فى الاسكندرية ، فقد قبض على شاب « فيليب ناتانسون » حين فشل فى احراق سينما « ريو » ، واحترقت سترته ، وكان هذا بداية إمساك خيط المؤامرة .

كان البوليس المصرى يعمل بشكل فعال ومنظم ، ليتأكد من الشكوك التى أثيرت ، أنه يوجد بين صفوف الاسرائيليين عميل مزدوج . وكان

الجاسوس الوحيد الذى لم يلق البوليس المصرى القبض عليه هو قائد « عملية سوزانا » : « بول فرانك أو افرى ـ ايلاد »[1]

* *

قال روبرت داسا فى اعترافاته (لـــى) ، أن الساعات الأولى كانت أسوأ مامر عليه . فقد كانت هى الصدمة الأولى ، التى أدرك معها أن كل شىء قد انتهى . ثم ترامى إليه نبأ القبض على والديه أيضا ، ثم ضرب رجال البوليس له ، ليعترف .

واستطاع ان يتحمل ويصمد نصف ساعة ، ثم ساعتين ، ثم أربع ساعات . وظل يردد قصته ، أنه قابل فتاة وأخذها معه إلى السينما ، ولا يعرف أى شىء عن أى شىء . وعندما اشتد الضرب ووقع من على كرسيه ، سأل رجال البوليس زميله فيكتور ، بعد ذلك ، هل « روبرت داسا » ، انسان أم حيوان . فالانسان لا يمكن أن يتحمل الضرب .

وقال « داسا » (فى اعترافاته) : إن صمته لم يكن عملا بطوليا بأية حال . ولكنه الخوف . فلم يكن يعرف ماذا يجيب المحققين الذين يسألونه . وقال ، إنه قد ولد فى مصر وعاش فيها ، فهل يمكن أن يعترف بأنه يخرب (بلاده) ، أم يقول لهم أن ولاءه خاص بدولة أخرى ، دولة معادية ، هى اسرائيل . وقال ، إن أى شىء كان سيقول ، لم يكن ليثير إلا المتاعب . ولهذا فقد ظل صامتا .

فى الساعة الرابعة صباحا زج البوليس « بروبرت داسا » فى إحدى الزنزانات المليئة بالسكارى . واقفلوا عليه الباب الحديدى . فانتابه احساس مرعب ، بأنهم عزلوه عن العالم كله ،

وتركوه مع روائح السكارى . كانت ثيابه ممزقة ومليئة بالدم الذى كان يسيل من أنفه وأذنيه . وخلع حذاءه ووضع رأسه عليه ونام .

---

(١) يلاحظ ان تفاصيل العمليات كانت عن رواية احد العملاء وهو « داسا » الذى اراد ان يجعل من الجواسيس اليهود فى مصر ، شبابا لا يدرون مايفعلون ، ويتصرفون بسذاجة وبراءة ، ولم يؤذوا أحداً

فى اليوم التالى واجه رجال البوليس « روبرت داسا » بأقوال زملائه « فاعترف » ، بما « اعترف » به زملاؤه ـ بأنهم« خلية شيوعية سرية » تعمل فى مصر وتقوم بأعمال تخريبية .

لكن هذه القصة لم تستمر طويلا . ففى يوم « ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٥٤ بدأت محاكمة المصريين لهم ، على مستوى عال من العناية والدقة . وكانت الأدلة ضد عملاء « أمان » اكثر مما يمكن إنكاره . وقد استطاع المحققون الحصول عليها من العملاء أنفسهم وقد حدث أن الفتاة « مارسيل نينيو » ، التى كانت تقوم بالاتصال بين الشبكتين ، حاولت أن تقفز مرتين من النافذة لتنتحر ، لكنهم كانوا ينقذونها فى كل مرة .

* * *

حين واجه رئيس الوزراء الاسرائيلى « شاريت » رئيس الموساد « عيزر هاريل » بتفاصيل المحاكمة التى تجرى فى القاهرة ، قال ، أنه لم يكن يعرف عن هذا الموضوع شيئا ، لكنه بحث عن « جيبلى » « رئيس أمان » ، الذى تنصل من الاجابة ، وأحال « هاريل » على وزير الدفاع « لافون » الذى « يفترض » انه يعرف .

ولكن ، حين انتحر أحد عملاء اسرائيل فى زنزانته بموس الحلاقة أثناء إجراءات المحاكمة فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥٤ وهو العميل « ماكس بينيت » ، تأكدت القيادة السياسية فى اسرائيل ، أن المصريين لا يخدعونهم ، وأن عمليات التخريب قد حدثت بالفعل ، وأن المخربين قد قاموا بهذه الأعمال « بتكليف » رسمى من اسرائيل . ولكن ، من الذى أعطاهم هذا الأمر ، وكيف حدث أن كلا « الشبكتين » سقطتا معا ؟ وبدأ البحث فى اسرائيل عن المتهم الحقيقى فى هذه « الكارثة » .

كان هناك سياسى واحد يعرف ماحدث ، وذلك منذ يوم ١٩ يوليه (تموز) عام ١٩٥٤ ، وهو القائد العام « موشى ديان » ففى إحدى رحلاته إلى أمريكا تلقى خطابا من « جيبلى » ، يؤكد فيه أن « أمان » أعطت الضوء الأخضر لبدء عمليات التخريب فى مصر .

وخشى « موشى ديان » أن يتورط فى هذا الموضوع ، فطلب من « جيبلى » أن يريه تصريحا كتابيا ، يتضمن « الأمر » بالقيام بهذه العمليات لكن « جيبلى » كذب وراوغ ، وادعى أن « لافون » قد أعطى إليه الأمر ـ شفاهة ـ فى إحدى اجتماعات الموساد الأسبوعية فى وزارة الدفاع ، وبالذات فى يوم ١٦ يونيه (حزيران) .

أنكر وزير الدفاع « لافون » هذه القصة تماما ، فهو لم يسمع من قبل عن « عملية سوزانا » ثم إنه فى يوم ١٦ يونيه (حزيران) لم يعقد أى مؤتمر ، كما يؤكد « لافون » •

وكانت فضيحة (بكل الأبعاد) ، لكنها ظلت فضيحة بين السياسيين . أمام الرأى العام ، فإن الاسرائيليين مصرون على إنكار مسئوليتهم عن الحوادث التى وقعت فى مصر ، وما يزالون يتكلمون عن « تمثيلية المحاكمة المفتعلة » .

ولكن فى يوم ٢٩ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٥٤ بدأت لجنة اسرائيلية سرية التحقيق فى « عملية سوزانا » ، واستدعى رئيس العملية « افرى ايلاد » الى اسرائيل للشهادة . واستطاع « ايلاد » الخروج من مصر بوسائل سرية . وسافر الى باريس . وقبل أن يغادرها إلى تل أبيب ، كان عملاء « أمان » التابعون لجيبلى ، يبحثون عنه ، وطلبوا منه أن يسدى خدمة له ، بأن طلب منه أن « ينسى » كل العمليات التى قام بها فى مصر قبل يوم ١٦ يونيه ، وأن يغير سجلاته اليومية تبعا لذلك . كما أن عليه أن يقول فى تقريره ، الذى يقدمه إلى لجنة التحقيق الاسرائيلية ، أن عبء العمليات لا يقع كله على كاهل« أمـان » بل إن العملاء كثيرا ماكانوا يتصرفون على مسئوليتهم الخاصة .

ووافق « ايلاد » على هذه اللعبة . ووجدت لجنة تقصى الحقائق فى وضع لا يسمح لها بمعرفة الحقائق ، خصوصا وأن « جيبلى »قدم نسخة من الرسائل التى أرسلها إلى « ديان » والتى جاء فيها : « أنه بناء على موافقه لافون ـ فقد صدر الأمر بالبدء فى عملية سوزانا » .

(وقد اعترفت سكرتيرة جيبلى بعد ذلك ، داليا كارميل « أن جملة »

بناء على موافقة لا فون اضيفت الى صورة الرسالة)

وبعد هذه الاجراءات وجدت اللجنة نفسها غير متأكدة من أن « وزير الدفاع قد أصدر الأمر » ، ولكنها فى نفس الوقت لا تريد أن تخلى « لافون » من المسئولية تماما .

فى يوم ٢٧ يناير (كانون الثانى) عام ١٩٥٥ أصدرت محكمة الثورة فى مصر حكمها على الجواسيس العشرة ، وكان بالاعدام على مويش مرزوق وصموئيل عازار ، قائدى الشبكتين ، كما صدر الحكم على ستة متهمين بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وكان منهم « روبرت داسّا » ، وأطلق سراح الاثنين الباقيين لعدم وجود أدلة كافية . ونفذ الحكم بالاعدام فى يوم ٣٠ يناير (كانون الثانى) رغم الاحتجاج الدولى .

استقال « لافون » من وزارة الدفاع فى يوم ٢ فبراير (شباط) ، بينما بقى كولونيل « جيبلى » ، الذى قاد الحرب السرية ضد مصر ، أسبوعين بعد استقالة لافون ، قائدا للجيش ، إلى أن أقاله « بن جوريون » ، الذى عاد من مزرعة الطماطم ، إلى الحكم ليتسلم منصب وزير الدفاع ثم منصب رئيس الوزراء خلفا لشاريت ، الذى سقطت وزارته .

نسى السياسيون الاسرائيليون هذا الموضع ، أو تناسوه . أما بالنسبة للصحافة الاسرائيلية فان « عملية سوزانا » ظلت من الممنوعات الصحفية ، وكان عملاء جيبلى ، مايزالون فى زنزانات منفردة يمضون باقى أيام حياتهم فى السجن فى القاهرة .

وحين سمع « روبرت داسّا » نبأ تقدم القوات الاسرائيلية فى عام ١٩٥٦ على قناة السويس ، وأسر عدد كبير من المصريين ، توقع أن يتم تبادل للأسرى ، وأن يكون هو منهم . لكن تبادل الأسرى تم ، ولكن بدون الجواسيس . فاسرائيل « نسيت » جواسيسها فى البلد المعادى .

لم يسدل كل السياسيين الاسرائيليين الستار على هذه القضية . بل ظل اثنان منهم يبحثان وراءها . أحدهما هو « لافون » الذى استقال عن طيب خاطر ، وأصبح فى خلال سنوات قليلة يحتل، منصبا قويا بارزا

كرئيس لشركة « هيستادروت » . أما الثانى فهو « عيزر هاريل » الذى لم يغفر لرئيس « أمان » أبد هذا التجاوز . وقد استطاع رئيس الموساد مع مرور الوقت أن يضم « أمان » تحت امرته ، ولكن بقيت الحادثة تمثل بالنسبة له ، مادة متفجرة سياسية يمكن ان يستخدمها فى أى وقت(١)

أراد « هاريل » استجواب « ايلاد » مرة ثانية ، لأن أقوال ايلاد أدانته فى المرة الأولى ووضعته موضع الاتهام . وعرف هاريل بطريق الصدفة أن « ايلاد » يقيم فى ألمانيا الاتحادية . وأبلغ عملاء الموساد رئيسهم أن « ايلاد » مايزال ـ كسابق عهده ـ يقوم بأعمال رجل المخابرات النشيط ، حتى أنه كثيرا مايشاهد برفقة الملحق العسكرى المصرى « عثمان نورى » .

وذهل « هاريل » لأنه كان يعلم أن « ايلاد » قد أقيل من المخابرات بعد أحداث مصر .فهل يقوم بعلمية جديدة لفرع « أمان » العسكرى ؟ لكن خلفاء « جيبلى » أكدوا أن اسم « ايلاد » قد شطب من ملفاتهم ، وأن مايفعله فى ألمانيا الآن ، لا يعرفون عنه شيئا .

واكتشف هاريل أن العقيد عثمان نورى كان فى القاهرة أثناء أحداث « عملية سوزانا » ، حين كان « فرانك ـ ايلاد » يدير الشبكة الاسرائيلية ، وكان نورى يعرف بأنه من أحسن ضباط مكافحة التجسس ، فهل استطاع أن « يستقطب » ايلاد حين كان فى مصر ، وهل يكون هذا تفسير لنشاط البوليس المصرى فى الأحداث ؟ وهل كان من المعقول أن يتم ضبط كل أفراد الشبكة الاسرائيلية ، ويظل « ايلاد » أسبوعين فى مصر بعد ذلك ، دون أن يقبض عليه البوليس(٢)

ثم حدث أن توفى والد « ايلاد » فى اكتوبر « تشرين الأول » عام

---

(١) أحسن ماكتب عن هذه العملية ، عملية سوزانا ، والتى عرفت بفضيحة لافون ، هو كتاب : « عملية سوزانا » للكاتب الاسرائيلى « افيزير جولان » وصدر فى نيويورك عن دار نشر « هارپر » و « رو »

(٢) واضافة لهذا ، استطاع « ايلاد » مغادرة مصر دون عقبات تذكر .

١٩٥٧ ، وحضر هو من ألمانيا ، فألقى الموساد القبض عليه فورا . واتهم بأنه عميل مزدوج ، وأنه خان زملاءه فى العملية . وفى محاكمة سرية حكم عليه بالسجن لمدة ١٢ عاما لاتهامه باجراء اتصالات مع المصريين . أما عن عملية سوزانا ، فلم تثبت عليه الأدلة . إلا أن المحاكمة عادت للحديث عن لافون وجيبلى ، واعترف ايلاد بأنه أدلى باعترافات كاذبة بأمر من « بنجامين جيبلى » وأنه قام أيضا بتزوير الأوراق الخاصة بالعملية .

ورأى وزير الدفاع السابق « لافون » أن فرصته قد حانت ، فأوعز الى « بن جوريون » فى عام ١٩٦٠ باستكمال عمل لجنة تقصى الحقائق . لكن « بن جوريون » لم يعد يهتم بالقضية ، فبدأ يماطل لافون ، إلا أن عددا كبيرا من الوزراء اضطروا رئيس الحكومة إلى عقد اللجنة ، فهو لم يعد الرجل القوى فى اسرائيل .

وفى ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٠ أثبتت لجنة أخرى لتقصى الحقائق أن « بنشاز لافون » لم يصدر الأمر لعملية سوزانا ، وبهذا فهو برىء من أية تهمة يمكن أن توجه إليه .

وبالرغم من هذه النتيجة ، فإن « بن جوريون » لم يسند منصبا سياسيا لـ« لافون » ، لأنه خشى أن يصبح لافون بعد عودته السياسية هذه منافسا خطيرا له .

واستطاع بن جوريون أن « يبتز » زملاءه الوزراء بالتهديد بالاستقالة ، مما يمكن أن يؤى إلى انقسام الحزب . فظل فى منصبه عامين كاملين ، حتى انسحب نهائيا من السياسة فى ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ وعاد الى مزرعته فى النقب ، كنتيجة متأخرة لعملية سوزانا . وانقسم حزب « ماباى » على نفسه ، فانفصل « شيمون بيريز » و« موشى ديان » عن الحزب ، وكانا من أشد أنصار بن جوريون ، وكوّنا معاً الحزب المعارض « رافى » .

فى فبراير عام ١٩٦٨ ، بدأت آخر حلقة فى هذه السلسلة « التعيسة » . وكان السجناء الأربعة مايزالون فى سجن القاهرة منذ

١٢ سنة حتى فقدوا الأمل نهائيا فى الخروج ، ولكن الموساد تذكر فجأة ابناءه .

فبعد حرب ١٩٦٧ كان لدى اسرائيل أكثر من ٥ آلاف أسير مصرى ، ويمكن الآن مبادلة الجواسيس بهم ، وكان مع الجواسيس الأربعة (هؤلاء) ، الجاسوس الاسرائيلى الشهير « فولفجانج لوتس » ، الذى تبغى عليه عام ١٩٦٢ .[١]

تمت مبادلة الأسرى بالجواسيس الذين أرسلوا الى إسرائيل عن طريق « جنيف » وكانت هذه هى المرة الأولى التى يطأ فيها هؤلاء الجواسيس أرض اسرائيل ، التى لم يولدوا فيها .

ولكنهم رغم ذلك لم يصبحوا أحرارا . فقد ظلوا عامين كاملين فى عزلة ، ومنع عنهم الاتصال بأحد ، أو التحدث إلى أحد . ثم سمحت الرقابة العسكرية عام ١٩٧٠ : لروبرت داسا وناتانسون وليفى ومارسيل بالحديث فى التليفزيون عما حدث . واهتزت اسرائيل كلها .

وكان أقل هؤلاء معاناة هو « رئيس أمان » السابق « بنجامين جيبلى » المسئول الأول عن العملية . فقد أصبح قائدا للجيش فى

---

(١) كان « فوفجانج لوتس » قد قدم الى القاهرة على انه ضابط نازى ، وانشأ مدرسة لركوب الخيل ، وعقد صداقات مع كبار الضباط فى الجيش المصرى ، ومع العلماء الألمان الذين كانوا يقومون بتنفيذ مشروع صناعة وانتاج الصواريخ والطائرات النفاثة فى مصر ، الذى كان يتبع لوزارة الدفاع المصرية والاستخبارات العسكرية للقوات الجوية . وكان « لوتس » يدعى أنه من الألمان النازيين الذين يكرهون اليهود وساعده على ذلك طول قامته (الجرمانى) وشعره الأشقر . وكان يقوم بأعمال ارهابية ومحاولات اغتيال العلماء الالمان لاجبارهم على ترك المشروع والعودة الى بلادهم ، الى أن اكتشف امره والقى القبض عليه ، بعد أربعين يوماً فقط من اكتشاف الجاسوس الاسرائيلى الكبير أيضاً فى سوريا « ايلى كوهين » الذى كانت الحكومة السورية ما زالت تحاكمه . وكانت مجلة « شتيرن » الألمانية قد قامت بإجراء تحقيق واسع مدعم بالوثائق عنه . لكن المخابرات الاسرائيلية استطاعت منع نشره .

كما حاولت الحكومة الاسرائيلية التشويش على الارسال التليفزيونى العربى بأحدث الوسائل الأمريكية حتى لا يتعرف الشعب الاسرائيلى على فشل المخابرات الاسرائيلية الذى تكرر اخيرا بشكل مخز .

الجبهة الشمالية بعد استقالة بن جوريون ، ثم قائد لواء فى سيناء عام ١٩٥٦ ثم تولى منصب الملحق العسكرى فى كل من لندن و استوكهولم ، وهو اليوم رجل أعمال ، ويشغل مركز « مدير شركة البترول الاسرائيلية شيمين » .

والرجل الذى « صدر » الارهاب الى مصدر يعمل الآن نائبا لرئيس « معهد الصادرات الاسرائيلى »

أما لافون ، فلم يحقق مايريد . فبعد استقالته ، منعه بن جوريون من العودة إلى السياسة . وبعد فترة قصيرة لم يستطع إعادة انتخابه رئيساً لـ « هيستادروت » فانسحب إلى حياته الخاصة ومات عام ١٩٧٢ وهى ممتلىء « بالمرارة لجحود بلاده له » .

مكث « افرى ايلاد » ثمانية أعوام فى سجن الرملة باسرائيل وأطلق سراحه عام ١٩٦٨ ، فسافر إلى أمريكا وأقام فى « لوس انجلوس » ليعمل ويؤلف كتابا ينكر فيه أنه قام بخيانةجهاز المخابرات ويؤكد أن المسئول الأول كان القيادة السياسية العسكرية .

أما « روبرت داسّا » فهو يتألم ، لأن العمليات لم تنجح ، كما أنها لم تؤد الغرض المطلوب منها ـ وهو إبقاء القوات البريطانية على القنال . ويردد ، انهم كانوا صغارا (ومثاليين) ، فصدقوا ماقيل لهم [!] .

أما اليوم فقد كبر . وهو يرحب بالتقارب مع العرب ، ومحاولات السلام ، ويخشى أن تكون طموحات أبناء بلده عائقا يهدد هذه المحاولات ، ويضيف أنه معجب بأنور السادات ، وأنه يعتبره أعظم رجل دولة فى العالم .

وبالرغم من أن هذا الرجل كان يصنع القنابل ليفجرها فى مصر ، فإن الرئيس المصرى أنور السادات سمح له فى يونيه (حزيران) ١٩٧٩ بزيارة أقاربه بالاسكندرية .

مقتل الجرسون :

أنهى رصاص الموساد حياة الجرسون المغربى « أحمد بوكيشى » فى يوم ٢١ يوليو (تموز) ١٩٧٣ فى الساعة العاشرة و٤٥ دقيقة فى الشارع بالقرب من المدينة النرويجية الصغيرة « ليليهامر » .

وكان الاسرائيليون قتلة محترفين تابعين لوحدة كوماندوز . فقد أصابوا بالطلقتين الأوليين معدة الشاب المغربى على بعد مترين فقط ، بمسدساتهم الكاتمة للصوت طراز « بيريتا » ، بينما أصابت الطلقتان الأخريان إذنيه ، بعد أن وقع ، فاخترقتا الجمجمة ، حتى سال السائل الأبيض فوق أرضية الشارع .

وأطلق عليه القاتل الثالث الذى كان فى سيارته رصاصة استقرت فى ظهره . وبلغ عدد الرصاصات ، ستة ، أستقرت فى جسده ، وسبعة رصاصات اخرى مزقته وانطلقت منه .

ولم تدرك السيدة المرافقة له ، زوجته الحامل فى شهورها الأخيرة ، ماحدث . ولم تسمع شيئا إلا « تكتكة » المسدسات الضغيفة ، وشهقة زوجها .

ولما سمعت صوت عجلات السيارة تحتك بالأرض بشدة وتسرع ، أدركت ماحدث . نألقت بنفسها على زوجها ، لكنه كان قد فارق الحياة منذ الرصاصة الأولى .

من الناحية الفنية ، كان هذا العمل بالنسبة لوحدة خاصة ، مهمتها القتل ، عملا كاملا ، لكن الخطأ الوحيد فيه ، أن القتيل لم يكن هو المقصود . فالموساد كان يريد قتل الفلسطينى على حسن سلامه .

* * *

فى صباح ذلك اليوم ٢١ يوليو ١٩٧٣ استيقظ الشاب احمد بوكيشى فى السابعة من نومه مع زوجته . وكان يوم سبت . وبالرغم من أنه ذو شكل وسيم ، فقد واجهت زوجته « كوريل » كثيرا من الكلام لأنه عربى ، ولا يأخذ شيئا فى الحياة مأخذا جديا .

لكن الشاب العربى كان لطيفا معها ومهذبا ، وبعد أن تزوجا ، تغير ، وأصبح أكثر اهتماما بزوجته وبطفله القادم . وترك حياة اللهو التى كان يعيشها ، حيث كان عضوا معروفا فى نادى الديسكو الوحيد فى البلد .

فى ذلك الصباح أوصل زوجته الى المستشفى حيث تعمل ، وذهب هو حيث يقوم بتدريبات الانقاذ التى يمارسها فى أيام اجازته .

وأثناء ذلك جلس فى احدى مقاهى الشارع التابعة لفندق « كرونن » وشرب زجاجة كوكاكولا .

وعلى بعد ثلاثة مؤائد كان يجلس رجل شاب ويطلب فنجانا من القهوة . وكان ينظر إلى أحمد بين الحين والحين من خلف جريدته . كان الرجل عميلا للموساد . وكان يتوخى الحذر والحرص اثناء مراقبته للشاب العربى ، لكنه كان حذرا بلا سبب ، لأن أحمد بوكيشى لم يكن يعلم أصلا ، أن الموساد يراقبه منذ ٢٤ ساعة .

وكان رجال الموساد الذين يلاحقون « على حسن سلامة » المتهم بتدبير حادثة أوليمبياد ميونيخ ، قد تعرفوا على الصورة فقط . وكانوا متأكدين تماما أن « بوكيشى » هو « على حسن » . وزاد من هذا التأكيد علاوة على الشبه الشديد ـ أن بوكيش كان يجلس فى المقهى فى اليوم السابق مع رجـــل يدعـــى كمـال . وهذا الرجل ، الموظف فى السفارة الجزائرية فى جنيف ، كان رجل الاتصال ـ حسب رأى الموساد ـ لمنظمة « ايلول الأسود » التى كان يقودها « على حسن سلامة » . ولكن الرجل الجزائرى لم يأت الى النرويج فى مهمة رسمية ، وإنما كان على خلاف مع زوجته ونصحه البعض بأن يقضى أجازته فى مدينة « ليليهامر » لشدة هدوئها . وحين تحدث إلى الشاب المغربى أحمد ، لم يكن يعرفه من قبل ، وإنما أجرى معه حوارا ، لأنه كان يريد أن يتحدث مع أى شخص باللغة العربية .

وقد غادر أحمد بوكيشى مقهى « كرونن » وسار الى « حمام السباحة » حيث يتمرن . ثم قابل أحد أصدقائه الفرنسيين وكان يدعى هنرى ، وفى الحادية عشرة والنصف ذهب الى مقهى بيرج سنج لينتظر

زوجته هناك . ثم عادا معا .

وقد واجه فريق الموساد لحظة حرجة ، حين ذهب بوكيشى الى حمام السباحة وتحدث الى عدد كبير من الناس . فظن الموساد أنه يدبر عملية ارهابية جديدة « باعتباره على حسن سلامة » . وأعطى العميل الاسرائيلى « مايك » الأوامر بحراسة جميع المداخل . وحصلت العميلة ماريان بسرعة على « مايوه » لتكون الى جانب بوكيشى « سلامة » وهو يتحدث مع « رجل الاتصال » وتبينت انهما يتكلمان الفرنسية .

ولما كان على حسن سلامة يتكلم الفرنسية بطلاقة الى جانب ستة لغات اخرى] فقد اتصل مايك بالرئيس« زفى زامير » الذى سافرا الى النرويج بنفسه ، وأصدر الأمر الى « مايك » بأن يقتل « سلامة » أو (بوكيشى) فى نفس اليوم .

كان بوكيش ابنا بين ستة أبناء لوالد فقير جزائرى ولم يشترك فى حرب الاستقلال التى قادتها المغرب ، لكنه اشترك فى المظاهرات وهو فى الخامسة عشرة من عمره . وكان يكره الحرب ، وكل شكل من أشكال العنف . وترك بلاده الى النرويج وهو فى الثانية والعشرين من عمره . وعمل فى تعليم الكاراتيه ، لكنه لم يحصل على تصريح عمل فتم ترحيله الى هولندا ، ثم الى فرنسا ، فطلب من القنصلية المغربية فى مارسيليا ، إعطاءه بطاقة مغربية ، لأن أمه كانت من المغرب وعاد بالبطاقة الى النرويج ، ليقيم فيها .

(وبعد أن تنقل فى عدة « أماكن للعمل ، سافر أثناءها الى فرنسا ، استقر أخيرا وتزوج)

فى ذلك المساء ، مساء السبت ، أراد أن يذهب مع زوجته الى السينما . ورغم أنها لم تكن محبذة للفكرة بشكل حاد إلا أنها وافقت لارضائه .

وغادرا البيت فى الساعة العاشرة ، واستقلا سيارة باص الى السينما ، دون ان يلاحظا أن رجال الموساد يلاحقونها .

وبعد انتهاء الفيلم أدركا آخر باص ، وبتعتهما سيارة استأجرها

عملاء الموساد ، وجرى اتصال لاسلكى بين هؤلاء وبين العملاء الذين ينتظرون عند محطة الأوتوبيس قرب البيت .

وحين نزل الاثنان ، واختفى الباص ، فقز العملاء من السيارة وأطلقا العيارات النارية من مسدساتهم الكاتمة للصوت .

كانت هذه العملية سببا فى أزمة حدثت فى الموساد ، وكان يمكن لرئيس الموساد ان يخلص من هذه العملية دون ان يمسه اى غبار ، ولكن البوليس النرويجى القى القبض على عميلين هما « دانييل ايرت » « او ايربيل » و « ماريان جلادنيكوف » ، ثم قبض البوليس على اربعة آخرين ، وبذلك ألقى كل أعضاء الفريق فى السجن .

وكان أول من اعترف ، وبسرعة ، هو « دانييل ايرت » وقد دخل هذا العميل بجواز سفر دانماركى . وكان قد عين رئيسا لفرع الموساد فى الدول الاسكندرانية ، تقديرا (لجهوده) فى عملية سرقة السفينة « شيرزبيرج » . لكنه بعد أن القى البوليس القبض عليه ، لم يحتمل الزنزانة ، فهو مصاب بمرض الخوف من الأماكن المغلقة ، وهو مرض كان يكتمه عن المركز الرئيسى . فبعد الليلة الأولى التى قضاها فى السجن ، خرج فورا ليعترف . أن العملية كانت مدبرة ضد الفلسطينى « على حسن سلامة » .

وكانت عملية قام بها الموساد الاسرائيلى ضد « منظمة ايلول الأيود » . وكان الاعتراف مفاجأة للبوليس النرويجى . أفشى « ايرت » اسرار عمله ، فاعترف ، أن رجل الاتصال فى تل أبيب ، يدعى مايك ويمكن مخابرته تليفونيا تحت رقم ٢٥٦٢٣٠ .

فى أول فبراير عام ١٩٧٤ صدر الحكم بالحبس على العميلة « سيلفيا رفائيل » وعلى « ابراهام جيمر » بتهمة الاشتراك فى القتل ، وذلك لمدة خمسة اعوام ونصف . بينما صدر الحكم على ايرت « بخمسة أعوام ، وعلى « ماريان جلادنيكوف » بعامين ونصف وعلى عميل (الأنباء) « زفى شتاينبورج » بعام واحد .

وأطلق سراح رجل الاتصال فى استوكهولم ، ميخائيل دورف . وكان أسوأ من كل هذه الأحكام ، هو رد فعل الرأى العام العالمى ، الذى لفتت

انتباهه هذه القضية . وعانى الموساد كثيرا من جراء فشل هذه العملية . واضطر الاسرائيليون الى الاعتراف بأنهم كانوا مستهترين ، متسرعين ، هواة ، غير محترفين ، حين كانوا يلاحقون عدوهم اللدود على حسن سلامة .

فى كتابه : Hit Team يشرح محرر مجلة « التايم » « دافيد تينين » الأسباب الرئيسية لفشل جهاز المخابرات الاسرائيلية .

أولها ، هو تكوين فريق الكوماندوز، الذى يتألف من مبتدئين بقيادة سيئة . وهو يشكل نقطة ضعف ليست مفهومة ، حين نعرف ان ملاحقة على حسن سلامة لها الأولوية المطلقة فى قائمة الموساد .

ثانيا : زمان ومكان العملية . وكان على العملاء ألا يتلقوا أى أمر بالقتل ، قبل التأكد من هوية الشخص العربى .

وقد تصرف رئيس الموساد تصرفاً خطيراً أهوج ، بعد أن تلقى فى اليوم السابق نبأ اختطاف أشخاص فلسطينيين لطائرة ركاب يابانية ، والتى ردها إلى اتصالات سلامة وهو فى النرويج ، ففكر فى الانتقام ، بدلا من أن يحتفظ بهدوئه .

ثالثاً : عدم وجود العمل المشترك بين الموساد وبين النرويجيين (ويخطىء « تينين » حين يقول أن جهاز المخابرات فى اوسلو كان يعلم على الأقل شيئا عن المخطط) .

تولى أخو أحمد بوكيشى نقل الجثة الى المغرب ، حيث دفن فى تكريم عسكرى كبير . وأصبح بوكيشى فى نظر مختلف الجماعات الفلسطينية ، ثائرا ، وشهيدا ، بين صفوفهم .

وفى حديث للمجلة النرويجية « فيردينز جانج » ، أكد المتحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، محمد وهبى ، فى عام ١٩٧٨ ، أن بوكيشى كان يعمل فى « الوحدة السرية » ، التى تتبع منظمة التحرير ! !

وحيكت الأساطير والحكايات حول رجل لم يعمل يوما فى السياسة ولم يهتم بها . (بل كان يرحب باليهود ، ولايحمل لهم أى احساس بالعداء)

وكان يقضى حياته فى اللهو والنوادى الليلية ، ويغسل الصحون فى الفنادق) .

ولدت ابنة بوكيشى « مليكة » فى سبتمبر ١٩٧٣ ، ومازات والدتها « كوريل » تعمل فى مستشفى ليليهامر .

يوم كيبور و٤٠٠ تحذيرًا لم ينتبه إليها أحد .

فى يوم ٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ ، فى الساعة الواحدة والنصف فى مكتب المتحدث العسكرى فى تل أبيب ، يعقد جنرال الياهو زائيرا ، رئيس الاستخبارات العسكرية (أمان) مؤتمراً صحفياً ، موضوعه :

« الاستعدادات العسكرية المصرية والسورية (المحتملة) ضد اسرائيل » وكان رئيس المخابرات العسكرية متراخياً ، مسترخيا ، شديد الثقة بنفسه . ومايشاع عن الهجوم المرتقب ، ليس صحيحا ، وانما هى خدعة من الرئيس المصرى أنور السادات .

وكان الصحفيون يسجلون الحديث بحماس ، حين اندفع رائد فى الجيش الاسرائيلى الى المكتب ، الى حيث يجلس الجنرال ووضع فى يده برقية مستعجلة ، وقرأها زائيرا ، وأسرع بالخروج (دون كلمة) .

وبينما أخذ الصحفيون يخمنون ما يمكن أن يعنى كل هذا ، كانت صفارات الانذار تعوى فى تل ابيب كلها . وخرج المراسلون ليعرفوا ماحدث ، وكان الجميع يتحدثون عن « عبور الجيش المصرى لقناة السويس فى الساعة الثانية ظهرا ، وبدأت الحرب ضد اسرائيل .

وفى الساعة الرابعة ، حين كان مكتب رئيسة الوزراء (جولدامائير) قد فقد وضوح الرؤية ، وصلت برقية (بالشفرة) من لندن ، أرسلها رئيس الموساد « زفى زامير » تقول :

« **انذار عاجل** فوق العادة . المصريون سيهاجمون اسرائيل اليوم » لا

يمكن أن تكون فضيحة جهاز المخابرات الاسرائيلية اكثر تعرضا للسخرية ، من هذا،فرئيس الموساد يحذر من خطر هجوم (معاد) بعد ساعتين من وقوعه ، ورئيس قسم الاستخبارات العسكرية يحاول أن يقنع المراسلين ، بأنه لن يكون هناك هجوم ، فى الوقت الذى كان العرب فيه ، قد قاموا بالهجوم ، وتقدموا .

هل فقد (مايسمى) أحسن جهاز مخابرات فى العالم . امكانيأته فى التجسس بين يوم وليلة ؟

هل أصبح فشله فى كل المجالات ؟

أم أنه خدع القيادة السياسية الاسرائيلية ؟

(حقيقة) ، ان رئيس الموساد « زفى زامير » لم يعد فى عام ١٩٧٣ قويا كما كان أسلافه ، « عيزر هاريل » و« مائير آميت » ، وقد فقد السيطرة على كثير من فروع الموساد .

ومنذ حرب عام ١٩٦٧ (حرب الأيام الستة) أصبح للمخابرات العسكرية (أمان) الألوية والأسبقية فى كل شىء .

وجنرال « أرون ياريف » الذى أصبح رئيسا (لأمان) منذ عام ١٩٦٨ ، كان يعمل فى حماية الهجرة غير المشروعة قبل تكوين دولة اسرائيل وهو اليوم يقيم اتصالات مع (مطبخ) رئاسة الوزراء ، أحسن مما يقيمها رئيس الموساد(المنطوى) : « زامير » .

وأصبحت الهوة تتسع تدريجيا بين جهاز الموساد وبين « أمان » .

وأصبحت الاستخبارات العسكرية تقوم بعمليات التجسس الواسعة فى الخارج ، بينما اكتفى الموساد بملاحقة (الارهابيين) فى العالم ، وقتلهم . وحين انكشفت فضيحة الموساد فى « ليليهامر »بالنرويج ، سقط الموساد ثانية فى أعين الرأى العام ، وأصبح الموساد حديث الجميع ، فى كل أنحاء العالم ، وهذا أسوأ ما يمكن أن يصيب أى جهاز سرى .

منذ مايو (ايار) عام ١٩٧٣ وكل شىء يدل على ان مصر ستبدأ الهجوم على اسرائيل : فالصور التى التقطتها اسرائيل من الجو تدل

على وجود منشآت دفاعية اضافية على قناة السويس مثل منصات لاسقاط الطائرات

وقد أبلغ عملاء « أمان » هذه الأوضاع الخطيرة المسئولين فى تل أبيب . ولكن الجنرال « الياهو زائيرا » الذى خلف « ياريف » فى منصب رئيس « أمان » ، ضرب بهذه التحذيرات عرض الحائط . فقد حصل زائير على منصبه بسبب علاقته الوثيقة بوزير الدفاع موشى ديان ، لكنه لايملك خبرة فى تقييم الأنباء السرية والاستخبارات . عدا أنه عرف عن زائيرا ، أنه اذا كون رأيا ، فإنه من الصعب التنازل عنه .

واستطاع قائدا الجيش « دافيد العازار » أن يقنع رئاسة الوزارة « بالتحرك » لكن القاهرة لم يصدر عنها الا كلام وخطب قوية ، دون أن يحدث شى ، فقد استجابت اسرائيل . وجشدت قواتها فى « تحريك » كلفها حوالى عشرة ملايين دولار دون جدوى . ثم ان اسرائيل تستبعد أى هجوم عربى ، وذلك يعود لأسباب نفسية . فمنذ حرب الأيام الستة ، تكوّن شعور قوى لدى كثير من الاسرائيليين ، بل لدى القيادات السياسية نفسها ، بالتفوق العظيم على العرب ولم يكن هناك أحد يتوقع أن يقدم السادات الذى يتكلم كثيرا على خطوة الحرب ، ناهيك عن الاعتقاد بأن العرب يملكون امكانيات للحرب ، أصلا . فنصر عام ١٩٦٧ أعطى الشعب اليهودى اليقين الكامل بأنه شعب لا يهزم .

وكان مايخشونه هم (الفدائيون) ، وليس القوات المسلحة . حتى أن الكلام أصبح يعم وينتشر بين أفراد الشعب ، عن انحسار مهمات الدفاع فى اسرائيل ، وحتى أن « موشى ديان » وزير الدفاع طلب فى أغسطس عام ١٩٧٣ ، انقاص ميزانية الدفاع ، لترجيح كفته الانتخابية التى كانت ستجرى فى الشهر التالى .

ورجل الحرب « اريك شارون » كان فى مركزه على جبهة القتال دون حماس . انتظارا للانتخابات القادمة .

كل هذا ، بينما كانت استعدادات العرب للحرب تجرى على أعلى مستوى .

فقد اجتمع الرئيس السادات فى زيارة خاطفة فى ١٢ سبتمبر فى دمشق بالسوريين للتخطيط للهجوم المقبل .

وتراكمت تقارير العملاء الاسرائيليين عن الهجوم القادم فى تل أبيب . وطارت أنباء حشود القوات السورية على الجولان إلى رئيس « أمان » ، بينما أبلغ الضابط الاسرائيلى سيمان ـ توف المركز فى تل أبيب تفاصيل تقدم القوات المصرية .

وفى يوم ٤ أكتوبر أبلغ « الأخ الأكبر » ، جهاز المخابرات الأمريكية CIA عن هذه الحشود . فحتى الأمريكان لم يفتهم مغزى حشد القوات العربية .

لم يبلغ رئيس « أمان » رئيس الموساد ، بشىء . لكن زامير ، رئيس الموساد كان قد تلقى من أحد عملائه تقريرا بافشاء سر خطط المصريين . فكان حتى اسم العملية ، السورية ـ المصرية معروفا لدى رئيس الموساد ، وكان الاسم « عملية بدر » (اشارة الى أول غزوة يقوم بها المسلمون ، والتى أدت بعد ذلك الى فتح مكة .)

أبلغ « زفى زامير » رئيسة الحكومة « جولدامائير » ، ووزير الدفاع « موشى ديان » ماوصل اليه ، لكن كليهما كان يعتمد على رئيس « أمان » زائيرا ، الذى كان يؤكد ، أن أى هجوم هو فى حكم المستحيل وبعد الجدال استقر الرأى على أخذ كلام « زائيرا » مأخذ الثقة والحد وكان يغلب الظن عليهم جميعا ، بأن « المخابرات المصرية » هى ،تى القت الطعم للموساد ، لتمثيلية متقنة ، ليحشد الاسرائيليون قواتهم من جديد ، والتى تكلفهم مبالغ طائلة .

مساء يوم ٤ أكتوبر كُلف « زامير » بالسفر إلى أوربا وجمع معلومات من العواصم الأوربية . وحين أرسل تقريره بعد يومين الى اسرائيل ، كان العرب قد بدأوا هجومهم ، فى يوم كيبور ، وهو واحد من اكبر الأعياد اليهودية .

فى اليوم الأول للحرب ، قتل أكثر من ٥٠٠ جندى اسرائيلى ، وجرح

اكثر من الف عسكرى . وكان هذا العدد يقارب ماسقط طيلة حرب الأيام الستة .

وبعد المحادثات العسكرية المضنية لانقاذ الموقف ، وبعد طلب أمريكا والاتحاد السوفيتي وقف اطلاق النار ، تشكلت فى اسرائيل لجنة استقصاء حقائق ، لمعرفة الأخطاء التى اعترت الاستعدادات للحرب .

وفى أول ابريل عام ١٩٧٤ وضعت اللجنة برئاسة القاضى « شيمون اجرانات » تقريرها الذى جاء فى ٣٢ صفحة .

وفيه تتهم ضعف الاتصال غير المفهوم بين الموساد ، وبين فرع الاستخبارات العسكرية ، المتنافسين ، وتوصى سرعة إقالة « الياهو زائيرا » رئيس أمان ، مع ثلاثة من مديرى الجهاز . بينما تلقى العملاء خارج اسرائيل الشكر ، لارسالهم أكثر من (٤٠٠) دليل وتحذير عن الهجوم المصرى — السورى المرتقب . ولم يأت فى التقرير أى اتهام للقيادة السياسية الاسرائيلية ، ولم يكن هذا بسبب نقص الأدلة ، ولكن :

« رأت اللجنة أن تصرف رئيس الدفاع بعدم ضرورة حشد اية قوات ، كان متوازنا »[1]

---

(١) نشر العميد « شلومو جازيت » مقالا مطولا عام ١٩٨٣ فى صحيفة « معاريف » يشرح عوامل خذلان أجهزة جمع المعلومات فى الموساد .

كما أكد المؤلف « ريتشارد ديكون » المتحيز لاسرائيل ، ان عامل حرب اكتوبر كان من اهم عوامل سقوط الموساد فى نظر الرأى العام العالمى . وذلك فى كتابه « جهاز الاستخبارات السرية الاسرائيلية »

كما يؤكد « شلومو جازيت » خذلان الموساد حتى فى عامل السلام فقال : « كان رجال المخابرات الاسرائيلية ينتظرون حلول عام ١٩٧٨ لأنه موعد مرور ثلاث سنوات على توقيع الاتفاق بين مصر واسرائيل ، والذى اعتبره المصريون اتفاقا لمدة ٣ سنوات . وقرر رجال المخابرات الاسرائيلية بعد الموازنة والتقدير للمواقف المصرية ، أنه من المستحيل توقيع اتفاق وقتى جديد بين مصر واسرائيل فى سيناء بحيث يكون مقبولا لدى الطرفين وحينئذ لن يكون أمام مصر الا الحرب مرة اخرى .

لكن مبادرة السلام التى حدثت فى اواخر عام ١٩٧٧ قلبت حسابات الموساد . وفشل مرة اخرى ، حتى فى التقدير .

لكن الناس فى الشارع الاسرائيلى ، لم يكن هذا رأيهم . فقد كانت الأمهات تصرخ فى موشى ديان ، بأنه المسئول عن قتل أولادهن »

ولم يستطع « بطل حرب الأيام الستة » أن يتخلص أبدا من وصمة يوم كيبور ، طيلة حياته السياسية فيما بعد ، بينما استقالت رئيسة الحكومة « جولدامائير »

لكن هزيمة الجيش الاسرائيلى - التى كادت تكون كاملة - وفضيحة جهاز المخابرات الاسرائيلية قادا الى ولادة السلام فى الشرق الأوسط وهذا ما يمكن ان يكون مدعاة لسخرية التاريخ العالمى .

اذ أنه لولا « يوم كيبور » وانتصار العرب ، واستعادة ثقة المصريين بأنفسهم ، ما جاء السادات الى القدس ، ولولا « يوم كيبور » لظل الاسرائيليون يعيشون فى وهم عجز العرب .

الفصل الخامس

المهام الأخرى للموساد

تحالف المنبوذين ـ الموساد يعمل فى تهريب السلاح

اذا صدقنا التصريحات الاسرائيلية الرسمية ، فاننا نكتشف أن هناك معدات وأسلحة تختفى من على وجه الأرض وتقدر قيمتها بحوالى مليار دولار سنويا .

وهذا تقدير الخبراء العالميين فى « معهد استوكهولم العالمى لأبحاث السلام » عن حصيلة صادرات اسرائيل السنوية من السلاح ، ويقولون ، ان هذا المبلغ ارتفع فى السنوات الخمس الأخيرة إلى ستة أضعاف ولا تظهر هذه المبالغ فى أية احصائية .

أما تفاصيل هذه الصفقات ، فلا يمكن لأحد أن يستدرج الاسرائيليين للحديث عنها ، فيما عدا الاعتراف ، بأن السلاح يصدر الى جهات ما .

وقد قال (لـــى) موظف (كبير) فى وزارة الدفاع « بأن هذه الصادرات هى التى تحافظ على اقتصاد اسرائيل » .

وحين ســـألـت إلى أين تذهب هذه المعدات العسكرية ، أجاب الخبير الاسرائيلى ، وهو يرجو ألا يذكر اسمه :

بأن لدى العملاء (الزبائن) ضمانا من اسرائيل بعدم كشف اسمائهم . وهكذا أصبحت اسرائيل خامس أكبر دولة مصدرة للسلاح فى العالم « بعد الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا » وذلك يتم سرا ، دون علم الرأى العام العالمى .

ويعتمد اقتصاد اسرائيل الآن على مبيعات المدفعية الآلية (اوزى) وقاذفات القنابل المطاردة (كفير) وصواريخ (شافرير) أكثر من اعتمادها على صادراتها من الموالح الحمضيات .

ويأخذ الموساد على عاتقه مهمة (توصيل) السلاح الى (الزبائن) . ويوجد قسم خاص مهمته عقد صفقات الأسلحة . ورجال

الموساد يتولون مناصب هامة فى « الصناعة الحربية الاسرائيلية » واختصارها israel military Industry I M I وصناعات القوات الجوية الاسرائيلية !! واختصارها سقشتم شهقهقش مف مةيعساهشس ش

ويشرف جهاز المخابرات الاسرائيلية (الموساد) على « أمانة » كل العاملين فى هاتين الشركتين الحكومتين . ومعظم صفقات السلاح السرية تتم عبر الشركة الكبرى « كور » فى تل أبيب ، والشركات الصغرى التابعة لها « تاديران » و« ايسكور » و« تالكور » .

ولهذه الشركات مكاتب خاصة للاستعلامات على هامش المؤتمرات الدولية ، فى نيويورك ، ولندن وبروكسل .

وكان المدير العام لشركة « كور » حتى عام ١٩٧٨ هو رئيس الموساد السابق : « مائير أميت » .

وانتاج اسرائيل من السلاح ، يعد من أحسن الانتاجات فى العالم . وبالاضافة إلى المدرعات التى بدأ انتاجها ١٩٧٧ وهو « سوبر ميركافا » فإن « الصناعة الحربية الاسرائيلية » تنتج المسدسات الرشاشة المميزة (اوزى) والتى تستخدمها قوات الأمم المتحدة وفى ١٩٧٧ أيضاً أنتجت المدافع الرشاشة « جليل »

كما أن هذه الشركة تنتج القنابل وصواريخ المدفعية الخفيفة ، والمدافع .

أما « صناعات القوات الجوية » فيعمل فيها أكثر من ١٨ ألف شخص ، وتعتبر بذلك أكبر شركة صناعية فى اسرائيل . وهى تنتج قاذفات القنابل المطاردة (كفير) ، كما تنتج صواريخ الزوارق الحربية (ريشيف) ، وصواريخ السفن الحربية (جبريل) ويصل مداها إلى ٤٠ كيلو مترا .

وهناك مجال هام آخر تعمل فيه اسرائيل هو « الالكترونات الحربية المتطورة » ، من قواعد الرادار إلى الأسوار الألكترونية ، وأنظمة الانذار المبكر ضد الارهابيين ، ومعدات الاستكشافات الليلية . وإلى جانب كل

هذا ، هناك السلاح الذرى السرى ، الذى مايزال يشكل تساؤلات فى العالم ، حول مفاعل « ديمونا » فى صحراء النقب .

ولا يكتم العسكريون الاسرائيليون سر الالحاح على صناعة التسليح فى اسرائيل ، فهى تهدف بالدرجة الأولى إلى تقليل اعتماد اسرائيل على الامدادات الخارجية ، وبالذات الأمريكية ، وهذا يزيد من فرص التحرك السياسى للحكومة الاسرائيلية .

وفى رأى جنرال تال ، مدير أحد « المعاهد الاستراتيجية » فى تل أبيب : « نحن نعرف اليوم (كيف) تنتج أى سلاح نحتاج إليه » .

كما تستطيع اسرائيل اليوم إقامة العلاقات الدولية ، والتعامل بدون ضمير ، مع كل الديكتاتوريين فى العالم ، من أجل أن تبيع كل هذه الأسلحة التى تنتجها .

واسرائيل التى أصبحت فى اعتبار الأمم المتحدة من الدول « المنبوذة » فى العالم ، بسبب سياستها التى تدينها الأمم المتحدة غالبا ، حاولت أن تعقد تحالفا مع الدول المدانة أمام الرأى العام العالمى ، ولذلك فهى تجد دائما مشاكل لامدادها بالسلاح من مصادره العادية ، مثل دولة جنوب افريقيا (العنصرية) .

فاسرائيل ، مثل غيرها من الدول الأعضاء فى هيئة الأمم ، ملزمة بتطبيق قرار حظر توريد السلاح الى الدولة العنصرية فى جنوب افريقيا .

ولكن بالرغم من أن الحكومات الاسرائيلية تعارض دائما ورسميا سياسة التمييز العنصرى استنادا الى أن الشعب اليهودى كان أكثر الشعوب فى التاريخ الحديث تأثيرا بالتفرقة والتمييز العنصرى ، وإنتهاك حقوق الانسان ـ فإن هذه الحكومات تقيم صلات غير رسمية مع دولة جنوب افريقيا ومنذ وقت طويل .

وقد ابتدأت هذه العلاقة منذ منتصف الخمسينات ، حين طلبت اسرائيل اليورانيوم من دولة جنوب افريقيا . لكن الصفقة لم تتم فى ذلك الوقت ، لأن حكومة بريتوريا خشيت أن يعلم الأمريكان خبر هذه الصفقة التى تتم سراً ، بعد أن اشترطت واشنطن أن يتم تصدير

اليورانيوم بناء على موافقة الهيئة الدولية .

ولكن سرعان ماستطاع الاسرائيليون وحكومة بريتوريا الاتفاق على تبادل المصالح .

فقد أمدت حكومة جنوب افريقيا الاسرائيليين بقطع غيار طائرات « الميراج » الفرنسية ، بعد أن فرض الجنرال ديجول الحظر على توريد المعدات الحربية لاسرائيل عام ١٩٦٧ .

ولم يجد الأمريكان فى هذه الصفقة ما يمنع قانونًا . فقد كانوا هم انفسهم يقيمون علاقات سرية مع جنوب افريقيا ، بل وقد اسعدتهم الصفقة الاسرائيلية ، لأن اسرائيل لم تعد مرتبطة بواشنطن فقط فى طلبات التسلح .

فى ربيع عام ١٩٧٥ ذهبت أمريكا إلى أبعد من ذلك ، وذلك حين طلب وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر من الاسرائيليين مساعدة حكومة جنوب افريقيا بقوات مدربة . وكان الجنوب افريقيون فى ذلك الوقت يقاومون الحركة الشعبية التى تدعمها كوبا فى انجولا ، وكان « اجوستينهو نيتو » هو الذى يقود الحركة . ورفض الاسرائيليون تلبية طلب الأمريكان ،

الا أنهم أرسلوا مستشارًا عسكريًا مدربًا على قتال العصابات .

وفى مايو عام ١٩٧٦ قام رئيس الوزراء فى حكومة جنوب افريقيا فى ذلك الوقت ، « جون فورستر » بزيارة اسرائيل ، ووقع اتفاقية تنص على التعاون المشترك فى المجال الاقتصادى والعسكرى ، وتوافق فيها حكومة بريتوريا على تمويل جزء كبير من تطوير السلاح الاسرائيلى . وبالمقابل وعدت حكومة اسرائيل حكومة جنوب افريقيا ، أن يكون لها نصيب من هذا السلاح ، وأن تدرب الخبراء الجنوب افريقيين .

وظل أمر المفاوضات عن العمل المشترك فى مجال الذرة سرياً للغاية وقد عرض « فورستر » امداد اسرائيل باليورانيوم بما يعادل ثلاثة أضعاف الكمية ، التى كانت تستوردها اسرائيل منها منذ عام ١٩٧٠ ، كما عرض صحراء كالاهارى لتكون منطقة لاجراء التجارب

النووية الاسرائيلية . وذلك مقابل بضعة شروط ، منها أن تمد اسرائيل جنوب افريقيا بالعملاء الاسرائيليين حين تبدأ جنوب افريقيا صناعتها النووية ، وأن تبيعها اسرائيل القنبلة الذرية فى حالة قيام ثورة فى الداخل ، أو تعرض جنوب أفريقيا لهجوم خارجى . ووافقت اسرائيل .

وخلال هذه الفترة أرسلت اسرائيل إلى جنوب افريقيا ستة زوارق صواريخ من طراز « ريشيف » ، مجهزة بصواريخ جبرييل ، وبغواصات طوربيد وبجهاز انذار اليكترونى مبكر . وبالمقابل مولت حكومة جنوب افريقيا تطوير « ريشيف » فى اسرائيل ، الذى يصل مداه الى (٧٠٠٠ : ميل بحرى ، وهناك أكثر من ٤٠ أخصائيا من جنوب أفريقيا ينزلون ضيوفاً مستديمين فى ميناء حيفا ، حيث تبنى هذه الزوارق .

وترسل حكومة جنوب افريقيا أيضاً ، المعدن الباهظ الثمن الذى تحتاجه اسرائيل لتغطية مدرعات « ميركافا » الاسرائيلية . كما ترسل اسرائيل الألواح الخاصة التى تحتاجها المدرعات الجنوب افريقية « سينتوريون » ومن بينها ٥٠ مدرعة ، كانت حكومة بريتوريا قد اشترتها من الأردن : وكان يبدو كأنه (تعاون) عسكرى فريد من نوعه ، بين الدول الأعداء : الأردن واسرائيل .

وفى مقابل إرسال اسرائيل لأحدث أجهزة انذار الكترونية لتأمين الحدود ، وأجهزة الانذار المجهزة بالكومبيوتر فى حرب العصابات ، ترسل جنوب أفريقيا الطاقة . فقد وافقت على ارسال ٤٠ ألف طن من الفحم شهريا لاسرائيل ، ووعدت بإمدادها بالبترول من احتياطيها ، إذا فرض عليها الحظر .

(وبعد توقيع معاهد السلام مع مصر عام ١٩٧٩ التى تقضى بتنازل الاسرائيليين عن آبار البترول فى سيناء ، أعطت الولايات المتحدة الأمريكية مثل هذه الضمان لاسرائيل) .

حين أصبح جيمى كارتر رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ، خشى الاسرائيليون أن تعترض أمريكا على صفقات الأسلحة بين اسرائيل

وجنوب أفريقيا ، حفاظاً على « حقوق الانسان » . ولكن حدث بعد ذلك أن كارتر كان يفكر بطريقة مبدأ « النفعية » : فهو يريد أن يحتفظ بيدية نظيفة من حكاية صفقات السلاح هذه ، وفى نفس الوقت لا يريد أن تتعرض حكومة جنوب افريقيا لأى سوء ، وهى موقع هام يحارب الشيوعية ، ويمكن لكارتر أن يتمسك بمبدأ « حقوق الانسان » مرة هنا ، ومرة هناك ، وتبقى اسرائيل تتاجر بالسلاح ، بالنيابة عنه .

وقد أراحت اسرائيل دولة أخرى من الدول المنبوذة ، من بعض مشاكلها ، وهى تايوان .

ففى أواخر عام ١٩٧٩ قرر كارتر إقامة علاقات ديبلوماسية كاملة للولايات المتحدة مع الصين الشعبية . ووقعت تايوان ضحية لهذه العلاقات بعد أن كانت من أقرب أصدقاء الولايات المتحدة فى الشرق الأقصى .

فقد قبلت أمريكا فجأة وجهة نظر الصين ، بأن الجزيرة هى جزء من دولة الصين .

وصرح كارتر بعد بأن الصينيين الوطنيين مايزالون فى حمايته ، ولكن الحكومة الأمريكية لا تستطيع الآن بالطبع أن تفى بوعدها ، بأن تبيع لتايوان ، أسلحة هجومية ، كقاذفات القنابل المطاردة ، أو المدرعات .

وهبت اسرائيل لمساعدة « تايوان » حبا وكرامة . وعرضت على الصين الوطنية (٦٠) قاذفة قنابل مطاردة طراز (كفير سى٢) المسماة بالأسد الصغير ، بما يعادل ٤٠٠ مليون دولار تقريبا . ولكن المؤلم فى الموضوع أن هذه المطاردات مجهزة بمعدات أمريكية ، وقد استعملت أمريكا حقها فى الفيتو بمنع البيع لدول العالم الثالث ، وقد وقع كارتر فى حيرة ، فهو ان لم يستخدم الفيتو ، فإنه سيبدو واضحا أن اسرائيل ستعمل بالنيابة عن أمريكا ، وسيبدو هذا وضعاً صعباً لبكين ، وإذا استخدم الفيتو ، فإن تايوان ستمتعض . وفى يوليو عام ١٩٧٨ وافقت واشنطن على الصفقة .

لم تكن « كفير » هى أول معدات عسكرية تتسلمها تايوان من اسرائيل . فقد باعتها اسرائيل ، صواريخ السفن « جبرييل »

والصواريخ الجوية « شافرير » وبعض هذه المعدات أتاها عن طريق جنوب أفريقيا ، فى مثلث « المنبوذين » وحتى فى مجال التصنيع الذرى حدث تعاون بين اسرائيل والصين الوطنية . وتايوان ، رغم أنها ليست عضوا فى « لجنة الطاقة الذرية العالمية » إلا أنها شديدة الاهتمام بأن تكون ذات يوم مالكة للسلاح الذرى .

وهناك مبيعات سلاح أخرى تمت عن طريق مكاتب البيع السرية التابعة للموساد فى نيويورك وجنيف وبروكسل ، وقد أثارت غضب الأمريكان وسخطهم . فحين رأى جيمى كارتر فى عام ١٩٧٨ أن ديكتاتور نيكاراجوا « سوموزا » قد تجاوز حدوده ، ولم يعد بالامكان ايقافه ، منعت ا مريكا عنه السلاح ، فما كان من اسرائيل ، إلا أن هبت لنجدته . فأرسلت اليه المسدسات الرشاسة (اوزى) وطائرات النقل (أرافا) وأطالت بهذا فترة حمام الدم الذى فجرته الحرب الأهلية .

وكذلك أمدت اسرائيل اليونان بأسلحة الكترونية ، حين رفضت الولايات المتحدة ، وكذلك أرسلت الى شيلى صواريخ « شافرير » وتحدث واشنطن التى حظرت ارسال السلاح إلى النظام الفاشى فى سانتياجو عام ١٩٧٨ .

وأرسلت اسرائيل السلاح الى السلفادور (٢٢ آرافا ، طائرات نقل ، و١٨ طائرة مقاتلة و٢٠٠ مدفع) كما باعت لجواتيمالا (٢٠ آرافا) ، بالرغم من أن الولايات المتحدة أرادت منع ارسال معدات عسكرية للمناطق المتوترة فى أمريكا اللاتينية .

وقد لاحظ الأمريكان ، كيف (يلف) الاسرائيليون حول قرارات المقاطعة الأمريكية ، حين أرسلوا عام ١٩٧٩ الطائرات الهليكوبتر لقتال الوطنيين فى روديسيا ، وهذه الطائرات مصنوعة فى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، فاضطر الأمريكان لأن يتدخلوا ، وأعلن مجلس الشيوخ الأمريكى بأنه سيتحقق ما اذا كانت اسرائيل قد تجاوزت حقها فى امداد جمهورية الموز (هندوراس) بـ١٢ طائرة مقاتلة طراز « سوبر

ميستير » . وقد جهز الاسرائيليون هذه الطائرات التى يبلغ عمرها عشرين عاما بموتورات جديدة ، مصنوعة لدى الشركة الأمريكية « برات وواينتينى » . وبهذا أصبحت الصفقة واجبهة النفاذ فى نظر الأمريكان إلا أنهم استطاعوا ايقاف تنفيذ صفقة سلاح كانت معدة لدولة ايكوادور فى أمريكا الجنوبية ، عبارة عن ٢٤ قاذفة قنابل مطاردة طراز « كفير » .

كان احساس الأمريكان يتزايد بخداع الاسرائيليين لهم . ولم يعودوا يقبلون أن « يخطف » الاسرائيليون منهم صفقات السلاح . فالاسرائيليون ينتجون أسلحة ، ليست شبيهة بالأسلحة الأمريكية ، ولكنها نسخة طبق الأصل منها . والصواريخ الجوية « شافرير » ، كما يؤكد الخبراء فى واشنطن هى نسخة كاملة من الصواريخ الأمريكية « سايدويندر » ، والفرق بينهما ، أن « سايدويندر » تخضع لتحديد الصادرات ، وأغلى ثمنا من « شافرير » لأن الأجور فى اسرائيل تقل ٣٠٪ عن الأجور فى أمريكا .

وقد استطاعت اسرائيل بالعمل المشترك مع شركات السلاح الأمريكية أن تمتلك أحدث التكنولوجيا ، وأن تقيم صناعتها بمساعدة المعونات والقروض الأمريكية .

وقد رأى نائب الرئيس « ليمان جوسيف » لشركة اف ـ ١٦ « جينرال داياميكس » التوقف عند هذا الحد :

وفى رأيه : « لماذا يتحتم على الولايات المتحدة أن ندفع الأموال لتجعل اسرائيل فى وضع يمكنها من منافسة الانتاج الأمريكى ؟

وقد توقع الخبراء ان تزيد ايرادات اسرائيل من السلاح التى تقدر بعده مليارات .

ولكن مازالت أمريكا تقف فى وجه اسرائيل ، حتى لا يتحقق هذا . ففى عام ١٩٧٩ رفضت طلب اسرائيل بيع ٧٠ طائرة سكاى اواكس الى ماليزيا . كما خسرت اسرائيل كثيرا من مبيعاتها لايران بعد سقوط الشاه ، وكذلك لنيكاراجوا .

ولا يقوم بالتوازن فى هذا المجال إلا مبيعاتها من الأسلحة الألكترونية المعدة ضد الفدائيين .

وقد قال أحد خبراء السلاح فى الموساد « لا أعرف ماذا سيحدث خلال الأعوام القادمة . ولكن اذا استمر الوضع بهذا السوء ، فعلى جهاز المخابرات الاسرائيلية أن يفكر فى الحل . ولو اضطررنا إلى بيع سلاحنا سراً للاتحاد السوفياتى .

لا شك أنها كانت نكتة ، لكن الرجل لم يضحك !

موشى ديان يتنكر بشارب مزيف ونظارات شمسية
الموساد أصبح وزارة خارجية سرية

من أجل زيارة أنور السادات الفريدة للقدس عام ١٩٧٧ قامت اسرائيل بحبك تمثيلية هى أقرب للروايات البوليسية ، شديدة الآثارة ولكى تقرب إلى ذهنك القصة الحقيقية التى قام بها الموساد ، يمكنك خلط الخيال الجامح فى رواية ايان فلمنج « جيمس بوند يطارد د . نو » ورواية جون لو كارى :

(الجاسوس الذى أتى من البلاد الباردة)

وأحد أبطال هذه الرواية هو « موشى ديان » ، الرجل ذو العين الواحدة ، ورجل الحرب المتنازع على بطولته .

* * *

فى يوم ١٦ سبتمبر عام ١٩٧٧ فى الساعة الرابعة والنصف ، توقف موشى ديان ، وزير خارجية اسرائيل (فى ذلك الوقت) فى بروكسل ببلجيكا ، وهو فى طريقه الى الولايات المتحدة الأمريكية لاجراء محادثات سياسية .

فى بروكسل أجرى ديان محادثات مع قائد قوات حلف شمال الأطلنطى الكسندر هيج فى الطريق الى المطار رافقته مجموعة من الموتوسيكلات ، بينما كانت تنتظره سيارة فى . آى . بى تابعة للخطوط الجوية البلجيكية « سابينا » لتقل ديان وزوجته إلى الطائرة مباشرة ، والتى سيسافر عليها الى نيويورك . لكن ديان أشار بأنه لا يريد معاملة خاصة فى هذا اليوم بالذات .

وبعد اتمام الاجراءات اقلعت الطائرة بزوجة ديان ، فقط ،

ففى اللحظة الأخيرة قبل اقلاع الطائرة وصلت سيارة ستروين دى . اس بسرعة ، وكانت تنتظر بالقرب من المكان ، ومرت أمام الطائرة .

وظهر موشى ديان بنظارة شمسية ضخمة على وجهه وبشارب فوق

فمه ، بعد خروجه من احدى دورات المياه فى المطار . وأرخى قبعته فوق وجهه . وجذبه رجلان الى السيارة السوداء ، التى انطلقت فى سرعة جنونية الى مهبط آخر ، حيث صعدا الى طائرة تابعة للقوات الجوية المغربية . وكان هدف الوصول هو طنجة بالمغرب .

هناك التقى ديان بنائب رئيس الحكومة ، محمد التهامى ، الذى حمل الى الاسرائيليين تحية السادات ، ورغبته فى لقاء رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحم بيجين ، تحت شرط واحد مسبق هو : أن تقر اسرائيل ، بالانسحاب من مناطق سيناء المحتلة .

فى اليوم التالى ظهر موشى ديان فى باريس ، ولم يدل بأية تصريحات . وبعد ساعات غادرها الى تل ابيب ، حيث قابل « بيجين » . وفى يوم ١٨ سبتمبر ١٩٧٧ استقل ديان طائرة نقلته الى نيويورك ، ليقابل زوجته .

وفى الطريق إلى أمريكا ، هبطت الطائرة فى مطار « كلوتن » فى زيوريخ بسويسرا ، حيث التقى بمبعوث من القاهرة وأعطاه الاشارة الأخيرة ، اسرائيل موافقة على الانسحاب من سيناء المحتلة ، ويمكن اتمام اللقاء (التاريخى) بين السادات وبيجين .

فى يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ أعلن أنور السادات على الرأى العام لقاءه المرتقب مع بجين ، وأعلن عن استعداده للسفر إلى القدس والقاء خطاب أمام الكنيسيت الاسرائيلى .

وبعد عشرة أيام وضع أول رئيس عربى قدمه على أرض اسرائيلية . وقد تحدث الصحفى الاسرائيلى ، وخبير الموساد ، هيسى كارميل الىّ (الى المؤلف) . وكان هو الذى كشف حكاية تنكر موشى ديان [1]

وقال كارميل ، ان المخابرات الأمريكية لم تكن على علم بهذه القصة وقد حاولت « ملاحقة ديان ولكن دون جدوى . ولم يجدوا أى معنى فى « تعرجاته » وكان جيمى كارتر قد ضاعف مجهوداته لعقد مؤتمر الشرق

---

(١) فى كتاب : « تاريخ اسرائيل المجهول » : لـ : جاك ديروجى وهيسى كارميل ، صدر فى نيويورك .

الأوسط فى جنيف ، الذى ترأسه الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى .
كان « قسم العلاقات الخارجية الخاصة » التابع للموساد ، هو الذى خطط ونفذ رحلة ديان السرية الى المغرب .
وهذا القسم يقوم بإجراء اتصالات مع الدول التى مازالت لا تقيم علاقات رسمية مع اسرائيل .
وكانت المغرب احدى هذه الدول . وبالرغم من ان الملك الحسن الثانى . ملك المغرب ، لا تعترف بدولة اسرائيل رسميا ، مثله مثل غيره من رؤساء الحكومات العربية ، إلا أن الموساد يلعب هناك دورا كبيرا . فرجاله يدربون حراس الملك الخصوصيين . وقد حذروه مرتين على الأقل فى آخر لحظة من محاولات لاغتياله . وامتنانا لهذا الدور ، قام الملك بالتقريب بين مصر واسرائيل دون ان يعلم جهاز المخابرات الأمريكية بأى شىء .
فمنذ أكتوبر عام ١٩٧٦ يحاول رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ، اسحق رابين ، أن يقابل الرئيس أنور السادات . وقد طلب ترتيب هذا اللقاء من المغاربة أثناء زيارة سرية للرباط . وحاول الملك الحسن أن يجس نبض السادات ، لكن هذا رفض . وكان وزير الخارجية الأمريكى كيسنجر قد نصحه بعدم قبول مثل هذا العرض . فقد كان يخشى أن تؤدى المحادثات المباشرة بين المصريين والاسرائيليين ، الى الاستغناء عن دور الوسيط الذى تقوم به وشنطن .
فى مايو ١٩٧٧ حدث فى اسرائيل (زلزال) سياسى . فعلى عكس كل التوقعات حصل حزب « ليكود » اليمينى برئاسة مناحم بيجين على الأغلبية .
ولكن قبل أن يستلم بيجين منصبه ، وقبل أن تنتهى مدة الرئيس الاشتراكى رابين ، وصلا لكلا السياسيين الاسرائيليين خبر مثير من الموساد ، وهو يتضمن تفاصيل مؤامرة اغتيال ليبية ضد أنور السادات .
وجاء فى تقرير الموساد ، أنه فى ابريل عام ١٩٧٧ عقد العقيد معمر

القذافى مع عملاء جهاز المخابرات السوفييتى كه ، جى ، بى KGB الموجودين فى العاصمة الليبية طرابلس ، اتفاقية تنص على أن تسهل ليبيا للروس ، ارسال السلاح والمستشارين الى انجولا وأثيوبيا وذلك بإعطاء سفنهم وطائراتهم حق الهبوط فى أراضيها ، ويتكفل الروس بالمقابل ، بإرسال وحدة خاصة من جهاز المخابرات الى ليبيا .

وتكون مهمة أعضاء الجهاز السوفياتى تدريب (الارهابيين) الألمان واليابانيين والفلسطينيين . ويقول التقرير ، أن هدف هذا التدريب هو اغتيال « خائن القضية العربية » فى رأى القذافى ، ومكان التدريب واحة تبعد ٣٥ كيلو مترا من الحدود المصرية . أما موعد الاغتيال فهو يوم عيد الثورة ، ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٧٧ .

واحتار مناحم بيجين . وسأل رابين ، عما كان يفعله الاسرائيليون حيال أمثال هذه التقارير ، فأجابه ، بأنه يتم ارسالها الى المخابرات الأمريكية .

(وهذا ماصرح به رابين بعد ذلك لأحد الصحفيين) .

لكن بيجين لم يعجبه الرد ، وقرر ان يقوم هو بهذا العمل ، واقترح إخبار السادات مباشرة ، ليثبت له على الأقل حسن نواياه .

وقام « قسم العلاقات الخارجية الخاصة » التابع للموساد بهذه المهمة . وكان يمكن الاتصال بالمصريين فى مؤتمر لجنة الطاقة الذرية فى فيينا ، وهو واحد من أمكنة قليلة يمكن أن يلتقى فيها المصريون والاسرائيليون ، رسميا .

كان محمد حسن التهامى ، المفوض المصرى فى فيينا ، قد أصبح نائبا لرئيس الوزراء ، وتولى مهمة تنسيق نشاطات المخابرات المصرية .

وكان هو الذى اتصل به الاسرائيليون فى فيينا لاعلامه بخطة محاولة اغتيال السادات . لكن المصريين ، الذين لا يثقون كثيرا فى الاسرائيليين ـ ارسلوا طائرات استطلاع الى الحدود الليبية واستطاعوا تحديد مكان الواحة التى يتم فيها تدريب (الارهابيين) . فبدأ السادات حرب الأيام الستة على الحدود ضد ليبيا . وفى يوم ٢٥ يوليو (تموز) ١٩٧٧ دمرت فرقة صاعقة مصرية قاعدة المخابرات الروسية .

وكانت الخطوة التالية لقسم « العلاقات الخارجية الخاصة » فى الموساد هى ترتيب لقاء بين بيجين ورئيس مجلس الشعب المصرى « سيد مرعي » ، وكان ذلك يوم ٢٧ اغسطس ١٩٧٧ فى بوخارست برومانيا ، حين كان بيجين يقوم بزيارة لرئيس رومانيا (الصديق) شاوشيسكو . وقد سافر « بالصدفة » وفد برلمانى مصرى الى رومانيا فى ذلك الوقت . وابتدأ الجو بين الأعداء المخضرمين فى المنطقة يتحلل من التوتر شيئا فشيئا . وكانت رحلة موشى ديان وتنكره خطوة أخرى فى هذا المجال .

المعروف أن « قسم العلاقات الخارجية » فى الموساد لا يعترف بأية ايديولوجيات او اعتبارات سياسية .

وقد استطاع رجال الموساد (على حد قولهم) ان يكشفوا عن محاولة اغتيال الملك خالد ، وأعلموه بها . ولا يستبعد أن يأتى يوم وتحدث « محاولات تفاهم » سياسية ، على هذا الخط . وان كان ذلك يبدو غير معقول ، بل ومستحيلا ، ذلك لأن القدس ، كما هى بالنسبة لاسرائيل مدينة مقدسة ، فهى كذلك بالنسبة للمملكة السعودية العربية ، مدينة مقدسة ولا يمكن التنازل عنها بأى ثمن . ولهذا يبدو أى اتفاق فى حكم المستحيل .

وجد الموساد مصالح له أيضا فى افريقيا . والعلاقات التى أقامها هناك لا تعود إلا على اسرائيل وحدها بالنفع . والحديث يتركز هنا بصورة خاصة على أثيوبيا .

ففى عام ١٩٥٦ قام مستشارون عسكريون اسرائيليون بتدريب قوات الامبراطور (الطاغية) هيلا سيلاسى . فرئيس وزراء اسرائيل الأسبق دافيد بن جوريون ، « يحس » أنه مرتبط بهذه البلاد فى علاقة عمرها أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وذلك بسبب العلاقة (الاسطورية) بين الملك سليمان والملكة سبأ ، كما أن بن جوريون (يحس) أيضا أن من واجبه حماية الأقلية اليهودية هناك المسماة (فلاشا) والبالغ عددهم ١٠ آلاف يهودى .

وحين قام انقلاب عسكرى ضد هيلا سيلاسى أثناء زيارة له للبرازيل عام ١٩٦٠ ، ساعد الموساد فى اخماد الثورة واحباط الانقلاب . ولم يهم الموساد ولا القيادات السياسية فى تل أبيب ان الشعب ثار ضد

هيلا سيلاسى المستبد الظالم الذى يتعمد أن يظل شعبه فقيراً متأخراً ولم ينزعج الاسرائيليون أيضاً حين قطعت اثيوبيا علاقاتها مع اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ .

فالعلاقات (الخاصة) لم تهدد على الاطلاق ، حين أطاح انقلاب بالامبراطور هيلاسيلاسى ، وقفز العقيد منجستو بنظام عسكرى شيوعى الى الحكم . ورتب الموساد الأمر مع الحاكم الجديد ، الذى طلب أن يقلل من حجم (البعثة) الاسرائيلية فى اديس ابابا ، فقط ،

عقد الموساد كثيرا من الاتفاقيات السياسية مع اثيوبيا ، ولم تكن كلها بسبب (التاريخ المشترك) معها ، أو بسبب يهود الفالاشا ، ولكن الأمر الذى كان يهم الموساد هو « باب المندب » وهو مضيق مائى تحيط به حدود اليمن الشمالى والجنوبى ، ومقاطعة اريتريا الأثيوبية . وكان الموساد يصر على ألا يقع فى أيدى العرب بأية حال من الأحوال . ففى اليمن الجنوبى ، أنشأت المنظمات الفلسطينية المتشددة ، مثل « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » التى يرأسها « وديع حداد » معسكرات تدريب ولذلك يجب « انقاذ » ارتيريا .

ففى ارتيريا يحارب الثوار منذ أعوام ، الحكومة المركزية فى اديس ابابا ، يساعدهم العرب ، المتشددون والمعتدلون . فوقف الموساد الى جانب منجستو ، وأمدوهم بالسلاح ، ورجال الجهاز المدربين لحرب الانفصاليين . وأدى تدخل الاسرائيليين إلى وضع شائك . فى نوفمبر عام ١٩٧٧ فقد قامت الصومال ـ التى اتجهت إلى أمريكا ، بالهجوم على اثيوبيا ، بتشجيع من الأمريكان . فطلبت اثيوبيا النجدة من الاتحاد السوفياتى . فأقام الروس جسرا جويا من أحدث الأسلحة والخبراء الى أديس أبابا ، كما أرسل الروس عن طريق البحر آلافا من الجنود الكوبيين الى منطقة الصراع .

وحارب الاسرائيليون جنبا الى جنب مع الكوبيين والروس ضد الصومال التى تساعدها امريكا . وقلب اتفاق اديس ابابا المعطيات السياسية العالمية رأسا على عقب : فكان الطيارون الروس يلقون قنابل اسرائيلية الصنع على المدنيين فى الصومال . وعمل الروس على المدرعات التى أرسلتها اسرائيل ، ولم يجدوا صعوبة فى تشغيلها ، لأن الأسلحة كانت فى كثير من اجزائها سوفيتية الصنع . فقد حصل عليها اليهود من العرب فى حرب ١٩٦٧ .

ومايزال الأخصائيون الاسرائيليون ، خبراء حروب العصابات ، يحمون الحكومة الأثيوبية التى يرأسها الديكتاتور الماركسى مينجيستو .

وعاد كل شيء على اليهود بالنفع . فحين هدأت الأوضاع فى اديس ابابا عام ١٩٧٧ ، وأرسل اليهود طائرات النقل لتحرير الرهائن فى عينتيبى ، سمحت لهم السلطات الأثيوبية بالطيران فوق أراضيها ! .

وللموساد علاقات مع كثير من الدول الأفريقية وهى فى معظمها علاقات متميزة خصوصا مع كينيا ، مع زائر ، وساحل العاج ، والسنغال وجنوب افريقيا بالطبع .

واسرائيل تساعد هذه الدول فى سياسة التنمية فيها ، فهى تقوم بانشاء المشاريع المائية ، ومشاريع الرى ، وبناء الطرق ، وانشاء أجهزة البوليس والجيش . وتثبت اسرائيل مقدرتها فى هذه المجالات ، باعتبارها أيضا (دولة نامية) ولديها نفس المشاكل التى يتحتم التغلب عليها ، ولذلك فهى تقدم نصائح ومقترحات متخصصة .

* * *

على صعيد آخر ، يساند الموساد مايسمى « بحركات التحرير » ، اذا كانت هذه المساندة تعود بالمكسب السياسى على اسرائيل .

فمنذ أعوام طويلة يقف جهاز المخابرات الأمريكية CIA والموساد الاسرائيلى الى جانب حرب الأكراد فى العراق من أجل الاستقلال .

فالاتحاد السوفياتى يضع قدماً راسخة ثابتة فى العراق ، وتقدمه

الخطير فى العراق يشكل تهديدا لاسرائيل أيضًا ، ولا يمكن ايقافه ـ فى رأى الموساد ـ إلا بتمويل الخصم الكامن داخل البلاد ، وهم الأكراد ، بالسلاح والمال . واستخدم الأمريكان والاسرائيليون شاه ايران كوسيط فى هذه العملية . فقد تورط الايرانيون فى حرب باردة مع العراق منذ الستينات ، بشأن السيطرة على « شط العرب »

كان قائد حركة الاكراد ، مصطفى البرزانى ، يرسل رجاله للتدريب فى معسكرات الموساد ، وكان هو شخصيا ، قد نزل ضيفا فى عام ١٩٦٦ على مركز المخابرات الاسرائيلية فى تل أبيب ، كما قام ضباط الموساد بزيارة قائد الحركة فى مقره (غير المعروف) فى الجبال فى العراق .

ولكن حدث فى فبراير عام ١٩٧٥ أن توصل الايرانيون والعراقيون الى اتفاق حل مشكلة الحدود . وأبلغ العراقيون فى محادثات سرية رئيس قسم المخابرات المركزية الأمريكية (للشرق الأوسط) . بأنهم لن يظلوا مع السوفييت وحدهم ، ولن يشعلوا حربا ضد اسرائيل . وقد وافق الاسرائيليون بعد تردد على هذا الاتفاق السلمى . ولكن كان له ضحية ، هم الأكراد . فقد كان ذلك شرط حكام العراق : أن تطلق أيديهم في مسألة الأكراد لأنهم يريدون أن ينتهوا منها مرة واحدة ، وإلى الأبد .

وبين يوم وليلة اوقف الأمريكان والاسرائيليون مساعدة الثوار بالسلاح والمال والرجال .

وضرب حكام العراق الثورة الكردية وأوجدوا «صيغة » جديدة لهذه الأقلية ، وهى جمعهم فى « تجمعات منعزلة » .

* * *

فى معاملات الموساد مع الديكتاتوريين فى العالم لا يدخل حساب الضمير أبدًا . ولذلك فان العلاقات بين شاه ايران ، محمد رضا بهلوى ، وبين اسرائيل لم يعكر صفوها ، حين ألح الشاه على اسرائيل لمساعدته فى انشاء جهاز المخابرات الخاص به .

وقد ساهم الاسرائيليون مع الأمريكان والانجليز فى تأسيس جهاز المخابرات الايرانى « السافاك » ووقع الاختيار على اسرائيل ، لتدريب

« زبانية » الجهاز الايرانى على « الاساليب القاسية » فى معسكرات تدريب الموساد ، التى تقع الى الشمال من هيرتزليا ، أحدث « فنون » التعذيب والابتزاز .

وكان المدربون يعملون فى طهران أيضاً . وكانت لهم علاقات طيبة جدا مع التجار او ما يسمى فى ايران « البازاريون » ومع رجال الدين المسلمين . وكان يوجد فى ايران عشرات الآلاف من اليهود فى الستينيات . وبسبب هذه العلاقات ، فإن الموساد عرف قبل الجهاز المركزى الأمريكى CIA أنه سيحدث انقلاب جذرى يطيح بالعرش ، وقد حذر مركز الموساد واشنطن عام ١٩٧٧ وعام ١٩٧٨ من اقتراب حدوث هذه الثورة ، إلا أن الجهاز الأمريكى ، كان يفضل الاعتماد على رجاله ، الذين كانوا يتنبأون ، بأن الشاه سيتمكن من إخماد الثورة بسماعدة الجيش . لكن هؤلاء الأمريكان لم يكونوا على اتصال بأصحاب الشأن فى الأسواق وفى الجوامع والمساجد .

وقد تمكن الاسرائيليون من ترحيل جميع عملاء الموساد ومتعلقاتهم فى ايران فى وقت كاف قبل اندلاع الثورة . وقد غادر آخر هؤلاء الاسرائيليون طهران على طائرة هيلوكوبتر فى اليوم السابق لموعد وصول الخمينى ، تماماً .

بينما مر الأمريكان بأقسى تجربة فشل لجهاز المخابرات المركزية ، حيث أخطأ تماماً فى تقدير الموقف ، مما وضع الرئيس الأمريكى جيمى كارتر فى موقف حرج تماماً ، خصوصاً بعد احتجاز الرهائن في السفارة الأمريكية فى طهران .

جاسوس لدى عصابة بادر ـ ماينهوف الألمانية : الموساد و« العلاقات الخاصة » مع الألمان

حينما كان « مناحم بيجين » رئيسا لحزب « حيروت » فى بداية الخمسينات ، كان يصرخ وهو يخطب أمام البرلمان الاسرائيلى ، ويندد بالألمان : « فهم مجرمون ، كلهم » وكان يرتعش ويرتجف ويحمر وجهه لشدة الغضب« وحتى آديناور (أول مستشار ألمانى بعد الحرب) مجرم . وعلى اليهود إلا يتعاملوا مع الألمان ، ولا حتى أن يسلموا عليهم » .

وتلقى بيجين فى ذلك الوقت اكثر من تحذير ليلتزم النظام ، ثم طرد عام ١٩٥٢ من البرلمان لبضعة أسابيع ، عقابا له . لكنه كان يعبر عن مشاعر كثير من اليهود ، الذين فقدوا أقاربهم فى معسكرات التعذيب أو الابادة تحت حكم الرايخ الثالث . وهؤلاء اليهود لا يستطيعون ولا يريدون أن ينسوا ذلك ، وبالتالى منهم يرفضون « التعويض » الذى تدفعه الحكومة الألمانية لاسرائيل ، لأنه فى نظرهم « مال حرام » !

وكان معظم رؤساء الموساد يشاطرون بيجين فى احساس الكراهية لكل ماهو ألمانى . بل أن كثيرا من هؤلاء بدأ حياته فى المخابرات ، فى الكفاح السرى ضد الألمان ، حين كانوا يرتبون أمر سفر المهاجرين اليهود الألمان ، الذين نجوا من معكسرات الاعتقال ، الى فلسطين سرا .

وحتى رئيس الموساد ، عيزر هاريل ، لم يكن يريد أن يصدق « ألمانيا الجديدة » المرتبطة بالمستشار كونراد اديناور ، فظل متشككا فى نواياها ، واعتبر كل طلب تقدمه لتقديم مساعدات مالية ، ماهو « إلا حيلة من الألمان ، لابعاد انتباهنا عنهم ، وعدم فهم نواياهم » .

أما دافيد بن جوريون ، رئيس الوزراء الاسرائيلى ، فقد كان يفكر بطريقة مختلفة ، بالرغم من أنه كان شديد التعاون مع هاريل . لكنه رأى وفهم التحول الذى عاشته المانيا ، وفهم أيضا قبل كل شىء مايمكن

أن يجلبه هذا التحول على اسرائيل من فوائد .

وكان يهمه بادىء الأمر أن لا يدفع الألمان التعويض للأفراد ، ولكن للدولة . فهذا السياسى المدرب يفكر بطريقة عملية جدا . فهو يرى ، أن بالامكان تشجير الصحراء وزراعتها ، واقامة صناعة كبيرة ، وبناء طرق جديدة . ولهذا ، فان اسرائيل فى أشد الحاجة للأموال الألمانية .

واستطاع بن جوريون أن يفرض رأيه على البرلمان الاسرائيلى . وتبادل رسائل « حارة » مع المستشار الألمانى . ومع أول مارك ألمانى دفعته الحكومة إلى إسرائيل ، نشأت أول شركة للسفن .

ومع مصاعب بناء الدولة ، كانت هناك مشكلة واجهها الاسرائيليون ، وهى عدم وجود أسلحة كافية للدولة ، لصد أى هجوم تقوم به الدول العربية المجاورة . فالتشيكيون الذين كانوا أول من أرسل السلاح الى اسرائيل وبين الاتحاد السوفياتى والأمريكان الذين يساعدون الاسرائيليون بالمال ، يمنعون عنهم السلاح ، لأنهم لا يريدون ارسال أية أسلحة لهذه المنطقة المشتعلة فى الشرق الأوسط .

وكانت اسرائيل تستورد السلاح حتى نهاية الخمسينات من فرنسا ، التى أمدتها بكميات ضخمة ، بالرغم من أن الفرنسيين كانوا يطلبون أثمانا باهظة لسلاحهم ، ولا يقبلون إلا نقدا !

ورأى بين جوريون أن يسأل الألمان . لكن مثل هذه الصفقة يجب ان تظل فى غاية السرية والكتمان ، حتى عن اليهود أنفسهم خصوصا مناحم بيجين فى البرلمان ، واليهود الذين قتل ذووهم بأسلحة ألمانية منذ عشرة أعوام مضت فقط ، أوم ماتوا فى غرف الغاز الألمانية .

وظل أمر الأسلحة سراً إلا فى محيط ضيق جدا من أصدقاء بن جوريون . لكن عيزر هاريل لم يرحب بالصفقة ، واعتبر رئيس الوزراء « معتوها » وطلب ألا يتورط فى هذه « الخيانة » شخصيا . أما شيمون بيريز ، الذى كان فى ذلك الوقت « مديراً لوزارة الدفاع » وكان فى الثمانية والثلاثين من عمره ، أعجب بفكرة رئيس الوزراء ووزير الدفاع بن جوريون . وأبدى استعداده ليقوم برحلة سرية ألى ألمانيا ومقابلة وزير الدفاع الألمانى آنذاك « فرانز جوزيف شتراوس ».

وقد تحدث شيمون بيريز ، رئيس حزب العمل ، ورئيس حكومة اسرائيل الآن ، بالتناوب ، إلى مجلة « لوى » الألمانية ، عن أول لقاء له مع شتراوس فقال :

« كانت ليلة شديدة الضباب في النصف الثانى من عام ١٩٥٧ ، حين عبرنا الحدود الفرنسية الألمانية عند منطقة السار . وكنا في سيارة صغيرة عادية ، حتى لا نلفت إلينا الأنظار . وكان شتراوس ينتظرنا في بيته في بون . وبدأ لقاؤنا على عشاء بسيط ، واستمرت مباحثاتنا بين ٧ ـ ٨ ساعات . كان هذا اللقاء بالنسبة لى ، كأنه لقاء مع كائن حى من الفضاء . واعتقد أن شتراوس كان لديه نفس الاحساس .

دار حديث السياسيين حول امداد اسرائيل بطائرات مقاتلة طراز « فوجا ماجيستر » ، وناقلات جنود طراز « نوراطلس » ، ومدافع مضادة للطائرات » أسلحة تصل قيمتها الى مئات الملايين من الماركات . وظل أمر هذه الصفقة سراً عند كلا الجانبين . ففى اسرائيل لم يعلم أحد ، حتى وزيرة الخارجية جولدامائير ، أما في ألمانيا فكانت لجنة أمور الدفاع في البرلمان هى الجهة الوحيدة التى علمت بأمر الصفقة .

ولم ترسل الكمية مرة واحدة ، بل جرت اتصالات مستمرة طيلة السنوات التالية لترتيب أمر ارسال السلاح . فهناك اولويات ، ومناقشات ، لتحديد أنواع الأسلحة التى تلزم اسرائيل حالياً .

في عام ١٩٦٠ جرى لقاء بين شتاوس وبن جوريون في باريس بفرنسا ، ثم جرى لقاء آخر بن آديناور وبن جوريون في نيويورك ، حيث وافق آديناور الآن فقط ـ على الصفقة السرية .

وفي اللقاء التالى لشيمون بيريز بآديناور في يونيو (حزيران) عام ١٩٦٢ ، ناقش التفاصيل ، وطلب أن تدفع ألمانيا (التعويض) ليس مالاً ، ولكن سلاحا .

ظل الموساد يتشكك في هذا التقارب بين ألمانيا وبين اسرائيل . فقد كان عيزر هاريل يعرف أن « وكالة الاستخبارات الألمانية الحالية نشأت عن « منظمة جيلين » عام ١٩٥٦ ، ويعتقد أن « النازيين القدماء » في

ألمانيا مازالوا يؤكدون لهجة جيلين فى الوكالة . وكان « جيلين » رئيس أركان حرب جيش هتلر عام ١٩٣٥ ، ثم رئيسا لجهاز المخابرات العسكرى عن الأجانب . عام ١٩٤٢ .

فى بداية الستينات بدت مخاوف هاريل فى سبيلها الى التحقيق . فقد علم رئيس الموساد من عملائه ، أن « النازيين القدامى » عادوا للعمل على « التخلص » من اليهود نهائيا ، وذلك فى مصر تحت قيادة جمال عبدالناصر ، حيث يصنعون أسلحة حديثة لحرب اسرائيل .

وجاء فى تقرير الموساد ، أنه منذ عام ١٩٥٩ استقطب عبدالناصر علماء ألمان وفنيين مهندسين ليعملوا فى مصر . وقد ارسل عبدالناصر لهذا السبب رئيس المخابرات المصرية « محمود خليل » الى ألمانيا الاتحادية لاجراء اتصالات مع الأشخاص ذوى الكفاءة العالية ، مثل مهندس الطائرات االألمانى « فيلى ميسر شميت » وذلك لاعداد « برنامج عسكرى سرى » .

ولأسوأ من ذلك فى نظر الموساد ـ انه يبدو أن المصريين يريدون صنع صواريخ خاصة بهم . فقد استدعى « فيرديناند براندنر » أحد قادة الجيش الألمان (أيام الرايخ الثالث) بعض العلماء الألمان المختصين بصناعة الصواريخ مثل « فولفجانج بيلز » . وهاينز « كلاين، فختر » و « اويجن سنجر » للعمل فى مصر ووعدهم بمرتبات عالية .

تم تسريب معظم هذه المعلومات الى الموساد ، عن طريق الجاسوس الاسرائيلى (المتميز) فى مصر ، الذى ادعى بأنه « من الضباط النازيين القدامى » وعرف بشعره الأشقر وعينيه الزرقاوين ، وهو « فولفجانج لوتس » ، وكذلك عن طريق العالم الفيزيائى النمسوى « اوتو يوكليك » الذى عرض خدماته على الاسرائيليين ، من تلقاء نفسه .

وأحس هاريل لأول مرة فى حياته فى المخابرات بالفزع . فعبد الناصر يتحدث دائما عن « السلاح الجديد » الذى يمكنه « تدمير أى هدف حتى جنوب بيروت » واشتعل الغضب فى الجهاز الاسرائيلى ، واتهم باقى قادة الموساد الرئيس عيزر هاريل أنه لم يهتم كثيرا بتطور البلاد العربية .

فى أول ابريل عام ١٩٦٢ وصل لهاريل أنباء عن مصر ، التى وجهت (٩٠٠) صاروخا الى اسرائيل ، فطلب من رئيس الوزراء اعطاءه الضوء الأخضر ليقوم بعملية « لعقاب الألمان » .

لكن بن جوريون لم يهتم . لأن مثل هذه العمليات الكبيرة ضد الألمان لا يريد ان يضعها فى حسابه ، فهى لا تتلاءم مع خطته السياسية ، فقد اتفق لتوه مع آديناور حول توريد السلاح لاسرائيل . لذلك طلب بن جوريون الاجتماع بشيمون بيريز وجولدا مائير . واقترحت مائير ورئيس الموساد توجيه ضربة مباشرة وقاسية . لكن شيمون بيريز حاول التقليل من خطر الصواريخ الألمانية ، فهو ضد أى شكل من أشكال الارهاب الذى يمكن ان يعود بالضرر على اسرائيل ، وتوصل بن جوريون الى الحل ، وهو أن يفعل الموساد مابوسعه ، ليضر بعمل الخبراء الألمان فى مصر ، على أن تجرى هذه العملية بتحفظ وتدرج . وعلى بيريز أن يرسل خطاباً الى « صديقه » الألمانى ، وزير الدفاع ، شتراوس ، ويطلب منه أن يقوم باستدعاء الألمان من مصر .

لم يطق هاريل صبراً على الانتظار . فسافر على مسئوليته الخاصة إلى ميونيخ ، وطلب من رئيس وكالة الاستخبارات الألمانية « جيلين » أن يقوم بعمل سريع . ولكن لم يحدث شىء . وهنا بدأ هاريل العمل . وفى سبتمبر ١٩٦٢ اختفى « هاينز كروج » المحرك الرئيسى لعملية بناء الصواريخ المصرية ـ الألمانية ، إلى الأبد . وفى فبراير عام ١٩٦٣ استطاع « هاينز كلاين فيختر » النجاة من محاولة اغتياله . وفى نوفمبر من نفس العام انفجرت رسالة مسجلة مرسلة الى عنوان فولفجانج بيلز ، ولكن فى يد سكرتيره فأفقدتها بصرها .

قبل ذلك بشهور انفجرت فى اسرائيل قنبلة سياسية . فقد انزعج بن جوريون بشدة لأن هاريل تجاوز حدوده ، وذلك حين ألقى البوليس القبض فى سويسرا على اثنين من العملاء الاسرائيليين لأنهما هددا ابنة احد اخصائى صناعة الصواريخ الذين يعملون فى مصر ، وأخبراها أن أباها سيموت ، اذا لم تحاول اقناعه بمغادرة مصر والعودة الى وطنه .

أجرى بن جوريون تحقيقا مع رئيس شعبة « أمان » للاستخبارات

العسكرية ، جنرال مائير آميت ، عن مدى خطورة الصواريخ المصرية الفعلية ، دعى اذا كانت بنفس المقدار الذى يصوره رئيس الموساد ، عيزر هاريل ، فأكد رئيس أمان أن الأمر ليس بهذه الخطورة ، لأن الصواريخ المصرية ليس لها نظام تحكم ، وبالتالى فهى لا يمكن أن تهدد اسرائيل .

وهنا طلب بن جوريون من هاريل غاضبا ، أن يكف عن القيام بأى عمليات ، إلى أن يقدم الدليل عما يشيعه عن الصواريخ المصرية وقنابل الكوبالت .

وقرر هاريل الاستقالة من منصبه ، فكتب فى نفس اليوم استقالته بسببب « التعارض الجذرى فى مسألة العلماء الألمان »الذين يعملون فى مصر » وحاول بن جوريون استبقاءه ، لكنه لم يعلم . وأصبح مائير أميت رئيسا للموساد ، الرجل الذى أقنع بن جوريون بعدم خطورة الصواريخ المصرية الى يصنعها الألمان فى القاهرة وحلوان .

تابع الرئيس الجديد سياسة « ترويع » العلماء الألمان ، فى البداية ، ولكنه لم يكن على قدر العنف ، الذى كان عليه من سبقه ، فرسائل التهديد التى يرسلها الجاسوس الاسرائيلى المقيم فى مصر ، فولجانج لوتس ، لا تحتوى على متفجرات ، ولكن على تفاصيل مريعة عن دقائق العمل الذى يقوم به الألمان .

وقبل ان تغادر آخر دفعة من العلماء ، مصر ، كشف المصريون أمر « لوتس »

وألقى القبض عليه ، وساعد الألمان على ذلك دون قصد .

ففى يوم ٢٤ فبراير (شباط) عام ١٩٦٥ دعا جمال عبدالناصر رئيس ألمانيا الشرقية ، فالتر اولبرخت رسميا لزيارة مصر ، تحت ضغط الاتحاد السوفيتى ، فأبلغت حكومة ألمانيا الاتحادية الحكومة المصرية ، بأن مثل هذه الزيارة تعنى انهاء عمل جميع العلماء الألمان فى مصر ، وانهاء جميع المساعدات الاقتصادية الالمانية الغربية . وكانت ما تزال « نظرية هالشتاين » تسيطر على ألمانيا الاتحادية « الغربية » التى

تقضى بعقاب أية دولة من دول العالم الثالث تقيم علاقات مع ألمانيا الديمقراطية (الشرقية)

وكان عبدالناصر فى ذلك الوقت يعتمد على موسكو اعتمادا كليا ، فضرب بتحذيرات ألمانيا الاتحادية (الغربية) عرض الحائط . وعين صديق الألمان الشرقيين ، عبدالحكيم عامر ، رئيساً لجهاز المخابرات المصرية ، بدلا من « محمود خليل » الذى كان صديقا للغرب .

وأراد الرئيس الجديد أن يقدم هدية للروس والألمان الشرقيين ، فألقى القبض على شبكة جاسوسية ألمانية غربية كانت الحكومة المصرية تتساهل معها .

ولما كان « فولفجانج لوتس » معروفاً بأنه « نازى قديم » وبأنه يعمل لحساب الألمان الغربيين ، فقد قبض عليه أيضا مع زميله الجاسوس الألمانى الغربى « جيرهارد باوخ » ، الى ان انكشف امره ، وبادلته اسرائيل مقابل ٥ آلاف أسير مصرى بعد عام ١٩٦٧ .

لم تشهد مصر بعد ذلك نشاطات كبيرة لجهاز المخابرات الاسرائيلية ووكالة الاستخبارات الألمانية معا ، لأن السوفييت كانوا يصولون ويجولون حتى عام ١٩٧٢ حين قرر السادات طرد جميع السوفييت من مصر .

* * *

احتفل مائر آميت ، رئيس الموساد ، بنصره العظيم ، حين استطاع عملاؤه « اقناع » أحد الطيارين العراقيين باختطاف طائرة سوفيتية جديدة طراز ميج ٢١ الى اسرائيل . بالرغم من ذلك بقيت علاقة آميت بالألمان ، باردة . وقليلاً ماكان يحدث تبادل معلومات بين الجهاز الألمانى والجهاز الاسرائيلى عن ألمانيا الشرقية ، التى تشكل مصدر اهتمام لكلا البلدين . وفيما عدا ذلك فلم يكن الموساد يحتاج لجهاز الاستخبارات الألمانى ، ولا هذا ، لذاك .

تغير الوضع فى بداية السبعينات . حين نشأت ظاهرة الارهاب الدولى بن مجموعات متباينة ، بين بادر ـ ماينهوف الألمانية والجماعات

الفلسطينية والعراقيين والايرلنديين واليابانيين والليبيين ، وذلك بين يوم وليلة . وكان اعضاء بادر ـ ماينهوف كثيرا ما يظهرون فى الشرق الأوسط ، فى معسكرات التدريب الفلسطينية بلبنان ، وفى اليمن الجنوبى ، وفى العراق . وقد فوجىء جهاز الاستخبارات الألمانية وقسم الجريمة الألمانى الاتحادى « بعالمية » الارهاب وكانت وسيلة الاتصال الوحيدة أمام الألمان فى هذه الحال هى « الموساد » الاسرائيلى ، الذى يستطيع مساعدتهم ، فهو الجهاز الوحيد الذى يهتم منذ سنين طويلة بالجماعات الفلسطينية ويعرف المنظمات الفلسطينية وله عملاء متداخلون فيها .

كشف الموساد للألمان أسرارًا عن واضعى القنابل ، وعن الارهابيين الذين يتجولون فى أنحاء العالم ، وعن خطط خطف الطائرات . واستطاع الموساد تمكين أحد عملائه من التسلل الى داخل المنظمة الارهابية الألمانية . وهو « ما يؤكده » أحد كبار رجال الموساد الاسرائيليين ، على كل حال ! !

كما أبلغ الموساد السلطات الألمانية عن مكان إقامة الارهابى الألمانى « هانزيواخيم كلاين » الذى هرب بعد الهجوم على وزراء دول الأوبك عام ١٩٧٥ فى فيينا .

وقد حقق الموساد مع الارهابى الألمانى فى مخبئه بتوسكانا ، وأجبروه أن يكتب رسالة الى زملائه « القدامى » بأن يصنعوا السلاح . وقد أعطى الموساد الرسالة ومسدس الارهابى الى مجلة « دير شبيجل » الألمانية

(هناك تقارير ترفض وجود « كلاين » فى أوربا ، وتصر على أنه مقيم فى احدى المزارع الاسرائيلية ، بعد هروبه من فيينا ، لكن العاملين فى الموساد يحتجون على ذلك ، بأن اختباء كلاين الألمانى فى اسرائيل ، وهو ارهابى ضليع ينتمى الى احدى المنظمات الكبيرة ، أمر بالغ الخطورة بالنسبة له . وأنه لابد وأن يكون فى مكان ما فى اوربا !

كان للموساد شروط للعمل مع الوكالة الألمانية وهى ان تتقاضى اسرائيل الثمن مقابل تعاونها ، وهو اعطائها الحق فى « التحقيق » مع

(الفدائيين) العرب الموجودين فى السجون الألمانية . وحتى لا يشعر المتهم العربى بأن الاسرائيليين هم الذين يحققون معه ، فإن الموساد سيرسل عملاءه الذين يعرفون اللغه العربية ، وسيقدمون على أنهم « مترجمين » لممثلى السلطات الألمانية .

والمعروف ان مثل هذا الاجراء يخالف القوانين الألمانية . وفى عام ١٩٧٩ انكشف أول تحقيق من هذا النوع .

فقد حدث ـ كما يبدو ـ أثناء (تحقيق « المترجم » الاسرائيلى مع الفلسطينى « محمد يوسف » الذى اتهم بتهريب السلاح وأودع السجن فى شتاديل هايم فى ميونيخ ، وهو ماكان متبعا فى السجون الألمانية .

أن تجاوز « الاسرائيلى » حدود مهمته » ويروى الزعيم السابق لمنظمة « ايلول الأسود » ورئيس المخابرات الفلسطينية ، أبو اياد فى حديذ لمجلة « شتيرن » ومجلة « دير شبيجل » أن « المترجم » الاسرائيل حاول « ابتزاز » المتهم الفلسطينى ليقتل « أبو اياد » وذلك بعد أطلعه على صور أقاربه فى الضفة الغربية المحتلة وأفهمه أن « أقاربه » هؤلاء سيكونون فى أسوأ حال ، اذا لم يقم باغتيال رئيسه « أبو اياد » .

وبعد اطلاق سراحه ، حاول الانتحار أكثر من مرة ـ كما قال ابو اياد ـ ثم عاد الى بيروت . وكان يوسف يعرف « أبو اياد » جيدا ، فقد كان حارسه الخصوصي وكان سائقه ايضا . ويبدو أنه حدث رئيسه بما حدث ، فطلب منه أبو اياد ، أن يطلق الرصاص على سيارته ، ليتأكد الاسرائيليون ، من أنه قد قام بالمهمة . لكن يوسف أجابه ، بأن الذين كان يتعامل معهم فى السجن ، محترفين ، وخبراء ، ولن يفوتهم ادراك اللعبة التمثيلية . ولم يلق « أبو اياد » للموضوع كبير اهتمام ، الى أن انتحر يوسف باطلاق الرصاص على نفسه من مسدسه فى يوم ١٨ اكتوبر ١٩٧٩ .

ولكن حتى اليوم لا يوجد دليل قاطع على موت يوسف ، ولا على ا ختفائه فى بيروت ولا على مهمة الموساد . إلا أن الحادث كان مقنعا

للمحامى الألمانى جورلاخ ، الذى أقام دعوى ضد مجهول . وحتى الآن لم تثبت الأدلة على أحد ، وربما لن يثبت شىء الى الأبد .

اذا كان جهاز المخابرات الاسرائيلية يطالب بانجازات مقابل كشف اسرار العلاقات بين الأفراد الألمان وبين الفلسطينيين ، فان السلطات الألمانية لا تنفذ هذا بدقة . حتى لو كان واجبها ، حماية مصالح رعاياها فى البلاد الأجنبية .

وأحسن مثال لذلك ، هو حالة الطالبين الألمانيين ، « بريجيت شولتز » و« توماس رويتر » .

ففى يوم ١٨ يناير عام ١٩٧٦ فى الساعة العاشرة صباحاً ، هاجمت قوات من الموساد بمساعدة وحدة خاصة من البوليس الكينى منزلاً فى نيروبى وفندقا صغيرا يقع على أطراف المدينة ، والقوا القبض على خمسة أشخاص ، ثلاثة فلسطينيين واثنين من الألمان هما بريجيت شولتز وتوماس رويتر .

وكان بين الفلسطينيين شخص يدعى « ابو حنيفة » وكان يحمل جواز سفر يمنى جنوبى . ولم يحاول أحد من المعتقلين الخمسة المقاومة ، لأن الدهشة قد ألجمتهم .

(ويبدو) أن الاسرائيليين قد علموا عن طريق أحد عملائهم فى صفوف الفلسطينيين أن « أبو حنيفة » يدبر عملية ارهابية . وكان الموساد قدوضعه فى قائمة المطلوبين منذ مدة طويلة ، فهو أحد القادة الفلسطينية للعمليات ومن أقرب الأصدقاء الى رئيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : وديع حداد .

وحسب تقرير عميل الموساد ، فان ابو حنيفة خطط مع أربعة أعضاء من منظمة « الجيش الأحمر » الألمانية ضرب طائرة ركاب تابعة لشركة العال الاسرائيلية طراز بوينج ـ بصواريخ سوفيتية طراز سام ٧ وذلك أثناء توقفها فى نيروبى بكينيا ، وهى فى طريقها من يوهانزبيرج الى تل أبيب .

وكان دور « أبو حنيفة » فى هذه العملية واضحا . أما دور المتهمين الأربعة الألمان فكان غير واضح . وقد أنكر الطالبان بريجيت شولتز

وتوماس رويتر أى دور لهما فى العملية . وأكدا أنهما لم يعرفا « الفلسطينيين » إلا فى السجن . لكن اسرائيل قررت أن تحاكم الألمان فى اسرائيل ، وبالرغم من أنه لا توجد معاهدة تسليم المتهمين بين كينيا واسرائيل ، رسميا ، إلا أن العلاقات بين أجهزة المخابرات السرية ك انت وثيقة .

وفى يوم ٣ فبراير ١٩٧٦ ربط المسئولين فى كينيا عيون المتهمين الألمانيين وحملوهما الى سيارة جيب . وقد روت بريجيت شولتز بعد ذلك الى المحامية « ليا تسيمبل » ماحدث فقالت : « استمر المسير فى طرقات وعرة ساعات طويلة فى ليلة مظلمة حالكة السواد . ولم تفتح السيارة الجيب الكشافات الا اذا قابلها عائق ما » .

نقل الألمانيان الى طائرة حربية طارت بهما الى تل أبيب حيث أخذهما المسئولون الى السجن معصوبى الأعين . وسجن كل منهما منفرداً . وكانت يتم التحقيق معهما كل بضع ساعات . وكان المحقق يبدأ كلامه كل مرة ـ كما روت بريجيت شولتز ـ بجملة معتادة : « نحن نعرف هنا كيف نجبر الناس على الكلام » .

كان الاسرائيلون يعرفون الكثير . وقد واجهوا برجيبت شولتز بالكثير من تفاصيل حياتها . وكانوا يعلمون الكثير عن علاقـاتها « بالمجموعة الاشتراكية » اليسارية فى هايدلبرج ، ويعرفون أيضا أنه قد تم القبض عليها مرة أثناء توزيعها لمنشورات ممنوعة ، بل ويعرفون اسماء اثنين من الفرنسيين ، اللذين سافرت معهما وتجولت فى جنوب فرنسا . وعدا ذلك ، فهم يعرفون أيضا أنها قد شاركت فى مؤتمر عالمى للطلبة اليساريين فى ميلانوا بايطاليا . وقد تذكرت الفتاة الألمانية بعد ذلك ، أنها وضعت بعد المؤتمر فى قائمة المراقبة لمكتب الجريمة الألمانى ، وصرح الاسرائيليون علنا أنهم حصلوا على كل هذه التفاصيل الدقيقة عن حياة بريجيت شولتز من مكتب جهاز الأمن الألمانى : « Security Service » لكن « المكتب الاتحادى لحماية الدستور » ومكتب جهاز الجريمة الاتحادى » نفيا بشدة ، أنهما سلّما أية ملفات للجهاز

الاسرائيلى . واعترف المكتب الاتحادى لحماية الدستور ، بأنه رد على « أسئلة روتينية » عن مجرد معلومات طلبتها تل أبيب .

والأمر الغريب ، ان كلا الطالبين بريجيت شولتز وتوماس رويتر أعلنا كمفقودين فى ملفات مكتب الأمن . وبدلا من سؤال الاسرائيليين عنهما ، أرسل الموظفون المسئولون مادة تفصيلية عن حياتهما الى تل أبيب .

ولم تكن حكومة بون ، ولا أهالى الطالبين يعلمون شيئا عن أسئلة الاسرائيليين ولا عن ردود الألمان .

كان والدا بريجيت شولتز يسألان عنها فى أقسام البوليس وفى مكاتب الصليب الأحمر وفى المكتب الاتحادى للجريمة ، ولكن بلا جدوى . الى ان وصل اليهما فى اغسطس عام ١٩٧٦ رسالة من مجهول تخبرهما انه قد تم القاء القبض على الابنة مع زميلها توماس رويتر فى كينيا وشحنا الى اسرائيل .

وفى يوم ٢٣ اغسطس أرسل الأبوان خطابا إلى سفارة ألمانيا فى كينيا والى الرئيس الكينى « كينياتا » ، ولكن لم يصل أى رد ، فليس هناك أحد يريد الحديث عنهما .

وفى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٧٦ أرسل والدا بريجيت ثانية خطابا الى السفارة الألمانية فى اسرائيل ، ونسخة منها الى مكتب الخارجية الألمانى . وجاء الرد بالنفى . فقد أرسل السفير الألمانى فى تل أبيب وهو بير فيشر يقول بعد أسبوعين بعد أن استفسر عن الفتاة عند كل السلطات المسئولة فى اسرائيل : بعد استفسارات طويلة اتضح انه لا يوجد أحد قد دخل اسرائيل بهذا الاسم . ولا حتى شرطة الحدود عندها علم بدخول فتاة بهذا الاسم او شاب باسم توماس رويتر .

وكانت السلطات الاسرائيلية هى التى كذبت على السفارة الألمانية ، وعلى الصليب الأحمر ، الذى يملك الحق رسميا بالاستفهام عن المعتقلين الأجانب فى اسرائيل ، وكان صمت اسرائيل يعنى خرقا واضحا وصريحا لمبدأ حقوق الانسان .

وقد انكشف امر بريجيت شولتز عن طريق المحامية « ليا تسيمبل »

فى اسرائيل ، التى تدافع عن كثير من العرب ، وهى التى أبلغت والدى شولتز كتابة عن وجودها فى السجون الاسرائيلية وكان ذلك فى يوم ١٣ فبراير عام ١٩٧٧ .

فى يوم ٢٤ فبراير جاء زائر فى ساعة متأخرة الى منزل والدى بريجيت شولتز ، وعرف بنفسه ، بأنه من السفارة الاسرائيلية فى بون . وكان يحمل معه رسالة من الابنة ، وأوضح للأبوين ، أن بامكانهما زيارة ابنتهما فى تل ابيب ، وتتحمل الحكومة الاسرائيلية التكاليف بشرط أن يبتعدا نهائيا عن المحامية « ليا تسيمبل » وأن يكون اتفاقهما مع الاسرائيليين وفى صمت .

ورفض الوالدان بعد تفكير ، فهما يريدان ان يعيشا « أحرارا » . وفى نفس اليوم أبلغ الموساد ، المكتب الألمانى عن الواقعة . وتحدث الاسرائيليون « عن الانتصار فى الحرب ضد الارهابيين » وسموا الواقعة بحالة طوارى قصوى » . ولم يبلغ مكتب العلاقات الخارجية بهذه المعلومات .

إلا أن وزير الخارجية « جينشر » علم بالحادث فى ١٤ مارس (أذار) رسمياً من الحكومة الاسرائيلية ، وكان ذلك قبل يومين من قيامه بزيارة ودية الى تل أبيب .

وعلم جينشر ، أنه قد مضى عام كامل على وجود اتنين من الألمان فى السجن الحربى الاسرائيلى ، دون أن يعطيهما الفرصة أحد ، للاتصال بالسفارة الألمانية أو بالتحدث الى احد المحامين« المستقلين »

واحتج جينشر بشدة وقال عن هذه الواقع بأنها « فضيحة »

لكن « الفضيحة » لم تكن قد انتهت بعد . فبالرغم من احتجاجات بون المتراكمة ، والتماسات العفو ، والتى وصلت الى ١٤ محاولة اتصال فى قضية شولتز ـ رويتر ، فقد أعلن الاسرائيليون عن عدم استعدادهم لاجراء محاكمة علنية عادلة . ولم يسمح لشهود الدفاع بالحضور .

وحتى مراقب المحاكمة ، الوحيد الذى سمح به الاسرائيليون ، رفضوا اطلاعه على أية ملفات .

وقد حكم على الطالبين بالسجن لمدة عشر سنوات بتهمة : «الاضرار بالاتصالات الاسرائيلية » ولم يعرف أحد ماذا يعنى هذا ، لا المتهمون ، ولا الدفاع . فالمحكمة العسكرية التى نطقت الحكم ، أيدته ، بدون ابداء أسباب .

قبل المتهمان الحكم ، لأنه كان سبيلهما الوحيد . وقد وعدهما القضاة بالافراج عنهما فى عام ١٩٨٠ قبل انتهاء المدة . ولكنهم لم يستطيعوا أن يقدموا الدليل على التهمة الموجهة اليهما .

ويقول الألمانيان اليوم ، أنهما اعترفا تحت الضغط والابتزاز . فقد عذبا كثيرا لانتزاع الاعترافات منهما ، وكان يقيدان ويضربان بشدة . وكانوا يوقظونهما فى منتصف الليل على صوت ايقاع منتظم ، وكان يصدر من الزنزانة صوت رتيب يكاد يصيبهما بالجنوب او الهستيريا . وقد أنكر الاسرائيليون كل هذا ، الا شيئا واحدا وهو مايسمى « بالاخفاء » او : Hooding ، لدى لجنة حقوق الانسان فى ستراسبورج ، وهى أن يتجول المتهم دائما بأعين معصوبة أو أن يلبس فى رأسه (طاقية) سوداء تغطى رأسه ووجهه . وقد سيق كل من بريجيت شولتز وتوماس رويتر بهذه الطاقية السوداء الى المحاكمة ، الى ان اعترض محاميهما . هناك شك فى أن يكون هذان الألمانيان ضليعين فى الارهاب العالمى ، وقد أدخلهما الارهابى القديم « كلامين » بين الارهابيين .

وهناك معلومة اخرى من اوساط الموساد ، وهى أن المكتب الاتحادى فى كولونيا للأمن القومى قد أبلغ فورا بعد القاء القبض على شولتز ورويتر فى فبراير ١٩٧٦واذا صح هذا الخبر ، فان ذلك يعنى ان هذا المكتب قد خدع السياسيين والأهالى والرأى العام الألمانى لمدة عام كامل . وقال رجل الموساد « لقد رجونا كتمان هذا الحادث ، ووعدنا بأن نصرح بكل التفاصيل فى المستقبل » .

انشغل جهاز المخابرات الاسرائيلية فى عامى ١٩٧٩ و١٩٨٠ بإعاقة التقارب بين ألمانيا الاتحادية وبين منظمة الفلسطينية ، أكثر مما انشغل

بإمداد الجهاز الألمانى بالمعلومات عن الارهابيين .

وكان الاسرائيلون قد غضبوا واستاءوا من الاتصالات التى حدثت بين فيلى برانت وبين ياسر عرفات . وهم يرقبون بحذر الاتفاقية التى وقعها وزير الداخلية « باوم » فى نهاية عام ١٩٧٨ فى ليبيا ، والتى من شأنها أن « تؤجل » العمليات الارهابية فى ألمانيا . وقرر الموساد أن يوجه الدفة على ألمانيا ، وأن يوهم الفلسطينيين ، أن الموساد والجهاز الألمانى يعملان معا ، حتى فى محاولات اغتيالات الشخصيات الفلسطينية المرموقة .

وهذا ماحدث فى واقعة ايريكا ماريا شامبرز فى يوم ٢٢ يناير عام ١٩٧٩ حين قتل (المناضل) الفلسطينى على حسن سلامة فى بيروت فى الطريق العام . وتوصلت لجنة التحقيق فى منظمة التحرير ، أن القنبلة أشعل طرفها من بيت سيدة (ألمانية) تدعى شامبرز .

وقويت الشكوك حين اختفت شامبرز وحين تقصى الفلسطينيون عنها ، عرفوا انها كانت قبل ذلك فى بيروت ، وكانت تتعمد أن تتكلم باللغة الألمانية ، وعلى بطاقتها التى كانت توزعها عنوة وبطريقة ملفتة ، كتب عنوانها فى كولونيا ، ص ،ب ٣٠٠٣٦٤ .

وكانت شامبرز قد ولدت وأقامت فترة طويلة فى فيزبادن وكولونيا ، وقد اختارت هاتين المدينتين ، لأن مكتب الجريمة الاتحادى يوجد فى فيزبادن وكولونيا وكانت تتصرف فى ألمانيا بطريقة ملفتة ، سهلت اقتفاء اثرها بعد ذلك .

وقد سافرت مجموعة من مكتب الجريمة الالمانى للتحريات الى بيروت لازالة الشك من نفوس الفلسطينيين ، باشتراك الألمان فى قتل سلامة .

فالموساد قد خطط للعملية فى بيروت ونفذها ، والعميلة ايريكا ماريا شامبرز ، لها اسم حركى هو « بينيلوب » وقد ظهرت فى اسرائيل منذ مدة طويلة ، بينما كان الألمان يبحثون عنها فى ألمانيا .

بعد أن استطاع الاسرائيليون أن يوغروا صدر الفلسطينيين ضد الألمان ، بقى ان يحركوا الألمان ضد الفلسطينيين .

فلو أن الاسرائيليين نجحوا فى أن يضعوا منظمة التحرير الفلسطينية موضع الاتهام فى قضايا اغتيال فى المانيا بالذات ، فلا بد ان السياسيين الألمان المتعاطفين مع المنظمة ، وأصدقاء الفلسطينيين سيجمدون علاقاتهم بهم ، بالرغم من أن عرفات لم يكن يفكر فى عمليات ارهاب ضد الألمان . الا أن الموساد سيفكر بالنيابة عنه ، وباسمه .

أبلغ جهاز المخابرات الاسرائيلية السلطات الاسرائيلية عن احد الفلسطينيين المقيمين فى برلين الغربية وهو « حسن الحارتى » وكان يفترض ان الحارتى سيقوم مع ستة من العرب القادمين عبر برلين الشرقية بأعمال ارهابية تهدف تدمير مستودعات الوقود ، واختطاف طائرات ، ومحاولة اغتيال زعيم الطائفة اليهودية فى برلين ، « هاينز جالينسكى » .

وفى يوم ٢٦ ابريل عام ١٩٧٩ القت سلطات برلين الغربية لمكافحة الارهاب القبض على « حارتى » والعرب (المشتركين فى المؤامرة) وهو فى الطريق العام ، فى سيارته المرسيدس الحمراء ٢٠٠ وفى احدى صناديق محطة السكك الحديدية فى « زو » وجد ١٢ كيلوا جراما من المتفجرات .

كانت الواقعة واضحة . وكان الحارتى مقرا بكل شىء ، الى أحد أن أحد محامى الدفاع عن باقى الفلسطينيين قال فى حديث للصحيفة الاسبوعية « دى تسايت » وهو فى غاية الدهشة :

« ان قراءة أقوال المتهم وحدها تكفى لاتهامه حتى فى غيابه ـ وقد ابدى القضاة الألمان تحفظهم ازاء مثل هذه الأقوال . فقد كان البروتوكول يقرأ وكأنه بحث علمى فى قاعة دراسة »

وفى الواقع ، كان يمكن للقضاة فى برلين الحكم فى القضية دون الرجوع الى المتهم . وقد اطلق سراح المتهم فى يوم ١٠ مايو ، على أن يثبت حضوره الى قسم البوليس مرتين فى الاسبوع . وذلك فى انتظار صدور الحكم الذى سيتراوح بين السجن سنة الى عشر سنوات ، وهو كرم لا معنى له : (دى تسايت) .

فى يوم ١٥ مايو قدم « الحارتى » طلباً لاعفائه من الحضور لمدة سبعة أيام .وتمت الموافقة على الطلب بسرعة غير عادية . بل ان « الحارتى » حصل على أحد جوازى السفر اللبنانيين الخاصيين به من السلطات الألمانية ، وفى يوم ٢٥ مايو ١٩٧٩ اختفى المتهم ، إلى الابد !!

أثناء تلك الفترة وضع اسم « الحارتى » فى قائمة المطلوبين عند منظمة التحرير . فالحارتى ليس الا عميلا للموساد ، وهو مايسمى « بالعميل الاستفزازى"، كما هو مصطلح وقد خطط لعمليات ارهابية بتكليف من الموساد ، ثم قام بالاتصالات اللازمة مع مجموعة عراقية ـ فلسطينية مشبوهة لارسال « شركائه » الى برلين .

طلب الموساد من السلطات الألمانية بعد القاء القبض على المتهم وشركائه ، تكتم امر شخصى « الحارتى » وعدم نشر تفاصيل عنه ، وتسهيل سفره خارج البلاد مع مجموعة « الفدائيين الفلسطينيين » الى اسرائيل .

ويقول الاسرائيليون ان « الحارتى » قد تسلل الى المجموعات السرية الارهابية فى برلين الغربية ، واستطاع استغلال الألمان عن طريق المعلومات التى حصل عليها . وباشارة من « فوق » حصل السجين على « اجازة » بتعهده « بكلمة شرف » !

أما الرأى العام الألمانى الذى لم يطلع على تفاصيل الأحداث ، فقد تأكد الاحساس لديه بأن السلطات الألمانية أعاقت (الفدائيين) الفلسطينيين التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية من اتمام عملياتهم الفدائية فى آخر لحظة ، ولابد ان « ارهابهم » سيستمر على الاراضى الألمانية .

ومن هنا تردد كثير من المعلقين الألمان فى الدفاع عن « عصابات الاجرام » هذه ، وعن الدخول معها فى حديث . وهذا ما أرادته أجهزة الموساد وماتمنته تماما .

خطة استراتيجية جديدة للموساد

فى يونيو (حزيران) عام ١٩٨٠ اجتمعت جماعة من ضباط الموساد الشبان ، لوضع ورقة عمل جديدة لاستراتيجية الموساد ونشاطه خلال الأعوام القادمة .

كانت دولة اسرائيل تمر بأعنف أزمة منذ نشوئها . فقد ساءت الادارة الاسرائيلية الى حد كبير فى حكومة بيجين بعد استقالة موشى ديان (للخارجية) وعيزر فاتيسمان (للدفاع) ، عدا أن ثقة الشعب الاسرائيلى فى جناحى حزب العمل المتصارعين « بيريز ورابين » ليست كبيرة .

وكانت المشاكل السياسية الداخلية تزعزع البلاد بشدة فالتضخم ارتفع الى ١٣٠٪ ، والشركات والمصانع تكافح من أجل استمرارها .

والمستعمرون المتطرفون من اليهود ، مثل مناحم بيجين ، رئيس الوزراء آنذاك ، ووزير الزراعة شارون ، أصبحوا أكثر تطرفا . ولم يعد طلبهم هو « أرض اسرائيل » كما جاءت فى التوراة (الضفة الغربية) والمحتلة اليوم من قبل الاسرائيليين ، ولكنهم بدأوا يتحدون العرب المقيمين ويستفزونهم ، فيصادرون بيوتهم وينتزعون منهم ملكية أراضيهم .

وأجاب الفلسطينيون هذا الارهاب ، بارهاب مضاد ففى Hebron أطلق الرصاص على ثمانية أشخاص ، ورد المتطرفون اليهود بوضع قنابل فى سيارات عمداء مدن الضفة الغربية . وبدأت الحركات السرية الارهابية اليهودية تنظم نفسها من جديد ، وساهمت بذلك فى عزل اسرائيل دوليا ، أكثر من قبل ،

فى عام ١٩٨٠ حصلت منظمة التحرير الفلسطينية على الاعتراف بها ، أثناء لقاء رؤساء الدول فى البندقية بايطاليا .

كما أن مصر انعزلت عن العالم العربى بعد توقيعها معاهدة السلام مع اسرائيل . ولم ترض السعودية ولا الأردن ، فى ذلك الوقت ، قبول مبادرة السلام الأمريكية . وبدا كما لو ان الحكومة الاسرائيلية ، قد

أضاعت فرص السلام نتيجة توسعاتها .

أما الضباط الذين يحاولون ايجاد استراتيجية جديدة للموساد ، فجميعهم لا تتجاوز أعمارهم ٣٥ عاما . وهم يشكلون الأكثرية فى جهاز المخابرات الاسرائيلية ، لكن المراكز الكبيرة فى الجهاز ، ماتزال فى أيدى « رجال الساعات الأولى » الذين كانوا يعملون من أجل انشاء دولة اسرائيلية ويحاربون سرا .

وبين قيادة الموساد ، وأساس الموساد ، يوجد اليوم صراع ، هو اكثر من مجرد صراع بين الأجيال ، فالضباط الشبان قرروا مواجهة أى تهديد داخلى أو خارجى بمنتهى الحزم والفعالية ، وليس على طريقة « الاختفاء » التى يمارسها الكبار .

وأفكار الضباط الشبان فى هذه الورقة ليست ملزمة لقيادات الموساد ولا تعكس تفكيرها ، خصوصا فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وبالتعامل مع المصريين .

وهذه الورقة أثارت جدالا داخل الجهاز الاسرائيل حول العمل المقبل ، ولم يحسم هذا الجدل بشكل نهائى ، والورقة (نقلت) عن بروتوكول مقترحات أحد الموجودين ، وقد أعطاها لى (للمؤلف) أحد رجال الاتصال فى إحدى العواصم الأوربية ! أما الأصل فيحمل ختم « سرى جداً »

* * *

من بيت شخصيات الموساد المعروفة :

« الياهو من اليسار »

حين سمع الرئيس السابق أنور السادات باسم الرجل الذى رشحته اسرائيل ليكون أول سفير لها فى مصر ، عقدت لسانه الدهشة . وقال احد الوزراء ، أن هذا لا يمكن أن يكون حقيقة . بينما اعتبر بعض الوزراء المصريين هذا الاختيار « وقاحة اسرائيلية لاحد لها » . لكن

المصريين لم يظهروا امتعاضهم لهذه اللعبة الخبيثة ، إذ أنه يجب ألا يكون اختيار « الياهو بن اليسار » سببا فى خلق مشاكل جديدة فى مسألة التقارب المنشود بين اسرائيل ومصر .وحين أتى اليسار الى مصر ، رفع العلم ، وأخذ مكانه ، وهذا كل شيء . فهو لم يُدْعَ الى أى استقبال رسمى أو مناسبة مصرية . وكان هذا هو انتقام السادات من مناحم بيجين الذى اختار رجلا من كبار ضباط الموساد ، بالذات ، ليكون سفيرا لمصر .

ولد بن اليسار ١٩٣٢ فى مدينة رادوم فى بولندا ، وغادرها الى باريس فى الأربعينات ، حيث درس فى السوربون ثم هاجر الى فلسطين وانضم الى الجيش السرى « الهاجانا » وعمل منذ عام ١٩٥٤ فى جهاز الموساد .

أرسله أول رئيس للموساد ، عيزر هاريل ، الى اثيوبيا ، ليدعم الاتصالات بين اسرائيل وبين الطاغية الأثيوبى ، هيلا سيلاس . وساعد اسرائيل الامبراطور فى تشكيل وحدة جهاز سرى . كما دربت وحدات طيارين ومظليين اثيوبيين .

وحين وقع الانقلاب على الامبراطور فى غيابه ، كان الفضل لبن اليسار فى اخماد الانقلاب وقتل الثورة .

بقى اليسار فى اديس ابابا حتى عام ١٩٦١ ثم سافر الى كينيا وعقد صداقة معيوموكينياتا ، سمحت له فيما بعد بالتعاون الوثيق بين أجهزة الموساد وبين السلطات الكينية ـ وكان الاسرائيليون هم الذين يعينون ويدربون حرس كينياتا الخاص .

فى عام ١٩٧١ أصبح بن اليسار رئيس قسم المعلومات فى حزب « حيروت » الذى قاد صديقه مناحم بيجين بعد ست سنوات الى الحكم ، وحصل على مركز هام فى حكومة بيجين ، فقد اصبح مديرا عاما لمنصب رئيس الوزراء ، أى سكرتيرا للدولة ، كما أصبح مستشارا خاصا لمناحم بيجين . ففى يده ، وتحت عينيه ، كانت كل أسرار الدولة . ولم يكن هذا مجرد « نفاق » للوصول الى الحكم ، ولكن لأنه كان « مثل »

بيجين تماما ، فهو يفكر بطريقته ، ويتصرف بأسلوبه . وهو ينادى « بأرض اسرائيل » كما جاءت فى التوراة ، بنفس طريقة مناحم بيجين . ويتحدث عن «يهوديا وساماريا » بدلا من « الضفة الغربية » وقد قال اسحاق شامير ، مرة ، وكان رئيس البرلمان الاسرائيلى : « بوجود الياهو بن اليسار فى القاهرة ، يمكن للسادات أن يتأكد دائما ، من أنه يسمع صوت السلطة فى اسرائيل . فهو « بيجين نفسه » من أعماله التى كتبها بنفسه : « السياسة الخارجية للرايخ الثالث واليهود » .

الفهرس

مكتبة مدبولي القاهرة